جامعة بيرزيت
AUG 1983

٤٠

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

٥٠ شاقل
العدد الاربعون
آب ١٩٨٣

ستفشل الجماهير ما يخططلمدينة الخليل
ملاحظات حول الوضع الراهن لحركة التحرر العربية
حتى لا يناقض الماركسيون "ماركسيتهم"
ملاحظات على الحوار بشأن الطبقة العاملة
الرملة شكل مختلف وسياسة واحدة
النيوكولونيالية "الاستعمار الجديد"
في النقاش حول طبيعة ودور الحركة الطلابية
الصحافة السوفييتية / صحافة من النوع الجديد
لويس كورفالان ..وشيء من حياته
الانحلال الخلقي والاستغلال الطبقي في المغرب

المخيّمات الفلسطينيّة!

بين عنصريّة الليكود وعجز الانظمة العربيّة

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز المسؤول
أسعد الأسعد - الفندق
المزرعة - رام الله - ص.ب ٩٩٥

العدد الاربعون | السنة الرابعة | آب ١٩٨٣

المحتويات

- المخيمات الفلسطينية بين عنصرية الليكود وعجز الانظمة العربية — أسعد الاسعد — ٣
- ستفشل الجماهير ما يخطط لمدينة الخليل — ٧
- ملاحظات حول الوضع الراهن لحركة التحرر العربية — ٩
- حتى لا يناقض الماركسيون "ماركسيتهم" — ١٩
- ملاحظات على الحوار بشأن الطبقة العاملة — محمد سعيد
- في النقاش حول طبيعة ودور الحركة الطلابية — بسام الصالحي — ٢٦
- الرملة شكل مختلف وسياسة واحدة — بقلم / عطا القيمري ومحمد عليان — ٣٥
- النيوكولونيالية" الاستعمار الجديد " — ترجمة / أمل عميرة — ٤٣
- الصحافة السوفييتية / صحافة من النوع الجديد — يمامة عبد الحق — ٥٣
- لويس كورفالان ..... وشيء من حياته — فالح العطاونة — ٦٨
- الانحلال الخلقي والاستغلال الطبقي في المغرب — ٧٧
- تأبى أن تغادر / قصة بقلم الاسير — محمد حمدان القاق — ٨٢
- الطفلة ذات القبعة البيضاء من القش — قصة / جميل حتمل — ٨٨

رئيس التحرير
أسعد الأسعد

هيئة التحرير
محمد البطراوي
بسام الصالحي
صالح زقوت
جميل السلحوت
محمود الشيخ
عمر حمش

المسؤول الإداري
يحيى شقير

صفوف ومونتاج
ايلين عويس
خديجة الشلودي

ترتيب المواد يخضع لضرورات فنية — المواد الواردة لا ترد اذا لم تنشر — الثمن : ٥٠ شاقل

Digitized by Birzeit University Library

• جنـــدى الحريـــة / قصـــة	سمن جورا خوفيتش	٩٠
• فرش أبيض كالثلـــج / قصـــة	ناجـي طاهـــر	٩٤
• نظرة الى الحوات والقصر / دراسة نقدية	عطا القيمـــرى	٩٦
• مصرع الماس / من قصة الى رواية الى ماذا بعد ؟	د. احمد ابو مطر	١٠٢
• عذابات الوطن في شعر الشباب في البحرين		١٠٧
• فاتحـــة القصائـــد / شعـــر	عبد الكريم العودة	١١١
• فجـــر جـــديـــد / شعـــر	ماجد ابو غوش	١١٣
• فقير يمارس ... الحلم والسكر ... / شعـــر	يعقوب احمد	١١٤
• لقاء الشهر / مع الفنان عصام حلّس / غزة أجـــرى اللقـــاء	طلعت الصفدى	١١٥
• الاحتلال المأزوم والكتاب المتأزمـــون	جميل السلحوت	١٢٠
• بالقلـــم العريـــض	محمود عبد الرحيم	١٢٢
• سينما ٨٣ برنامج جيد .. ولكن	خير الدين يزن	١٢٣
• قصـــة شيوعـــي عنيـــد		١٢٤
• أصـــداء ثقافيـــة		١٢٦

Digitized by Birzeit University Library

المخيمات الفلسطينية ! بين عنصرية الليكود وعجز الانظمة العربية

أسعد الأسعد

المصادر الاسرائيلية، تشير الى الانتهاء من وضع اللمسات الاخيرة لخطة تعتبر من أخطر مراحل الهجوم على الشعب الفلسطيني، وعلى قضيته الاساسية ، ففي مطلع شهر تموز الماضي، كشف النقاب عن خطة مفصلة وضعها الوزير بلا وزارة بن بورات لتوطين اللاجئين الفلسطينيين، المقيمين في مخيمات الضفة الغربية ، في الغور الشمالي من الضفة الغربية، وبالتحديد في منطقة فصايل ، بحيث تتسع المدينة المقترحة لثلاثين ألفا من اللاجئين.

جذور المسألة

اذا أدركنا ان الصهيونية تقوم على قيام دولة اسرائيلية "نظيفة" فاننا نفهم أن مئات الالاف من الفلسطينيين في المناطق المحتلة، غير مرغوب فيهم ، واذا نظرنا الى السياسة الرسمية وغير الرسمية، نفهم ماهية ما يجرى منذ احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ، واذا كانت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي نجحت في تفريغ الهضبة السورية من ساكنيها بحيث لم يتبق هناك غير خمسة عشر ألفا من السوريين، فانها فشلت في تحقيق ما طمحت اليه في الضفة الغربية وقطاع غزة حتى الان.. فرغم رحيل ما لا يقل عن ثلاثمئة ألف فلسطيني أثر حرب حزيران ٦٧، الا أن عدد الفلسطينيين في الضفة والقطاع لا يقل اليوم عن مليون وثلاثمئة ألف فلسطيني، يشكل سكان المخيمات نسبة لا تقل عن ٤٤٪ في قطاع غزة، "٢٠٨ر٦٦٢" يعيشون في ثماني مخيمات، و ٢٦٪ — ٧٤ر٠٠٠ ألف لاجيء يعيشون في عشرين مخيما بالضفة الغربية .

واذا نظرنا الى مواقع هذه المخيمات ادركنا ان معظمها يقع على الشوارع الرئيسية، وكانها متهمون باستمرار بالتعرض للمستوطنين وللسيارات العسكرية والمدنية الاسرائيلية، وبالتالي فان العقاب ملازم لهذه المخيمات، فهم محرومون من السفر الى عمان، أو انهم يتعرضون لفرض عقوبات جماعية مثل منع التجول ، أو

Digitized by Birzeit University Library

الاعتقالات الجماعية وفرض الغرامات الباهظة على ابنائهم ،وأخيرا اغلاق الشوارع الرئيسية بالباطون ،كما جرى في الامعري والعروب والدهيشة وفلنديا والجلـزون ، وبالتالي فان السلطات المحتلة، تنظر الى المخيمات على أنها مصدر ازعاج دائم ،مما دفعها الى التفكير جديا في ترحيل بعضها وخاصة تلك التي تقع بمحاذاة الشارع الرئيسي الذى يمر بالضفة الغربية من جنوبها الى شمالها ، وتحديدا الدهيشة وفلنديا والجلزون وبلاطة، وقد تحدثت الانباء عن خطة لابعاد جزء كبير من سكان هذه المخيمات الى مدينة اللاجئين في فصايل ، وابعاد ما يتبقى مسافة ١٥٠ مترا بعيدا عن الشارع الرئيسي بعد تفتيش المخيم وتقسيمه وفتح شوارع عريضة فيه .

ولعل خطة بن بورات الجديدة ،ليست الا استكمالا وبعثا للحياة في مشاريع قديمة ،تعود الى أيام الرئيس الامريكي سيء الصيت ايزنهاور ، والمشاريع التي ارتبطت باسم مبعوثه جونستون عام ١٩٥٥ ،وقد حاولت الحكومة الامريكية من خلال الانظمة العربية في حينه تنفيذ مخططاتها ،وأقامت مشاريع فعلا لتوطين اللاجئين ،منها المشروع الذى أقيم في منطقة البالوع ـ على طريق البيـــرة ـ الجلزون ـ ومنها المشروع الذى أقيم الى الغرب من قرية حزما ومشروع العيزريـــة ، ومشروع دير عمار ، وغيرها ،وقد أسهم ببنائها وقتها أحد مطارنة القدس، وقدمها على أنها مشاريع انسانية غير انها لم تنجح ،وسرعان ما تكشفت نوايا القائمين عليها ،وتم افشالها ، ولعل مشروع العلمي في اريحا واحدا من أهم المشاريع التي أقيمت لنفس الهدف والغاية ، وهذا ما يفسر هجوم اللاجئين من سكان مخيمات الاغوار ـ عقبة جبر ـ عين السلطان ، النويعمة ـ عليه ونهب محتوياته وتحطيم ما استطاعوا من موجوداته عام ١٩٥٦ ،اثناء الهبة العارمة التي شهدها الاردن اثر الهجوم الثلاثي على مصـــر .

"واذا كانت العتمة لم تأت على قدر يد الحرامي" كما يقولون ،فانه يلجأ الى أساليب عديدة للحصول على غايته ،وهكذا ،فان الاسباب والدوافع كثيرة والتي يتذرع بها لتحقيق مخططه ،غير ان ما رفضته جموع اللاجئين عام ١٩٥٥ وما بعد ذلك ،من الصعب ان لم يكن من المستحيل ان تقبل به الان وقد رفضت بالفعل كل الاغراءات التي قدمت لهم من قبل الجهات المختلفة ،رغم الوضع المأساوى الذى يعيشونه ،والذى تفرضه عليهم سلطات الاحتلال من خلال اغلاق المنافذ الرئيسية ،والاعتقالات المستمرة ،والغرامات الباهظة ،ومنع السفر ،وغير ذلك من صنوف القمع الاضطهاد وهم يدركون ان تلك الاساليب والممارسات ليست الا بهدف "تطفيشهم" ودفعهم الى قبول التوطين والتهجير من جديد ،وهم يطرحون مخاوفهم الحقيقية والتي تتلخص في ادراكهم لمخطط التوطين الذى يعتبرونه مقدمة لتهجيرهم خارج المناطق المحتلة الى الاردن ،ومن هنا فانهم يرفضون تهجيرهم من مخيماتهم حتى تحل قضيتهم من أساسها .

بين عنصرية الليكود وبعـد نظـر المعراخ

عضو الكنسيت عن المعراخ أمنون لين قدم استفسارا لرئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن عن تفاصيل خطة التوطين، معترضا عليها ليس حبا في المخيمات الفلسطينية وسكانها ، وانما خوفا من تغيير الطابع الديموغرافي لمنطقة الاغوار ،حيث يعيش الان ثلاثة الاف

Digitized by Birzeit University Library

مستوطن ،مقابل عشرين الفا من الفلسطينيين وذكر لين ان المدينة المقترحة في فصايل ، لا تبعد غير اثنين وثلاثين كيلومترا شرقي مدينة نابلس،وهذا من شأنه أن يشكل خطورة على الوضع الامني للاغوار ، على حد قول النائب المعراخي امنون لين.

الانظمة العربية ووكالة الغوث والدور غير النظيف

تنتشر المخيمات الفلسطينية في الدول العربية المجاورة،حيث يتواجد حوالي ٤٠٠ ألف فلسطيني في لبنان يعيش نصفهم تقريبا في ثلاثة عشر مخيما، يقع معظمها في الجنوب حيث الاحتلال الاسرائيلي ،وفي سوريا يعيش حوالي ٢٢٠ ألف فلسطيني يعيش حوالي ٦٧ ألف منهم في عشر مخيمات."أما في الاردن فيعيش قرابة مليون و١٠٠ ألف فلسطيني منهم ٢٣٥ ألف لاجيء يعيشون في عشر مخيمات ،أكبرها مخيم الوحدات ومخيم البقعة،وقد جرت محاولات عديدة لنقل هذين المخيمين وخاصة مخيم البقعة بحجة ان المخيم ومجارية تلوث المياه الجوفية هناك ،ويبدو ان الحكومة الاردنية أدركت المصاعب التي ستنجم عن نقل المخيم فعدلت عن تنفيذه في الوقت الحاضر.

أما في لبنان،فقد تعرضت المخيمات الفلسطينية لابشع عمليات المسح والابادة، وقد بدأت بمجزرة تل الزعتر،ومسح المخيم والغائه نهائيا واضطرار من بقي حيا الى الهجرة ثانية،ثم تسوية مخيمات بكاملها ومسحها نهائيا مثل مخيم عين الحلوة في جنوب لبنان ،وتهجير عشرات الالاف من اللاجئين الفلسطينيين من جديد الى سهل البقاع ،والتهديد المستمر للباقين بالقتل ان لم يرحلوا وقد نفذت بالفعل عمليات قتل بشعة،وأخيرا المجزرة الرهيبة التي نفذت بسكان مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت اثر دخول القوات الاسرائيلية الى غرب بيروت واطلاق يد الكتائب تعبث كما تشاء بأرواح المدنيين من شيوخ واطفال ونساء عزل ولعل تصريحات المسؤولين في أحزاب اليمين الفاشي في لبنان ،توضح سعيهم الى تفريغ لبنان من المخيمات الفلسطينية ،بل ومن الفلسطينيين عامة،وهم يلتقون في ذلك مع عدد كبير من المسؤولين الاسرائيليين ،ولكن كل له طريقته في التخلص من هذا الغول المحدق بهم ،كما يرونه على ما يبدو.

ان ما خطط ويخطط للمخيمات الفلسطينية وعلى مرأى من الانظمة العربية ووكالة الغوث ، وبدون ان يحرك هؤلاء ساكنا ، يشير الى مصلحة هذه الاطراف في انهاء قضية اللاجئين على اعتبار ان بقاءها يعد برهانا ساطعا على استمرار مشكلة الشعب الفلسطيني ، وعلى عدالة ومشروعية حقوقه الوطنية وعلى رأسها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

ولذلك تستمر محاولات توطين اللاجئين وتذويب الفلسطينيين في المجتمعات التي يعيشون فيها ، الامر الذي رفضته جماهير شعبنا وقاومته على مدار السنوات الخمس والثلاثين الماضية .

Digitized by Birzeit University Library

لماذا المخيمات ؟!

ان نظرة دقيقة الى الطبيعة الطبقية والاجتماعية لسكان المخيمات الفلسطينية، تجيبنا على تساؤلاتنا العديدة، فمعظم سكان المخيمات ،ينحدرون من عائلات مسحوقة، تكسب لقمة عيشها بكدها وجهدها ،وهم في غالبيتهم يعيشون حياة شظف وعناء ، فالعائلات الفلسطينية التي نزحت عام ١٩٤٨ الى . مخيمات هم في غالبيتهم من أصل قروى ،يعطون عمالا بالمياومة ،وقد نالهم قسط اكبر من القمع والاضطهاد على أيدى الانظمة العربية، فقد شكلوا شوكة في حلق الانظمة العربية ،بحيث كان سكان المخيمات يذكرون هذه الانظمة بعجزها الدائم ،وعدم قدرتها على تحقيق طموحات الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ،وبالتالي فقد رفضوا دائما فكرة اعادة توزيعهم والتي استهدفت توطينهم تمهيدا لتذويبهم وطمس هويتهم القومية، وبالتالي فقد تعرض سكان المخيمات اكثر من غيرهم للاضطهاد والقمع ،سواء من الانظمة العربية ،أو من الاحتلال الاسرائيلي فيما بعد ، حيث ظلت المخيمات كما كانت شوكه في حلق الاحتلال يسعى دائما لخلعها والقائها بعيدا ظنا منه أن ذلك أقصر الطرق لانهاء وجود هذا الشعب ،والغاء قضيته .

واذا كانت الانظمة العربية،قد نسيت المخيمات أو تناستها ، فحرمتها من أى خدمات أو حقوق ،فانها لم تنسها من قمعها واضطهادها لابنائها ،وهذا ما أكملته سلطات الاحتلال الاسرائيلي .فخصت المخيمات بالقسط الاكبر من ممارساتها القمعية والاضطهادية ،فزادتهم هما على هم ،غير انها أيضا زادتهم اصرارا وتصميما على رفض كل المخططات الرامية الى تذويبهم والغاء هويتهم ،وعزلهم عن بقية ابناء شعبهم الفلسطيني ،ورغم تأكيدهم المستمر بأن قضيتهم جزء من قضية شعبهم ولبس لها حل غير دولة فلسطينية مستقلة،الا ان هذه السلطات ترى ولا تريد ان تفهم وتمعن في ممارساتها التي تتناقض ومنطق التاريخ، وتصر على التجذيف ضد التيار ،مصممة على الاستمرار في تجاهل الحقوق المشروعة لهذا الشعب، متجاهلة أنه في نهايه المطاف لن يصح الا الصحيح ،والصحيح واضح كالشمس في صيفنا هذا ،ولا يغطيها غربال .

Digitized by Birzeit University Library

ستفشل الجماهير ما يُخطط لمدينة الخليل

القرار الحكومي الاسرائيلي ، باعادة بناء الحي اليهودى في الخليل ، وتشجيع الاستيطان فيها قدم دعما حكوميا مكشوفا لواحد من ثلاثة منحنيات في خطط الاستيطان والذى يكاد يكون أخطرها وهو الاستيطان في قلب المدن العربية المكتظة بالسكان .

ومن الواضح أن قرار الحكومة الاسرائيلية لم يكن مجرد استجابة درامية لمقتل المستوطن اليهودى في الخليل ، بل كان استخلاصا رسميا لتوجه المسار الاستيطاني للسنوات القادمة ، وهذا بالضبط ما تلقفه الحاخام ليفنجر ومستوطنو كريات اربع ، والذين باشروا على الفور باحراق مئات الدكاكين والبسطات ، واتلاف ممتلكات السكان ، وانتهوا في الايام الاخيرة الى اعتقال عشرات المواطنين واحتجازهم في مدرسة طارق بن زياد التي استولوا عليها .

لقد أشار وزير الحرب الاسرائيلي الى احداث عام ٢٩ في الخليل ، والى مقتل ٦٠ يهوديا كانما ليشيرليس فقط لمشروعية ما يقوم به المستوطنون وجنوده في مدينة الخليل وانما لتقديم تبرير مسبق لما يمكن ان ينفذه هؤلاء من جرائم بشعة بحق الاهالي .

ولا يمكن عزو اختيار مدينة الخليل لتكون المرشحة الثانية بعد القدس من أجل غمرها بالمستوطنين اليهود وتغيير طابعها الديني ، الا لمخطط متكامل بدأت السلطات بتنفيذه منذ سنوات وتعاملت في مدينة الخليل على اساسه .

وهذا ما يفسر تجاوب السلطات المتسارع مع المستوطنين ، بدأ بالاعتصام الذى اعلنه ثلاثون مستوطنا وعلى رأسهم ليفنجر عام ٦٨ في قلب مدينة الخليل ، والذى انتهى الى انشاء مستوطنة كريات اربع والتي تضم الان ٨٠٠ عائلة ، وانتهاء بتصريح دافيد ليفي نائب مناحيم بيغن قبل اسبوعين والذى أعلن فيه النية عن توطين ٥٠٠ عائلة اخرى خلال السنوات الثلاث القادمة .

لقد قامت السلطات بابعاد الدكتور احمد حمزة النتشة من مدينة الخليل عام ٧٦ لئلا يصل لرئاسة بلدية الخليل ، كما قامت بابعاد رئيس البلدية المنتخب فهد القواسمي عام ٨٠ اضافة الى زميليه محمد ملحم ، والشيخ التميمي بحجة تورطهما في عملية الدبوية ، وانتهت الان الى السيطرة الكاملة على البلدية بعد اقصاء رئيسها بالوكالة وتعيين

Digitized by Birzeit University Library

حارس املاك الغائبين مكانه ، لتدلل بسياستها هذه على حساسية خاصة تجاه هذه المدينة تفسرها الان قرارات الحكومة الاسرائيلية .

ان ما يخطط لمدينة الخليل ، والتي عزلت عن باقي مدن الضفة باعتبارها منطقة عسكرية مغلقة ، وفرض نظام حظر التجول عليها ، لا يقتصر على اجراء تغييرات ديموغرافية فيها ، وانما يوضح كذلك الطريقة التي سيتم بها ذلك من خلال التوافق التام بين قمع جنود الاحتلال وشهية المستوطنين المتعطشة والمنفلتة من عقالها .

واذا ما كانت السلطات الاسرائيلية تطمح في ان تخلق في الخليل نموذجا يمكن لها تعميمه على باقي مدن الضفة ، وبالشكل الذى اعلن عنه وزير الحرب الاسرائيلي ارنس في حفل افتتاح مستوطنة "حلميش" في منطقة نابلس ، حيث اعلن ان حكومته قد حسمت النقاش حول ما "اذا اردنا ان نستوطن في المناطق التي يسكن بها عرب "،فان ما يجهله ارنس وغيره ، ان هذا الانفلات في حملتهم التعسفية ، في الخليل ، او ضد مخيمات اللاجئين، او في مصادرة الاراضي الواسعة ، والذى يجيء بعد تبخرّ احلامهم باستسلام ورضوخ الجماهير في الارض المحتلة

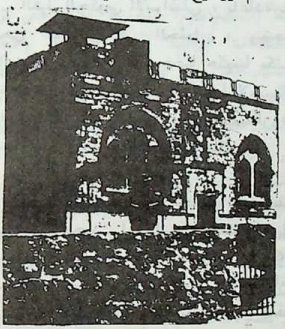

نتيجة غزو لبنان ، ما يجهلونه ان هذا الانفلات لا يمكن له ان يغير من حقائق الصمود والمجابهة التي تميز جماهير شعبنا في الداخل ، مهما بلغت التضحيات .

Digitized by Birzeit University Library

ملاحظات حول الوضع الراهن

لحركة التحرر العربية

■ طرح الغزو الاسرائيلي ـ الامريكي للبنان وما نجم عنه من احتلال حوالي نصف مساحة البلد العربي ، وخروج حركة المقاومة الفلسطينية من بيروت ، طرح وبحدة لا سابق لها المسألة التي كانت موضع جدل مستمر في السنوات الماضية ، وهي : هل حركة التحرر العربية في أزمة ؟ ام انها تواجه مجرد مصاعب ؟ واذا كانت في أزمة ، فما هي طبيعتها؟ ولم يعد سرا ان هذه المسألة الهامة تنتاب حولها الاجتهادات ، حتى داخل الحركة الشيوعية في البلدان العربية

ويلفت الانتباه ، بعد معركة لبنان ، ان دعاة الفكر القومي البرجوازي تحولوا فجأة من تجاهل هذه المسألة الى التأكيد بان "حركة التحرر القومي العربية تعاني أزمة حادة وخطيرة ، وهي في اساسها ايديولوجية وتنظيمية وديمقراطية وجماهيرية وسلكية "(١) وبهذا ارادوا ان يحبطوا الازمة ويعموا مسبباتها على جميع الطبقات الاجتماعية وايديولوجياتها وتنظيماتها في البلدان العربية ، دون تمييز .

وباختصار : فنحن امام عدد من الاسئلة الاولية التي تحتاج الى اجابات ، ولو انها متشابكة ومترابطة :

١) هل هناك أزمة في حركة التحرر العربية ام لا ؟
٢) واذا كانت هناك أزمة ما هي طبيعتهـــا ؟
٣) ثم ، مـا هي ظواهرهـا الاساسيـة ؟
٤) ما هي اسبابهـــا ؟
٥) وفي ضوء كل ذلك ، هل هي أزمة حركة التحرر العربية بجميع طبقاتها الاجتماعية ام أزمة طبقة بعينها ؟

في معرض الرد على السؤال الاول : هل هناك أزمة ام لا ؟ نرى ـ ان اى شعب يتعرض وطنه للاحتلال ، كله او جزء اساسي منه يعيش حالة الازمة خلال فترة الاحتلال

كذلك يمكن ان يعيش الازمة ، بلد يواجه مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية خطيرة ، كما جرى في بولونيا مؤخرا. وعني عن القول ، ان هذا النمط من الازمات عابر ومؤقت . لكن هناك نمط آخر من الازمات له طابع الاستمرارية والتغول ، كأزمة الرأسمالية التي تجاوزت منذ امد مرحلة صعودها الثوري ، ودخلت مرحلت انحطاطها . وراحت تتأكلها عوامل الفناء ، وتحولت بالتالي : الى كابح لعملية التطور الاجتماعي . وبمعنى آخر : فقدت ، تاريخيا مبرر وجودها وتحتم زوالها بالمنظور التاريخـي .

وفي ضوء هذه التحديدات ، فان حركة التحرر العربية تمر في أزمة . ولكن ما هي طبيعة هذه الازمة ، هل هي مؤقتة وعابرة ام شاملة ومستمرة ؟ وهو ما يحدد الاجابة عن السؤال الثاني .

للاجابة عن هذا السؤال ، يطرح السؤال التالي نفسه : هل انجزت حركة التحرر العربية كامل مهام الثورة الوطنية الديمقراطية لتفقد مبرر وجودها وتأخذ في التحلل والاختفاء لصالح حركة ارقى في السلم التـاريخـي ؟

Digitized by Birzeit University Library

لا يعقد بوجود من يحاول بان امام هذه الحركه مهام اساسيه عليها ان تنجزها في اطار مرحلة الثوره الوطنيه الديمقراطية ، مع الاختلاف والتمايز الكبيرين في مستويات تطور كل فصيل من فصائل حركة التحرر العربية والبلد الذى ينشط فيه . حتى اليمن الديمقراطي المتقدم في هذا الحضار ، لا يزال عليه ان ينجز الكثير في اطار مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، قبل التحول ، نهائيا الى مرحلة تاريخية ارقى .

وبهذا المعنى ، يمكن القول ان ازمة حركة التحرر العربية ، محدودة ومؤقتة ، فيما يتعلق بالمسار التاريخي لهذه الحركة ، ونهوضها من كبوتها امر محتوم بمنطق التطور التاريخي .

وهذا ينقلنا الى السؤال الثالث : ما هي ظواهرها الاساسية ، اى ظواهر هذه الازمة ؟

١) كانت اولى الظواهر وابرزها على نشوء الازمة هزيمة الجيوش العربية عام ١٩٦٧، على النحو الفاجع والخاطف الذى جرى ، وتحديدا جيوش النظامين المصرى والسورى- ذلك ان النظام الاردني الرجعي لا يدخل في عداد حركة التحرر العربية - وما ترتب على هذه الهزيمة من احتلال اسرائيل لاراض عربية واسعة . وان فشل هذه الحركة حتى الان (اى بعد حوالى ستة عشر عاما) في تحرير هذه الاراضي ، هو بدوره تاكيد على انها تعيش الازمة . وغني عن القول انه لا يمكن اعتبار الاستعاضة عن القوات الاسرائيلية في سيناء بقوات حلف الاطلنطي تحريرا لها . وقد جاء الغزو الاخير للبنان واحتلال قرابة نصف اراضية ، ليعمق هذه الظاهرة الخطيره من ظواهر ازمة حركه التحرر العربية ، وفي مقدمتها الانظمة المعادية للامبريالية - عجزت هذه المرة ايضا وبشكل اكثر سفورا عن صد العدوان

والثانية : ان مجموعات من المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين فرضت على الجيش الاسرائيلي الغازى ، والمتفوق عددا وعدة ، اطول حرب عرفها هذا الجيش وافدحها ثمنا ، منذ قيام دولة اسرائيل . وبهذا تاكد ، بما لا يدع مجالا للتاويل او المناقشة ان قضية صد العدوان الاسرائيلي هي قضية عملية تماما ،وان الامر الاساسي هو توفر ارادة القتال . وبمعنى آخر ، فقد اسهمت هذه المعركة في تحديد الموقع الاساسي للعجز والتردد ، والتفتيش عنه ،بالتالي : في تكوين الانظمة المعادية للامبريالية ، وما طرأ عليها من تحولات اساسية ، باعتبار هذه الانظمة تشكل القوة الضاربة الاساسية لحركة التحرر العربية ، بما تمتلك من امكانات بشرية ومادية قادرة على تعبئتها في المعركة . لقد حددت حرب لبنان ، اكثر من اى وقت مضى، ان العجز الاساسي يكمن في هذه الانظمة وليس قطعا في المقاتل العربي من جانب ، او في كون الجندى الاسرائيلي هو من نوع خا ، وخارق لا يمكن مواجهته وهزمه من الجانب ا ر .

٢) والظاهرة الثانية لازمة حركة التحرر العربيه هي انتقال زمام المبادرة في العالم العربي الى ايدى الرجعية العربية بقيادة حكام السعودية . وقد تم هذا الانتقال تدريجيا بعد وفاة عبد الناصر، وتكرس بانتقال مصر من موقعها القيادى في حركة التحرر العربية الى معسكر اعدائها ،وقد جاء الغزو الاخير للبنان ليؤكد هذه الحقيقة بوضوح اكثر من السابق .وبخاصة في ظروف غياب اى نشاط جدى لجبهة الصمود والتصدى.

٣) والظاهرة الثالثة لازمة حركة التحرر العربية انتكاسة وانسلاخ عدد من الانظمة العربية التي شكلت اركانا اساسية لهذه الحركة عندما كانت معادية للامبريالية والعدوان الاسرائيلي وذات توجهات تقدمية ، وفي مقدمتها مصر التي كانت طليعة هذه الحركة ، وما احدثه ذلك من خلل خطير في موازين القوى في المنطقة .

هناك رأى مفاده ان هذه مجرد مصاعب ، اذا ما اخذنا الوضع بشموليته على النطاق العربي العام ، لانه يقابلها مكاسب ، مثل قيام النظام الثورى في اليمن الديمقراطي وغيره . وحتى بموجب هذا المقياس ، ففي اعتقادنا ان حصيلة المكاسب والخسائر على النطاق العربي ، تكشف بوضوح كاف مسنوى التردى في حالة حركة التحرر العربية بالقياس الى ما كانت عليه في اواخر الخمسينات وبداية الستينات .

بعد محاولة تشخيص طبيعة ازمة حركة التحرر العربية ورصد ابرز ظواهرها ، ننتقل الى محاولة تقصي اسباب هذه الازمة وعملية تكونها .

■ يمكن القول انه حتى بداية الخمسينات ، كانت حركة التحرر العربية تتكون من الحركات والتيارات التي تقودها التنظيمات الثورية والمعادية للاستعمار والامبريالية ، من قوميين وشيوعيين . ذلك ان مختلف الانظمة القائمة آنذاك ،في العالم العربي، كانت اما موالية او مهادنة، وتتشكل قاعدتها الاجتماعية من الاقطاع والطلائين العقاريين الكبار والبرجوازية الكبيره . وحتى في سوريا ولبنان اللتين استقلتا عام ١٩٤٦، لم تختلف التركيبة الطبقية للسلطة فيهما عن هذه الصيغة .

ثم صعد للسلطة ،باساليب مختلفة ،في عدد من البلدان العربية الاساسية ،ممثلو البرجوازية الصغيرة والمتوسطة. وبهذا جرى تحول نوعي اساسي في تركيب حركة التحرر العربية، واصبح لهذه الحركة ،ولاول مره ،

Digitized by Birzeit University Library

في شخص هذه الانظمة ، قوة ضاربة تحت تصرفها امكانات الدولة المادية والبشرية . وقد تبوأت هذه الانظمة موقع القيادة في حركه التحرر العربيه بعد ان انضح طابعها المعادي للاستعمار ، والاحلاف العسكرية، في سلسلة من المعارك المشهورة التي شهدتها منطقتنا .

لكن مثلي هذه الشرائح الاجتماعية الوسيطة جاؤا للسلطة وهم ذهنية طبقتهم الاجتماعية بكل خصائصها وملامحها المميزة . فالى جانب العداء للاستعمار والاحلاف العسكرية والعدوان الاسرائيلي ،هناك الخوف من حركة الجماهير الشعبية والطموح لشلها وفرض الوصاية على هذه الجماهير . فنظام عبد الناصر . الذي يعتبر نموذجا لسلطة هذه الشرائح الاجتماعية الوسيطة، حاول منذ البدء تاميم الصراع الطبقي ، وواد الديمقراطيه السياسية ، وما تفرع عن ذلك من منع الحياه الحزبية ، وطرح البديل عنها سياسة التنظيم الواحد او الحزب الواحد . ومعلوم ان هذا النهج تحول الى ظاهرة عامة شملت معظم البلدان العربية بشكل او بآخر ، تحت حجج وذرائع مختلفة ، من "حماية الثورة" ،الى الحفاظ على "الوحدة الوطنية" ..الخ وفي هذا السياق . استفادت كثيرا الانظمة الرجعية العربية من هذه الظاهرة ، لتبرير ارهابها الرجعي ضد الجماهير .

وفي اواخر الخمسينات وبداية الستينات كانت البلدان العربية الرئيسية قد استكملت الاستقلال السياسي وصدت محاولات جرها للاحلاف العسكرية العدوانية ، وراحت تنتقل الى مرحلة اعلى في تعزيز استقلالها ، بتحقيق عدد من الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية التقدمية .اعتبر بعضها ذو طبيعة معادية للراسمالية ؟ وبمعنى آخر تداخلت مهام الثورة الوطنية بمهام الثورة الاجتماعية . لقد كان هذا النمط من الانظمة الوطنية التقدمية ظاهرة عالمية ، على نطاق حركة التحرر الوطني وكانت منطقتنا العربية احد ابرز تجلياتها . لكنها كانت في الوقت ذاته ظاهرة تاريخية جديدة ، تكونت في ظروف تفكك النظام الكولونيالي ، وانهيار امبراطورياته ، وقيام عشرات وعشرات الدول القومية الفتية على انقاضها، وما ترتب على ذلك من ضعف عام للنظام الامبريالي ،وتعاظم جبروت معسكر الشعوب وقوته الاساسية النظام الاشتراكي لقد جرى الاصطلاح ،في مرحلة معينة ،على تسمية مسيرة هذه الانظمة بطريق التطور اللارأسمالي .

وبسبب كونها ظاهرة تاريخية جديدة ، نشات في اطار العملية الثورة التاريخية التي تحدد سمة العصر،وهي الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ،لم يكن سهلا التكهن الدقيق بمدى استمراريه ثوريةهذه الانظمة، ووقعت مبالغات في تحديد افاقها، والتقليل من شأن سلبياتها، وبخاصة العداء للحريات السياسية للجماهير . ان الحصيلة الاساسية لكل ذلك هي تعمية الخطوط الفاصلة بين ايديولوجية الطبقة العاملة وايديولوجية البرجوازية الصغيرة ودوريهما التاريخي .

ان الاجراءات التقدمية التي حددت ملامح هذه الانظمة الجديدة قد تحققت في اطار :

أ ــ تسعير ملحوظ للصراع الطبقي على النطاق الوطني، رغم اجراءات السلطة لطمس تجلياته ،

ب ــ علاقات تعاون مزدهرة مع الاتحاد السوفييتي وبقية البلدان الاشتراكية ،وتصعيد للمواجهة مع الامبريالية ومصالحها في المنطقة ،اي انعكاس الصراع الطبقي الداخلي بشكل من الاشكال على النطاق الخارجي . وقد اضطلع العدوان الاسرائيلي بدور بالغ الخطورة في اطار هذا الصراع الاخير، ولا سيما ضد مصر وسوريه .

وتحت ضغط هذا الصراع الطبقي الداخلي والخارجي واخذا في الحسبان حقيقة كون البرجوازية الصغيرة لا تستطيع ان تحكم لذاتها ،حيث تكرست هذه الحقيقة تاريخيا منذ ثورة اكتوبر وتحدد الاستقطاب في اتجاه القطبين : الرأسمالي والاشتراكي .فاما ان تحكم آخر الامر، لصالح الطبقات العليا في المجتمع او الطبقات الدنيا، فلم تمض سوى سنوات معدودة حتى كان قد تم فرز هذه الانظمة .ففي حين انعطف اليمن الديمقراطي يسارا انحرفت كل من مصر والسودان والصومال والعراق يمينا وبقيت الجزائر وسوريه تراوحان مكانهما نسبيا ،بعد ان

توقفت عملية التقدم الاجتماعي فيهما . ومن مظاهر هذه الحالة وانعكاساتها في السياسة الخارجية ، عدم هدم الجسور مع الامبريالية،رغم تفاقم مؤمراتها وتحديدا الامريكية، هذا من جانب ،ومن الجانب الاخر،عدم الارتفاع بالتحالف مع الاتحاد السوفييتي الى المستوى الاستراتيجي . ويقينا ان حالة المراوحة هذه تشكل وضعا مؤقتا ،ولا بد ان تتحولا اما يمينا او يسارا وفقا لتوازن القوى الطبقي محليا ،وفعل العوامل الخارجية المؤثرة . ان مجمل التغيرات التي طرات على الانظمة المذكورة قد جرت في اطار الصراع الطبقي السالف الذكر، وعلى قاعدة التحولات الاقتصادية|الاجتماعية، التي حولت ليس فقط الدور الطبقي للسلطة في هذه البلدان ،بل وقبل ذلك الوضع الاجتماعي للفئة الحاكمة .وعليه ،يمكن القول بثقة انه اذا استثنينا ليبيا ، بسبب تخلف التكوين الطبقي فيها حتى الان ، لم تعد هناك سلطة في العالم العربي تنتمي فعلا للبرجوازية الصغيرة والمتوسطة وتجسد مصالحها،ولو ان هذه الانظمة التي ارتدت والتي جمدت تواصل الحكم

Digitized by Birzeit University Library

بدهشة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة واحيانا كبيرة حتى باساليبها . وبهذا المعنى ،فان ارتداد عددمن الانظمة التي يكونت في البلدان كما اشلفنا من ممثلي شرائح البرجوازية الصغيرة والمتوسطة، لا يعني بحال من الاحوال ان البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ،او على وجه التحديد : اقسامها الاساسية ،لم يعد تشكل جزءا من حركة التحرر العربية ،او كما يحلو لبعض المتطرفين تسميتها بالخيانة كطبقة ان هذه الانظمة التي ارتدت وخانت ،انما خانت ،في الوقت نفسه اصلها الطبقي ، اي تلك الاقسام الواسعة من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ومصالحها ،وهي الاكبر عددا ،حتى الان ، في مجتمعاتنا العربية المتخلفة ،وهي حليف اساسي للطبقة العاملة خلال مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . لقد حدث ارتداد هذه الانظمة وخيانتها لانها غيرت ولاءها وانحازت لخدمة الطبقات والشرائح العليا في المجتمع ،هذه الطبقات والشرائح التي تضعها مصالحها الطبقية خارج اطار حركة التحرر العربية ،بل وضدها. ولكن واقع ان الاقسام الاساسية من البرجوازية الصغيرة ،تشكل جزءا هاما من حركة التحرر العربية ، وحليفا اساسيا للطبقة العاملة خلال مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية، وذلك بعد ان انسلخت عنها بعض شرائحها ، ضمن عملية تاريخية لن تنتهي الا باختفاء هذه الطبقة الوسيطة من المجتمع . ان كل ذلك لا يعني ان عودة اي فئة وطنية من هذه الطبقة لاحتكار السلطة والعائد هو المخرج المضمون من ازمة حركة التحرر العربية . بل سيعني عودة طريق الارتداد باشكال اكثر مأساوية وجذاعة. ان البديل ـ في اعتقادنا ـ هو تحالف وطني تضطلع الطبقة العاملة فيه بدور متزايد التأثير والفعالية

■

بعض النتائج الاساسية لهذه الحقيقة

اذا كانت الحقيقة التي تبدأ بوصول ممثلي البرجوازية الصغيرة والمتوسطة الى مواقع السلطة في عدد من البلدان العربية الاساسية ، منذ بداية الخمسينات ،هي احدى فترة في العطاء الثوري خلال محمل تاريخ حركة التحرر العربية المعاصر ففي احتائها ايضا ولدت ومنت عوامل ازمة هذه الحركة التي نحن بصددها ،ومن هذه العوامل الاساسية :

ـ كرست هذه الحقيقة ظاهرة كبت الحريات الديمقراطية وتعميم هذه الظاهرة .

ـ خلقت تلك الانظمة خلال نهوضها الثوري باجراءاتها التقدمية ومناهضتها للاستعمار والاصبرالية من جانب، وكبت الحريات وتغييب الجماهير من الجانب الاخر، حالة من الاتكالية لدى الجماهير لم يتم التخلص منها بعد ،كما تاكد محددا خلال حرب لبنان احدثين في الحسبان التركيب الطبقي لمجتمعاتنا ،حيث ان البرجوازية الصغيرة تشكل الطبقة الاوسع عددا في المدينة والريف .

ـ حدثت هذه السابقة المزدوجة ، مع الزمن ،ميدان نشاط التنظيمات والاحزاب الثورية وحصرته الى حد كبير في معالجة القضايا السياسية ، بينما كانت الخيوط القوية التي تربط هذه التنظيمات والاحزاب بالجماهير العريضة ، تتصل بالدفاع والتبني اليومي لقضايا هذه الجماهير الاقتصادية والاجتماعية قبل كل شيء ،مما يشكل معبرا مضمونا لكسب ثقتها وولائها السياسي .

وفي ظروف غياب الرقابة الشعبية ،تحول جهاز الدولة البرجوازي وقطاع الدولة في هذه الانظمة الذي قام في البلد، بدور ثوري مرموق في دفع عجلة التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي الى الامام ، الى اكبر مصنع لتفريخ البرجوازية البيروقراطية ،التي التفت مصالحها مع الشرائح الطفيلية والكومبرادورية لتشكل مجتمعه شريحة اجتماعية بالغة الخطورة على الاستقلال الوطني ،الاقتصادي والسياسي ، وتدفعها مصالحها اكثر فاكثر الى الغربة عن الوطن ومصالحه ، بينما تغرب بها اكثر فاكثر من الاحتكارات الدولية وسياساتها الاستعمارية في المنطقة .وفي هذا المصار ،لعب البيروقراطية المتدفق بكميات هائلة نسبيا على جيوب الانظمة الرجعية دورا خطيرا في تسارع عملية تكوين ونمو الشرائح الطفيلية ، وتغيير موازين القوى لصالحها في عدد من البلدان العربية الاساسية اي التي ارتدت وانتكست .كما تشكل هذه الشرائح وعملية نمو دورها الاقتصادي والسياسي الخطر الاكبر على الانظمة التي توقف فيها عملية التطور التقدمي وراحت تراوح مكانها .

وباختصار: فمجموعة هذه الانظمة ،وعلى راسها مصر التي كانت تشكل القوة الضاربة لحركة التحرر العربية وبالتالي: قيادة هذه الحركة خلال مرحلة معينة من تاريخها المعاصر، نفسحت ـ اي هذه القيادة ـ وارتد معظمها ، بينما راحت البقية ـ اذا استثنينا اليمن الديمقراطي ـ تراوح مكانها ، تشلها عن ممارسة دور القيادة الفعلي والوفاء بالتزاماته . التناقضات المتفاقمة داخل مجتمعاتها وانعكاسات ذلك عليها كسلطة هنا يكمن السبب الرئيسي لازمة حركة التحرر العربية . انها ازمة هذه القيادة ، التي استنزفت بسرعة خاطفة بالمقاييس التاريخية ، دورها القيادي. واذا كانت ازمة حركة التحرر العربية هي ازمة غايرة ومؤقتة ،حيث يتضح البديل الذي لهذه القيادة المترددة والعاجزة ، فان ازمة هذه القيادة ،بتركيبتها الطبقية، هي ازمة دائمة ولا شفاء منها.

بالاضافة الى هذا السبب الرئيسي لازمة حركة التحرر

Digitized by Birzeit University Library

العربية والظواهر السلبية التي رافقت هذه القيادة ، سواء خلال صعودها او تردیها ، مثل كبت الحريات وخلق مشاعر الاتكالية ،هناك عوامل موضوعية اساسية لعبت وتلعب دورها في اضعاف الروابط النضالية بين الشعوب العربية ، وفي ابطاء عملية نضوج البديل الثوري.

١ ــ تفاقم الفوارق بين مستويات تطور البلدان العربية

ان تاريخ البلدان العربية ،ما قبل الاستقلال السياسي يكشف عن ان الفوارق بين مستويات تطورها كانت محدودة ولم تتعمق هذه الفوارق كثيرا بعد تحقيق هذا الاستقلال السياسي. لكن مداخيل النفط ، وبخاصة بعد عام ١٩٧٣، عندما تضاعف سعر النفط اربع مرات دفعة واحدة ، وارتفعت وتائر استخراجه ، قد عمقت هذه الفوارق بشكل غير عادي بل وخارق. ونتيجة هذا العامل فان بلدا مثل دولة الامارات بلغ متوسط دخل الفرد فيه لعام ١٩٨٠ (وفقا لتقرير البنك الدولي لعام ١٩٨٢) ٣٠٠٧٠دولار ــ وهو ما يزيد بعشرين ونصف المرة على معدل دخل الفرد في الولايات المتحدة في العام نفسه،هذا بينما لم يتجاوز معدل دخل الفرد ، في العام نفسه في الصومال ٢٠٠ دولار (٢) . ولو جاء هذا الارتفاع غير العادي في الدخل الوطني على اساس الفرد من السكان ،في الدول النفطية نتيجة تطور القوى المنتجة في الصناعة والزراعة ،لجلب معه تغييرات اجتماعية ثورية ،وقبل كل شيء، طبقة عاملة عصرية. لكن هذا الدخل الناجم عن عائدات النفط في المقام الاول ،قد ادى، في ظل الانظمة الرجعية ، الى تحويل المجتمعات المعنية تحويلا مشوها ، وافرز مجتمعات استهلاكية على نحو لا شبيه له. فالسعودية ، مثلا ،تحتل المركز الثاني عشر كاكبر سوق تجارية مستوردة في العالم . مع ان مجمل دخلها القومي اقل بعشرين ونصف من بلد كايطاليا ، ذات تطور صناعي متوسط، وما من شك في ان ابرز واخطر نتائج المجتمع الاستهلاكي هو تعزيز الفردية لدى المواطن. وهذا العرض لم يعد محصورا في البلدان الرجعية المنتجة للنفط وحدها ،والتي تسخر مداخيلها في الاساس ، للانفاق الاستهلاكي ،بل انه يمتد الى بلدان اخرى ترتبط ماليا بدول النفط.

ويمكن الاعتقاد ان استمرار وترسيخ الفوارق الشاسعة بين تطور ومداخيل مختلف البلدان العربية ،وبخاصة على قاعدة الانفاق الاستهلاكي ، قد يصل حدا يجعل من غير العلمي ولا الواقعي التحدث عن حركة تحرر عربية ،بل حركات تحرر عربية ،آخذين في الحسبان كذلك ،طرائق التطور المختلفة للبلدان العربية المختلفة ،وتباين المراحل التاريخية التي يمر بها كل بلد وكل شعب من الشعوب العربيـــة ..

لقد تجاوز تأثير البترودولار ــ بالطريقة التي تتصرف به الدول النفطية الرجعية على وجه الخصوص،حدود تشويه بنية المجتمع واسلوب تفكيره،الى التأثير السلبي الخطير في انظمة وحركات وتنظيمات سياسية مختلفة في العالم العربي. فعلى صعيد الانظمة اسهم ،بطريقة اتفاقه التي تحددها الدول النفطية الرجعية في الاساس في خلق وتضخم شرائح البرجوازية البيروقراطية والطفيلية التي كانت في اساس الانتكاسات التي وقعت في عدد من البلدان العربية التي كانت معادية للامبريالية وذات توجهات تقدمية،اما على صعيد الحركات والتنظيمات السياسية والثورية ،فقد كان وسيلة تأثير مرموقة وفعالة في ايدي الدول النفطية،اسهم في اضعاف استقلالها هذه الحركات والتنظيمات ،بقدر او اخر ،سياستها وتكتيكاتها من واقع جماهيرها وافقدها ،بالقدر ذاته الثبات السياسي والذي يتجلى عادة في المنعطفات الحادة ،وادى الى ظواهر غريبة وغير مالوفة كنشوء شريحة برجوازيـــة بيروقراطية داخل الثورة الفلسطينية ،وقبل ان تتحول هذه الثورة الى سلطة .وغني عن القول ،ان هذا لا يعني الاستخفاف كسبدأ عام بعنصر المال الذي يسهل امكانات الحركة والنشاط.

٢) اليد العاملة المتنقلة : اذا كانت هجرة اليد العاملة بمقاييس متزايدة ،هي ظاهرة عالمية في النظام الرأسمالي ،فان هذه الظاهرة تتخذ شكلا عاصفا في العديد من البلدان العربية ،حيث يجري استقطابها في بلدان النفط بشكل خاص،مثلا ،هناك اكثر من ثلاثة ملايين مصري يعملون خارج وطنهم ،وبخاصة في بلدان النفط العربية. وبلد مثل الاردن لا يصل تعداد سكانه ثلاثة ملايين يبلغ عدد العاملين في الخارج من ابنائه اكثر من ثلاثمائة الف. وبالمقابل فبلد مثل السعودية لا يزيد عدد سكانه الحقيقي على اربعة ملايين ،يبلغ العمال الاجانب غير العرب فقط فيه اكثر من مليون وربع المليون ،كما تشير مجلة "الشرق الاوسط" التي تصدر بالانكليزية في لندن في عددها رقم ١٠٠ الصادر في شباط الماضي. ونشير دراسه للبنك الدولي منشورة في ذلك العدد ايضا من مجلة "الشرق الاوسط" الى ان المجتمع الاجنبي في الدول السبع المستوردة لليد العاملة (البحرين ،الكويت ،ليبيا ،عمان ،قطر ،السعودية ، دولة الامارات)بلغ تعداده عام ١٩٧٥ ٣٫٢ مليون في هذه البلدان ،وسيبلغ عام ١٩٨٥ حوالي ١١ مليون (٣) . وهذا يساوي مجموع السكان الاصليين لهذه البلدان مجتمعة. ان هذا التحرك غير العادي للعمال والشغيلة يعرقل عملية التعاسك والتنظيم لهم .وبالتالي : التبلور والصراع الطبقي . واخطر ما في الامر هو اليد العاملة غير العربية وفي الاساس من جنوب وجنوب شرقي اسيا التي تتزايد بشكل ملحوظ كما يشير تقرير البنك الدولي الانف الذكر،لانهم ،اي هؤلاء العمال غير العرب ،معزولون.

Digitized by Birzeit University Library

يمكن مراقبتهم بسهولة كبيرة.." وكما وصفتهم في اكتوبر الماضي صحيفة الخليج "التي تصدر في دولة الامارات: انهم تلك المجموعات المتراصة والمدربة عسكريا التي تعيش في معسكرات ،والتي جلبتها الشركات الاجنبيه الى البـــلاد .

من الواضح ان هذا الوضع غير العادي يعرقل نضوج البديل الثوري ،اي الطبقة العاملة ،للقيام بدورها التاريخي كنواة صلبة لاي تحالف ثوري مقدر له ان يخلف القيادة البرجوازية العاجـزة .

× × ×

بالاضافة الى جميع هذه المسائل ،لا بد ،لدى الاقتراب من قضايا حركة التحرر العربية ،الاخذ فـي الحسبان خصائص هذه الحركة وابعادها .ذلك ان لهذه الحركة ،ثلاثة ابعاد وليس مجرد بعدين كما هي الحال بالنسبة لاية حركة تحرر وطني اخرى .هناك البعد الوطني او المحلي والبعد القومي بالمعنى الواسـع للكلمـة (PAN ARAB) والبعد الدولي .وتكتسب أهمية خاصة في هذا الصدد مسألة تحقيق التجانس والتناغم بين هذه الابعاد الثلاثة لدى تجنيدها في المعركة .ويلاحظ أن الاخلال بتوازن العلاقة بين هذه الابعاد الثلاثة يشكل أحد مؤشرات الانحراف .فعندما انحرف السادات راح يركز على البعد "المحلي" .وكانت حجته لتبرير توقيعه اتفاقات كامب ديفيد ان مصر حاربت وتكبدت ما فيه الكفاية من أجل القضايا العربية الاخرى. من جانب آخر يلاحظ أن الرجعية العربية تسعى لفرض وصايتها على الشعب الفلسطيني واستلاب استقلالية قراره السياسي بالتركيز على دور البعد القومي والمبالغة فيه على حساب البعد الوطني .وكان هذا المدخل هو الذي اجهضت الرجعية العربية عبره نضال شعبنا الفلسطيني عام ١٩٣٦ وعام ١٩٤٨ .ومن جانب ثالث ،تعالي انفوق الرجعية والقومية المنعصبة في دور البعد القومي على حساب البعد الدولي او الاممي .فالقوى الرجعية وعلى رأسها حكام السعودية ،اذ تعجز ،اليوم ،عن الدفاع المكشوف عن الامبريالية الامريكية بسبب افتضاح عدائها الكامل للشعوب العربية ،وقضايا تحررها تدعو الى الابتعاد المتساوي عن النظامين والانطلاق القومي بنية عرقلة انعطاف الشعوب العربية نحو تعزيز علاقتها بالمنظومة الاشتراكية ،نصيره قضاياها التحررية. وكان هذا هو هدف صدام حسين عندما طرح "ميثاقه القومي" عقب توقيع السادات لاتفاقيات كامب ديفيد ، قاصدا تحويل سورية عن توجهها آنذاك نحو تعزيز علاقاتها مع الاتحاد السوفييتي ،في ضوء تفاقم احساسها بالخطر الجدي ،بعد ان بقيت دوله المواجهة الفعلية الوحيدة.

ولكن لا بد ،في الوقت ذاته ،من ملاحظة وجود فهم مغلوط للدور الدولي ،وتحديدا دور الاتحاد السوفييتي ، في درء العدوان الامبريالي ــ الاسرائيلي . أن هذا الفهم يريد من الاتحاد السوفييتي أن يقوم ايضا بدور القوى الوطنية والقومية في المنطقة ،لا ان يكون سندا لها وهي معباة وتخوض النضال ،اي مطالبة البعد الدولي بأن يلعب دور البعدين الوطني والقومي ،سواء كليا اوجزئيا .لقد لوحظ مثل هذا الشعور او الفهم المغلوط ،خلال حصـار بيروت ،وهو يعكس قدرا من روح الاتكالية الساذجة ..

× × ×

وللالمام بجميع المصاعب والمشاكل الاساسية التي تواجه حركة التحرر العربية والتي قادت الى ازمتها الحالية ،لا بد من الاخذ في الحسبان حجم وتركيز جبهة الاعداء وهجومها على هذه الحركة ،والتي اسهمت في الاسراع باظهار عجز القيادة المنفردة لهذه الحركة .

فالولايات المتحدة التي تتصدر وتقود جبهة الاعداء في منطقتنا منذ اواسط الستينات بنوع خاص ــ كما اكد عدوان ١٩٦٧ ــ لا تنظر الى منطقتنا باعتبارها مجرد مصدر ارباح تدر المليارات من الدولارات على احتكاراتها سنويا ،بل باعتبارها موقعا استراتيجيا عسكريا تزداد اهميته في ضوء تطور الاسلحة العصرية من جهة ،وازدياد مقاومة الشعوب الاوروبية لمشاريع الولايات المتحدة العسكرية في اوروبا من الجهة الاخرى ،اي باعتبار منطقتنا رديفا عسكريا لاوروبا في أي براع دولي ،لقربها من حدود الاتحاد السوفييتي الجنوبية ،هذا اولا ،وثانيا ،لان نفط الشرق الاوسط يشكل احد العناصر الاساسية بيد الولايات المتحدة للاحتفاظ بنفوذها وهيمنتها على اوروبا الغربية. لقد تأكدت هذه الحقيقة ،بنوع خاص ،خلال ازمة النفط في ١٩٧٣ .حينئذ استغلت الولايات المتحدة تلك الازمة وابتزت "حليفاتها" في اوروبا الغربية ليس فقط اقتصاديا ، بل وسياسيا عن طريق فرضها تجديد معاهدة حلـف الاطلنطي التي انتهى مفعولها آنذاك ،وفق شروطها هي.

ان هذا الواقع المتميز الذي تحتله منطقتنا فـي استراتيجية واشنطن يفسر لنا هذا التكالب غير العادي للولايات المتحدة لبسط هيمنتها واحكامها على هذه المنطقة .ولم يكن من باب المصادفة انه عندما قررت واشنطن التخلي عن سياسة الانفراج الدولي والتحول الى سياسة المواجهة أواخر ١٩٧٧ كان أول تجليات هـذا التحول في الشرق الاوسط حيث جرى اجهاض اتفاق عروميكو ــ فانس الداعي لانعقاد مؤتمر جنيف فورا لمعالجة ازمة الشرق الاوسط. ومنذ ذلك الحين ،قامت

Digitized by Birzeit University Library

واشنطن سلسلة متلاحقه من الخطوات الخطيرة للغايه لتحويل الشرق الاوسط الى احد المراكز العسكريه الاشد خطورة على سلام العالم . وقد اعلنت واشنطن منابع النفط في الخليج العربي منطقه مصالح حيويه امريكيه ، ثم اعلنت بعد الاطاحه بالشاه تشكيل قوات الانتشار السريع والمقدر عددها بمئتين وثلاثين الف رجل ، واعلنت مؤخرا مقر قياده ميدانية لهذه القوات الخطرة في جزيرة دييغو غارسيا في المحيط الهندي ، والى جانب ذلك ، عقدت سلسلة من الاتفاقات منحتها تسهيلات عسكريةفي موانئ عدد من بلدان المنطقة ،كمصر والصومال وعمان ، وشكلت اللجان العسكرية المشتركة مع كل من السعودية والمغرب ، وحولت شبه جزيرة سيناء الى قاعده لقواتها وقوات حلف الاطلنطي ،وفقا لاتفاقات كامب ديفيد ، وباشرت فعلا بتحويل لبنان الى قاعدة معاثلة ، وتوجت ذلك باعلان الاتفاق الاستراتيجي مع اسرائيل من جهة ، وسعيها لتحقيق ما يسمى بالاحتاج الاستراتيجي ،من الجهة الاخرى ،وهو نوع من الحلف العسكري تنتظم فيه دول المنطقة تحت المظلة الامريكية ، بعد تصفيه بؤر المقاومة في المنطقة .

■ ■ ■

وللمزيد من ادراك مستوى تركيز واشنطن على منطقتنا يكفي ان نقارن ما تقدمه واشنطن من مساعدات عسكرية لاى نظام رجعي في العالم بما تقدمه لاسرائيل . فالنظام الرجعي في السلفادور الذى تبذل واشنطن جهودها لانقاذه ودحر الثورة ضده ،لا يزيد حجم مساعداتها العسكرية له على مئتي مليون دولار لهذا العام بينما بلغ حجم المساعدات العسكرية الامريكية المعلنة لاسرائيل هذا العام ٢٫٤٨٥ مليار دولار ، وهو نفس حجم مساعدات العام السابق . وبشكل هذا الرقم مع المبلغ المخصص للنظام المصرى المنتظم بدوره منذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد في مخططات واشنطن في المنطقة ، وهو ٢٫٧٥ مليار دولار . يشكلما هو مخصص لاسرائيل ومصر لهذا العام ، نصف مجموع المساعدات الامريكية الخارجية والبالغة ٩٫٢ مليار دولار لعام ١٩٨٣ . وفي الوقت ذاته ، يتاكد كل يوم ان واشنطن تقدم لاسرائيل اكثر اسلحتها التقليدية (اى غير النووية) تقدما وحداثه ،بل ان بعض الاسلحة الجديدة يجرى تجريبه على ايدى القوات المسلحة الاسرائيلية ،كما تاكد خلال حرب لبنان . هذا ، وعلم مؤخرا ان واشنطن تعتزم تزويد اسرائيل بصواريخ كروز التي تستطيع حمل رؤوس نووية .

وانه لذو مغزى في هذا الصدد ، ما ادلى به شارون ، في ١٩٨٢/٨/٣٠ عندما كان وزيرا للحرب في اسرائيل للصحفية الايطالية اوريانا فلاشي ، حيث اكد تصريحات كان قد ادلى بها قبل عام وحاء فيها : ان أمن اسرائيل الاستراتيجي لا يقتصر على الاقطار العربية في منطقة الشرق الاوسط والبحر الابيض والبحر الاحمر ، وانما يشمل أمن اسرائيل الاستراتيجي في الثمانينات اقطارا مثل تركيا وايران وباكستان والخليج ومناطق في افريقيا ،اى شمال ووسط افريقيا ايضا .

من جانب آخر ،فان الانفاق العسكرى السعودى يلقى ، بدوره ،ضوءا على عملية عسكرة المنطقة ،وبخاصة تحويلها الى قاعدة ضخمة لتحرك القوات والاسلحة الامريكية . فالانفاق العسكرى السعودى قد بلغ ٢٤٫٤ مليار دولار سنويا ،في حين ان حجم القوات المسلحة السعودية لا يتجاوز ٥٢ الفا و٢٠٠ رجل . ومن السذاجة الاعتقاد بأن هذه المبالغ البالغة الضخامة هي للانفاق على هذا الجيش الصغير نسبيا . ففي السعودية الآن ، ٣٠ الفا من العسكريين الامريكيين والعاملين في مجال الصناعات الحربية ، سيرتفع عددهم الى ١٠٠ الف عام ١٩٨٥ بعد وصول طائرات الاواكس ونوابعها . وتم حتى الان بناء مدينتين عسكريتين طاقتهما الاستيعابية ١٦٠ الف جندى ،اى ثلاثة اضعاف حجم القوات المسلحة السعودية ،بكلفه ٢٠ مليار دولار ، ويجرى بناء اربع مدن عسكرية اخرى (٤) . ومن اصل ٢٢ مليار دولار ،هي مجموع قيمة المبيعات العسكرية الامريكية لعام ١٩٨٢ ، كان نصيب السعودية وحدها من هذه المبيعات ما قيمته ١٠٫٩ مليار دولار ،أى نصفها من ضمنها طائرات الاواكس .

ولدى الحديث عن الوجود العسكرى الاجنبي في السعودية ،ينبغي عدم اغفال ملاحظة صحيفة "الخليج" التي وردت سابقا ،حول "العمال" الاجانب من جنوب وجنوب شرقي آسيا والمدربين عسكريا ." .

ويمكن الاعتقاد في ضوء كل ذلك ،ان منطقتنا تتجاوز اية منطقة من مناطق حركة التحرر الوطني في العالم ،من حيث العسكرة وحجم الجيوش والانفاق الحربي وتحشيد الاسلحة ،آخذين في الحسبان اسرائيل وطاقتها العسكرية القوية .

واذا كان هذا الواقع قد اسهم في الاسراع بالوصول بالقيادة البرجوازية لحركة التحرر العربية الى حالة العجز التي وصلت اليه ، فانه يشهد بدوره على ان الولايات المتحدة التي تقود هذه العملية ،بما في ذلك تحشيد قواتها واساطيلها تدرك مدى حيوية حركة التحرر العربية من جهة ،ومن الجهة الاخرى ، تشكل في قدرة الانظمة الرجعية العربية على لجم هذه الحركة والسيطرة عليها .

بالاضافة الى ذلك هناك مغزى اساسي ينبغي استخلاصه

Digitized by Birzeit University Library

وبخاصة من الاسهام البالغ السخاء للسعودية في الانفاق العسكري لصالح مخططات واشنطن في المنطقة، ولخدمة مواقعها، وهو مدى البعد الذي قطعته عملية الفرز الطبقي في منطقتنا، والوعي الطبقي لهذه الرجعيةالتي ربطت مصيرها نهائيا بمصير قوى الرجعية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة، وان ما تدفعه لاية دولة او حركة معادية للامبريالية في المنطقة، من فتات هو في الاساس بهدف التمويه والتخدير، وايضا في نطاق عملية افساد طويلة النفس نسبيا، كما اكدت تجارب البلدان التي انتكست.

وفي ضوء ما تقدم يأتي السؤال الاخير: هل الازمة هي ازمة حركة التحرر العربية بجميع طبقاتها وفئاتها الاجتماعية، أم هي ازمة طبقة او فئة طبقية معينها؟ وهل هي ازمة قيادة هذه الحركة فقط ام كذلك ازمة البديل الثوري معـــــا ؟ .

كما اسلفنا، فنحن نعتقد بوجود هذه الازمة. وقد استعرضنا ابرز مظاهرها واسبابها، ومن ذلك نتوصل الى انها ازمة تلك الشرائح من البرجوازية التي استأثرت بقيادة هذه الحركة ـ عبر السلطة ـ منذ بداية الخمسينات وخلال مرحلة هذه القيادة، كان دور الجماهير مغيبا، قسرا وبخاصة الطبقة العاملة ودورها المستقل، وكانت احراب الطبقة العاملة موضع اضطهاد ومطاردة مستمرة، هذا من جانب، أما من الجانب الاخر: فقد وضعت خلال هذه المرحلة موضع التطبيق والممارسة جميع اجتهادات الفكر القومي البرجوازي لمعالجة القضايا القومية الاساسيـــة وبخاصة قضيتي الوحدة العربية والقضية الفلسطينية. لكن كما هو معلوم، كانت النتيجة الفشل الكامل. وفي اعتقادنا انها فشلت، بالضبط، من موقع تعارضها مع سياســـة وبرنامج الطبقة العاملة في معالجة هذه القضايا الاساسية. وبهذا المعنى، فالذي انهزم في الحروب مع اسرائيل، خلال تلك المرحلة، كان الفكر القومي البرجـــوازي، وممارساته بمافيها سياسة العداء للجماهير وتغييبها قبل اي شيء اخر. فاين هي مسؤولية الطبقة العاملـــة وايديولوجيتها في هذه الازمة وهذه الهزائم؟ كي نقبل الحكم بان الازمة هي ايضا ازمة البديل الثوري؟ هل وضع موضع التطبيق ولو مرة واحدة برنامج الطبقة العاملة لمعالجة القضايا القومية الكبرى، كالوحدة العربية والقضيـــة الفلسطينية وفشل لنحكم بأن الازمة تشمل ايضا هذه الطبقة وايديولوجيتها؟ هل كانت هذه الطبقة في السلطة في أي بلد عربي من بلدان المواجهة مع اسرائيل وهزمت امام العدوان الاسرائيلي ـ الامبريالي لنصدر عليها هذا الحكم «الجائر»؟

ان نضوج أي حزب للطبقة العاملة ليكون البديل الثوري في بلده، لاتحدده في المقام الاول اعتبارات ذاتية او قرار اداري بل ظروف موضوعيه، ينبغي على العامل الذاتي، بنشاطه الثوري المبرمج ان يسعى لانضاجها في اقرب وقت ممكن. واذا فهمنا الامر خلافا لذلك، فاننا سنضع في قائمة البدائل الثورية المأزومة احزابا مجيدة للطبقة العاملة تناضل منذ اكثر من سنين عاما، مثل الحزب الشيوعي الفرنسي وغيره. قد يكون ممكنا، وهو كذلك، الحديث عن تقصيرات او اخطاء تكتيكية لاحزاب الطبقة العاملة في البلدان العربية، هنا او هناك، لهذا الحزب او ذاك. لكن هذا شيء واعتبار هذه الاحزاب تعيش حالة الازمة شيء آخر كليا. ان الحياة تؤكد كل يوم صحة ومصداقية برامج واهداف احزاب الطبقة العاملة في البلدان العربية من حيث الاساس، في معالجة هذه القضايا القومية وقضايا تحرر وتقدم شعوبها. والقوميون الاكثر ثورية واستنارة يقتربون اكثر فاكثر من قبول وتبني هذه البرامج والاهداف. ان الازمة هي ازمة الفكر القومي البرجوازي وممارسته، ذلك الفكر الذي اخذ يتحدث بهلع بعد معركة بيروت عن: "٠٠ الواقع العربي المهزوم نفسيا وعسكريا" وعن "قطار الموت الصهيوني٠٠" (٥)، وفي الوقت نفسه، يتشبث، اكثر من أي وقت مضى، بكل اللاءات ويطن بدون أي شعور بالمسؤولية او فهم للواقـــع وتعقيداته "رفضه وادانته لقرارات فاس٠٠" والتمسك بـ"٠٠ التحرير الكامل للتراب الوطني الفلسطيني". ان مثل هذه النماذج الصارخة والمتناقضة بالقدر ذاته، التي تجسد وتعكس الازمة ومصدرها لا تقع تحت حصر. وهل ترانا بحاجة للتذكير بميثاق صدام حسين وسياسته القومية حين كان يتهم كل من يقبل بأقل من التحرير الكامل لفلسطين، ولو مرحليا، بالخيانة القومية، لينتقل بعد ذلك مرة واحدة الى التحالف المكشوف مع نظام السادات وخلفه حسني مبارك، الذي خان "أي كامب ديفيد، ليس فقط القضايا القومية وبخاصة القضية الفلسطينية، بل والقضية الوطنية المصرية قبل كل شيء٠٠

ان تعميم الازمة على جميع الطبقات الوطنية في المجتمع العربي، وعلى القيادة الحالية لحركة التحرر العربية وبديلها الثوري، ليس فقط غير صحيح وغير علمي ـ من وجهة نظرنا ـ بل ويستهدف، سواء عن وعي او بدونه:

(أ) تبرئة القيادة البرجوازية من مسؤوليتها عن جميع النكسات والهزائم التي لحقت بالشعوب العربية وحركة تحررها نتيجة لسياسة هذه القيادة وممارساتهـــا .

(ب) سد الافق امام الجماهير العربية ودفعها الى حالة اليأس ما دامت ليست القيادة فقط بل وبديلها الثوري في ازمـــة .

× × ×

ان تشخيص الازمة ليس الا المدخل لمحاولة تحديد

Digitized by Birzeit University Library

الوسائل لتجاوزها والتحرر من اسارها واذا كانت استراتيجية احزاب الطبقة العاملة في البلدان العربية صحيحه من حيث الاساس، والحياة تزكيها من جديد، فان هذا لا يمنع بل يؤكد مراجعة اساليب العمل والتكتيك بلا انقطاع للتلاؤم مع المتغيرات. وهذا ما راح يتطلبه الوضع المعقد الذى تجتازه حركة التحرر العربية. واذا كان تشخيص اساليب العمل والتكتيكات يخضع لكل حزب حسب الظروف الوطنيه فان هذا لا يمنع من التعرض لعدد من القضايا العملية التي لها صفة الشمول والانتشار في العالم العربـــــــي ..

(١) على النطاق الوطني :

من اجل الاسراع في انضاج البديل الثورى عبر الالتحام بالجماهير العريضة، لامناص من كسب معركة الحريات السياسية . لكن كسب هذه الحريات لن يتحقق كمنحه من الانظمة السائدة في العالم العربي، علـــى اختلافها، وليس من سبيل مضمون، ومجرب، الى ذلك سوى ايلاء اكبر قدر من الاهتمام لقضايا الجماهير الشعبية العريضة اليومية: الاقتصادية والاجتماعية، وعدم الاكتفاء بالتقدم اليها بالشعارات السياسية وحدها. من خلال هذا المعبر المضمون لكسب ثقة الجماهير العريضة، يمكن جرها للانخراط في المعارك المختلفةوفي المقدمة معركة الحريات السياسية. فالحريات السياسية، بالنسبة للجماهير العريضة ليست حرية التعبير عن موقف او راى سياسي او فكرى في المقام الاول، بل هي، قبل كل شئ، حرية التعبير عـــن متطلباتها وحاجاتها المعيشية. وان تجربة الاراضـــي المحتلة، عبر صيغ واشكال مرنة ومختلفة من التنظيم لتعبئة الجماهير في الدفاع عن مصالحها اليومية تصلح مثالا في هذا الصدد كتشكيل لجان العمل التطوعي، ولجان الاغاثة الطبية وسواها، التي تغطي المناطق المحتلة. ذلك انه حتى الجماهير تحت الاحتلال لا يمكن كسب ثقتها بالشعار السياسي وحده، اما على النطاق القومي، فلا بد من تجاوز الاطر البيروقراطية التابعة للانظمة، كؤتمر الشعب العربي، الذى ثبت فشله وشلله خلال الغزو الاسرائيلي ـ الامريكي للبنان، ودلك عبر عملية تنظيم وتحريك الجماهير دون ان يعني ذلك ابدا، اسقاط اى اسهام لهذه الاطر تكون قادرة عليـــه

(٢) كشفت الحالة السلبيه للجماهير العربية العريضة خلال حصار بيروت، ان الحافز القومي وحده لم يعد قادرا على تحريك هذه الجماهير، وذلك بتاثير مجموعة العوامل التي اشرنا اليها سابقا. في حين اثبت التضامن الاممي فعالية وجوده، في هذا المضمار، بتحريك المظاهرات الجماهيرية في العديد من العواصم الاجنبية. ان المغزى الذى يجب استخلاصه من ذلك، هو ضروره التدخل بين حوافز التضامن القومي والتضامن الاممي في الساحة العربية. والمؤهل لعبادة هذه العملية هي احزاب الطبقة العاملة في البلدان العربية، ان هذا يعبر. قبل كل شئ عبر تطوير اشكال التعاون والتنسيق بين هذه الاحزاب اولا، وبينها وبين مختلف التنظيمات والحركات القومية التقدمية في البلاد العربية ثانيا، وبين مجموع هذه الحركة العريضة والحركات الثورية الدولية ثالثا، وفي مقدمتها البلدان الاشتراكية واحزاب الطبقة العاملة .

(٣) ان حالة الارهاق التي تعانيها حركة التحرر العربية، في هذه المرحلة، جراء تفاقم الهجوم الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي العربي، لا تتيح تحقيق الانتصار على مختلف جبهات المواجهة مع جبهة الاعداء. ومن اجل انتزاع زمام المبادرة من جبهة الاعداء، والبدء بتعديل ميزان القوى المختل لصالح جبهة الاعداء، حتى الان، وتحاشيا للبعثرة غير المجدية للقوى في هذه المرحلة الدقيقة، من الضرورة بمكان، تركيز جهود الحركة الثورية في البلدان العربية على اكثر البؤر المهيأة للتغيير الثـــورى .

(٤) اتقان جميع اشكال النضال والعمل الثورى. ذلك ان منطقتنا تواجه ليس فقط العدوان الامبريالي ـ الاسرائيلي المتواصل، الذى يفرض بالضرورة هذا الاتقان بل ان منطقتنا، كما تشير كل الدلائل مقبله على مرحلة من التحول الثورى ويمكن الاعتقاد بان هذا التحول لن يتم بالوسائل السلمية، كما هي الحال، مثلا بالنسبة لبعض بلدان اوروبا الغربية ذات التقاليد البرلمانيـــة والديمقراطية البرجوازيه العريقة. واحزاب الطبقة العاملة هي في آخر تحليل احزاب تستهدف السلطة ..

(٥) ان عودة قيادة حركة التحرر العربية الى التنظيمات والاحزاب الثورية، كما كان الوضع حتى بداية الخمسينات ليست عمليه تكرار تاريخي ساذجة، بل تحمل متغيرات كمية ونوعية، وبخاصة الدور المنوط بالطبقة العاملة وحزبها، باعتبارها نواة التحالف الثورى المدعو لملء دور القيادة وغني عن القول ان اشغال هذا الدور لن يتحقق بغرار اداري او رغبة ذاتية، بل عبر نضال مرير، يهتدى بخط سياسي ثورى مسؤول يشق طريقه نحو النصر.

ان النضال لتحقيق هذا البديل الثورى لا يعني باى حال اسقاط الانظمة المعادية للامبريالية والعـــدوان الاسرائيلي من الحساب او تجاهل امكانات اسهامها في

Digitized by Birzeit University Library

معارك حركة التحرر العربية، لكن عدم تنظيم خطى الحركة الثورية بالضرورة معها وبخاصه عندما تجنح الى التردد وتبدو عليها اعراض العجز ، في هذه المعركه او تلك ،ان بروز المناقص الثورى على قيادة حركة التحرر العربية ،قد يحفز هذه الانظمة على تنشيط دورها في النضال التحررى العام ،بل يمكن القول بأن تحقيق التهوض التحررى في المنطقه ،قد يرغم حتى الانظمة الرجعية على الاسهام ،ولو بأى قدر،في المعارك القومية ضد العدوان الاجنبي ،كما جرى في السابـــق ...

الهوامش :

١) بيان طرابلس ١٩٨٣/٢/٥ .

٢) بموجب تقرير البنك الدولي السالف الذكر تحتل كل من دولة الامارات وقطر والكويت وبالتتالى ،المراتب الاولى والثانية والثالثة في الدخل القومي على اساس الفرد من السكان في العالم .

٣) الا اذا حدث انهيار في مداخيل النفط ،كما يتكهن بعض المراقبين ،وهذا سيسهم في خلق مناخ مختلف .لقد انخفض انتاج النفط من دول الاوبيك من ٣١ مليون برميل الى ١٥ مليون برميل يوميا ،وسعره من ٣٤ دولار للبرميل الى ٢٩ دولار للبرميل ،بموجب مجلة "الشرق الاوسط" الصادرة في لندن عدد ١٠٢ ،نيسان ١٩٨٣ .

٤) صحيفة "الاهالي" المصرية الاسبوعية ،١٩٨٣/٢/١٦ .

٥) بيان طرابلس من ١ – ٥ شباط ١٩٨٣ .

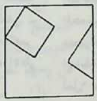

Digitized by Birzeit University Library

حتى لا يناقض الماركسيون "ماركسيتهم"

ملاحظات على الحوار بشان الطبقة العاملة

محمد سعيد

لا بد من الاشارة في البداية الى فضل مجلة الكاتب لكونها أثارت ذلك النقاش الجدي والحيوي حول أوضاع الطبقة العاملة الفلسطينية. وليس في نية هذا المقال الصغير الخوض في كل القضايا العامة التي طرحتها الندوة، فقد فعل ذلك بشكل مفيد العديد من المشاركين فيها. بل المقصود المشاركة في مناقشة بعض القضايا الجوهرية والتي تحتاج الى بعض التدقيق.

وقبل الخوض في ذلك لا بد من الاشارة الى بعض المسائل التي وردت في مقال "الدكتور اياد البرغوثي" في العدد الخامس والثلاثين من الكاتب، والذي نشر تحت عنوان "ملاحظات حول وضع الطبقة العاملة ودورها في البلدان العربية"..

هل يصلح الاردن كنموذج للبحث ؟

أولا : لقد كان هناك نوع من عدم التوازن العلمي في تحليل وضع الطبقة العاملة في البلدان العربية، بمعنى أن الكاتب كان متأثرا بقوة بتجربته ومعلوماته الخاصة، دون أن يحاول التأكد من مدى مطابقة هذه المعلومات لمعطيات التطور في البلدان العربية بشكل عام، وقد أعاق هذا العامل وصوله للحقائق الموضوعية في بعض الاحيان. ولعل أبرز القضايا التي تجلى فيها عدم التوازن هذا، هي موضوعة نمو الطبقة العاملة.

فقد أكد د. اياد مثلا "أن الصناعة العربية تنمو بطريقة عفوية تقريبا. وهي موزعة على مؤسسات صغيرة ذات طرق انتاج متخلفة وقدرة انتاجية ضعيفة، وبالتالي فمعظم عمال هذه البلدان يتركزون في الصناعات الخفيفة حيث تختفي الصناعة الثقيلة تقريبا". وهذا

Digitized by Birzeit University Library

الكلام في أحسن الاحوال غير دقيق للنهاية. وهو لا يأخذ في الاعتبار، بغض النظر عن الطبيعة السياسية للانظمة القائمة، عمليات التصنيع الكبيرة التي جرت في مصر والجزائر وسوريا والعراق، بل انه لا يأخذ في الاعتبار التغيرات في البنية الاقتصادية لدول النفط.

غير ان استنتاجات الدكتور اياد بشأن نمو الطبقة العاملة تبدو صحيحة تماما فيما يتعلق ببلد واحد على الاقل، الا وهو الاردن. ومع هذا فمن المؤسف ان يلجأ الدكتور اياد الى اعتبار الاردن، "مثالا ملموسا وقريبا بالنسبة للتطور الاقتصادي الضعيف.." وان يؤكد في مكان آخر ان الاردن ـ هو مثال بحثه التقليدي.

من الممكن بالطبع فهم الاعتبارات المنهجية التي دفعت الدكتور اياد للاستعانة بمعلوماته عن الاردن لانجاز بحثه، غير ان من غير المقبول الاستناد الى هذه المعلومات في بحث يشمل وضع الطبقة العاملة في كل البلدان العربية.

ان تطور الاردن من الناحية الاقتصادية ليس الا استثناءاً لمجمل تطور البلدان العربية الاقتصادي، سواء كان ذلك التطور قويا أم ضعيفا.

وعلاقة الامبريالية، ومن ثم دول النفط الرجعية بالاردن هي علاقة انفاق مالي مقابل استثمار سياسي واستفادة من موقعه الاستراتيجي لا اكثر ولا أقل..

وبالتالي فان مجمل التطور الاقتصادي في الاردن، كان تطورا مشوها، أي غير طبيعي، وهناك فرق كبير بين التطور المشوه والتطور الضعيف.

فهو تطور يعتمد على المساعدات المالية التي تصرف من خلال الانفاق المالي الحكومي. وقد شوه هذا النهج البنية الانتاجية الزراعية والصناعية، وضخم أجهزة الدولة والخدمات والجيش بشكل مصطنع وجعل مجمل الاقتصاد الاردني عالة لا تستطيع العيش ولو لسنة واحدة دون مساعدة وانفاق خارجيين. وفي مثل هذا الوضع كان طبيعيا ان يتشوه نمو الطبقة العاملة. بل أن من مفارقات الامور ان اقساما هائلة من هذه الطبقة تركت الاردن للخليج، لتحل محلها مجموعات مستوردة من مصر وكوريا والهند.. الخ

من الواضح ان الانفاق النفطي الرجعي قد أسهم في حرف وتشويه التطور الاقتصادي في عدد كبير من البلدان العربية. غير ان هذا شيء، وجعل مجمل البناء الاقتصادي لبلد ما يقوم على المساعدات الخارجية، شيء آخر. ان ارقام الموازنة الاردنية الاخيرة تلقي بعض الضوء على هذه الحقيقة. فقد بلغت الموازنة المتضخمة حوالي ١٢٠٠ مليون دينار، وبلغ العجز ـ الذي يغطى بالمساعدات الخارجية ـ حوالي ٩٠٠ مليون دينار، كما بلغ حجم الاستيراد نفس الرقم تقريبا. أي وبكلمات أخرى ان الاردن يعيش نمطا انفاقيا استهلاكيا يعتمد في استهلاكه كليا تقريبا على المساعدات الخارجية..

ومع ذلك يبقى هذا التطور الاردني المشوه استثناء. وقد ساعد على تطوره بهذا الشكل قلة عدد السكان، وبالتالي توفر الامكانيات الفعلية للانفاق عليهم، فبأي حق يستعمل الدكتور اياد الاردن كنموذج لبحثه؟! وهل قلة المصادر الاحصائية مثلا عن باقي البلدان العربية هي سبب ذلك؟. ان تطور الاقتصاد الاردني هو مثال غير صالح، بل

Digitized by Birzeit University Library

ومثال سيء لفهم ليس فقط وضع الطبقة العاملة، بل ومجمل العلاقات الاقتصادية في البلدان العربية، حتى بالنسبة لتلك البلدان التي تتطور بشكل ضعيف .

لقد سبق لبعض السياسيين، في غمرة الانتعاش الاقتصادي الذي عاشه الاردن في اوائل الستينات، أن وصلوا لاستنتاجات مغلوطه، مفادها ان الاردن غدا نموذجا للتطور الرأسمالي في البلدان العربية. وقد قادهم هذا الاستنتاج لمآس سياسية مدمرة. أما الان فلا نظن ان الاستشهاد بالاردن كنموذج، يمكن ان يقود سوى الى فقدان العلمية والموضوعية في المنهج والاستنتاجات ..

بصدد المصطلحات

هذه مسألة، أما المسألة الثانية فتتعلق بعدم الدقة في استعمال بعض المصطلحات من الناحية الاجتماعية ـ الاقتصادية .

وقد تجلى ذلك في استعمال تعبير "ظاهرة العبودية". اد أشار الدكتور اياد الى "أن ظاهرة العبودية في العمل موجودة لدى عمال المؤسسات عندنا فمعظم العناصر العمالية غير البروليتارية حقا يمكن ان نطلق عليهم دون تجنٍ ... العبيد".

وهناك فرق شاسع بين استعمال كلمة العبيد للتعبير عن الرضوخ للاضطهاد، وبين استعمال "ظاهرة العبودية" التي تعني نمطا اقتصاديا اجتماعيا معينا يكون فيه العبيد بأشخاصهم مملوكين من طبقة مالكي العبيد . وهو نمط لم يعد له وجود في عالمنا العربي .

لقد استند الباحث الى ان العمال يستعملون تعابير مثل "أمرك، وسيدي". وهذه ظواهر لا تعكس الواقع الاقتصادي ـ الاجتماعي بقدر ما تعكس عمق الاضطهاد السياسي في بعض البلدان العربية وخاصة في الاردن .

ولا تك ان التمسك بهذه المظاهر وايرادها كاثباتات لا يمكن ان يكون سوى نوع من السطحية في التحليل .

غير أن الخطير ليس في عدم الدقة المذكورة، بل الاستنتاج الذي نجم عنها، حين يقول د. اياد، ان سبب هذه العبودية في الغالب "ليس الاسياد، أصحاب العمل؟! بل "العبيد الاذلاء ودرجة وعيهم وطبيعة عملهم!! فمنذ متى غدا المضطهدون (بفتح الطاء) مسؤولين عن الاضطهاد الذي يتعرضون له؟!.

حول المبالغة في التعميم

المسألة الثالثة، والتي لا بد قبل الخوض فيها من الاشادة بجرأة الزميل اياد حين تناول الاوضاع الاجتماعية ـ الاقتصادية في مجمل العالم العربي مرة واحدة، تتعلق بالمنهج، منهج البحث .

لقد كان واضحا ان الباحث لم يحاول في سلسلة المقالات التي قدمها ان يقسم او يصنف البلدان العربية ضمن مجموعات. وقد سبب ذلك تقييدا لحريته، وأدى الى بعض التشويش.

ذلك ان التطورات الاقتصادية التي مر بها العالم العربي خلال السنوات العشرين الماضية قد أفرزت تفاوتا صارخا في مستويات هذا التطور . وقديما، قبل عشر سنوات او اكثر كان من المتعارف عليه تقسيم العالم العربي الى مجموعات حسب نمط التطور الاقتصادي الذي يسير عليه كل بلد. وقد أدى هذا

Digitized by Birzeit University Library

التقسيم الى بعض الاخطاء غير انه ساعد على تكوين فهم اكثر دقة لمجريات التطور. واليوم بعد كل هذه السنين، فان من الصعب جدا، ان لم تقل من المستحيل تناول التطور السوسيو ـ اقتصادي في البحرين او الكويت بنفس المقاييس التي نتناول بها سوريا أو مصر أو اليمن الجنوبي. ومن نفس المنطلق لا يمكن الحديث بوجه عام عن الطبقة العاملة في البلدان العربية دون تحديد القطر أو المجموعة القطرية المعينة.

وقد كان ميل الدكتور اياد لعمومية التناول سببا في بعض التناقضات التي ظهرت في مقاله، فهو طورا يشير الى ضعف الطبقة العاملة وتشتتها، ثم يجد نفسه مضطرا للاشارة الى التمركز الصناعي الكبير الذي شهدته بعض البلدان كمصر أو سوريا. وفي تقديري أنه محق في الحالتين، غير أنه كان يستطيع ان يكون أكثر وضوحا وأقل تناقضا لو عمد الى معالجة تأخذ في اعتبارها التمايز الجاري وتصنف الدول العربية ضمن مجموعات.

منطق البحث ودور القوى نصف التقليدية

آما المسألة الرابعة، والتي ستقودنا الى تناول بعض مداخلات الزملاء المشاركين في ندوة "الطبقة العاملة الفلسطينية في المناطق المحتلة" فتتعلق بمنطق البحث الذي يمكن ان يكون شكليا او ديالكتيكيا، والذي لا يمكن فصله عن منهج البحث بطبيعة الحال.

منذ بضعة سنوات حلل أحد أبرز المختصين السوفيات بشؤون البلدان النامية البروفيسور سيمونيا، الاخطاء الشائعة لدى العلماء والباحثين المختصين في شؤون حركة التحرر الوطني والبلدان النامية، ولخصها في اتجاهين رئيسيين يعكس كل منهما انحرافا معرفيا.

الاتجاه الاول يميل باستمرار لتطبيق مقولات كلاسيكية على أوضاع غير كلاسيكية. وبالتالي يسعى لتطبيق بعض قواعد وأحكام الماركسية المناسبة لدول مرت بطريق التطور الرأسمالي الكلاسيكي على البلدان النامية التي لم تعبر هذا التطور ولن تعبره ابدا بالشكل المعروف.

وهذا التطبيق الميكانيكي الجامد كثيرا ما يقود الى أخطاء عميقة في الاستنتاجات. لعل أشهرها ذلك التسليم التقليدي بضعف دور الطبقة العاملة استنادا الى قلة كميتها العددية وبناءً على الطرق التقليدية في تصنيف التركيبة الطبقية العاملة، كان هذا الموقف يقود الى مغالطات فيما يتعلق بالقوى نصف التقليدية او ما يسمى بأشباه البروليتاريا.

وكمثال على خطأ الاستنتاجات التي يؤدي لها هذا النهج. يمكن ان نقدم مثلا عمليا من الواقع الفلسطيني، وتحديدا الموقف من اللاجئين الفلسطينيين او بصورة أدق سكان المخيمات الفلسطينية.

لقد كان التناول الكلاسيكي عند بعض الماركسيين يقود لاعتبار سكان المخيمات قوة هامشية طبقيا ذات دور محدود ومتقلقل في الثورة. وكان التصنيف الكلاسيكي يميل لوضعهم في اطار ما يسمى "بحثالة البروليتاريا" والتي تلحق بقضية الثورة أضرارا تعادل، ان لم تفق، اسهامهم فيها. هذا التحليل كان يهمل مسألتين أساسيتين:

أولا .. أن سكان المخيمات يعيشون حالة انتقالية حالة ما اصطلح على تسميته "بالقوى نصف التقليدية"، أي القوى المطرودة من نمط الانتاج القديم الذي تحطم بفعل عوامل

Digitized by Birzeit University Library

خارجية في الاساس (النكبة والهجرة)، وهذه القوى تكتسب قوة اندفاع ثورى كبير مصدره الرغبة في ايجاد مكان جديد في العملية الانتاجيـــة ..

أما المسألة الثانية التي جرى اهمالها فهي طبيعة المرحلة الثورية التي يمر بها الشعب الفلسطيني، وهي مرحلة التحرر والتي يكتسب دور سكان المخيمات فيها بعدا خاصا انطلاقا من طبيعة المعاناة التي عاشوها ويعيشونهـــا ..

اما المسألة الثالثة التي تبلورت بوضوح بعد الاحتلال، بالنسبة للمناطق المحتلة على وجه الخصوص، فهو ذلك الانفتاح العريض، أمام ابناء المخيمات، بحكم عوامل اقتصاديـــة محددة، لينـدمجوا في العملية الانتاجية، بغض النظر عن طابعها، ضمن اطار الطبقة العاملة. وتكفي لتأكيد ذلك الاشارة الى أن نسبة سكان المخيمات بين مجمل العاملين في اسرائيـــل من الاراضي المحتلة تصل الى ٢٤٪، وهي نسبة تعادل تقريبا نسبة عمال سكان المدن.

ونحن هنا نواجه واقعا، تؤكده التجربة التاريخية، ويتمثل في كون سكان المخيمات (بشكل عام طبعا وباستثناء أقسام بسيطة منهم) هم قوة ذات طاقة ثورية هامة ورئيسية في هذه المرحلة وفي المراحل اللاحقة. وبالمقابل يمكن ادراك كيف يقود التنظير الكلاسيكي على واقع غير كلاسيكي لاهمال هذه الحقيقة وقلبها.

نفس هذا التحليل ينطبق على أعداد كبيرة من صغار الملاكين، والذين يطردون بشكل متسارع من العملية الانتاجية القديمة بفعل عوامل عديدة أولها التحلل الطبيعي وأهمها سياسة خنق الزراعة العربية والمصـــادرة والاستيطان، ثم يجدون أنفسهم يبحثون عن مكان جديد في العملية الانتاجية الجديدة. ومصدر ثورية هؤلاء المتعاظمة ليس فقط كونهم يتجهون للطبقة العاملة بل وايضا لانهم في مرحلة الانتقال يتمتعون بطاقات ثورية عالية بحكم اندفاعهم المذكور، هذه الامور لم يأخذها في الاعتبار معظـــم المشاركين في الندوة حين تحدثوا عن عوامل ضعف الطبقة العاملة الفلسطينية.

أما الخطأ الثاني، والذى اشار له البروفيسور سيمونيا، فهو اعتبار مجتمعات البلدان النامية مجتمعات تقليدية بالمعنى المطلق للكلمة وبالتالي عدم جواز استعمال تعابير مثل البروليتاريا او البرجوازية عنـــد تحليل بنيتها الطبقية ..

والواقع ان كلا الخطأين يتماثلان في دوافعهما ومنهجهما. ذلك انهما يخضعان التحليل الطبقي للمنطق الشكلي لا للمنطق الديالكتيكي.

ولعل من المناسب هنا التأكيد على أن معظم البلدان النامية تمر بمرحلة "التحطم او الكسر التاريخي"، وهي مرحلة تحلل العلاقات والقوى القديمة وتكون علاقات وقوى وطبقات جديدة. وسرعة التحول هنا منوطه باعتبارات عديدة غير انها يمكن ان تكون سريعة لدرجة رصدها بسهولة كما يجرى في المناطق المحتلة وذلك بفعل عوامل خارجية.

اذن فالمرحلة التي نواجهها هي مرحلة تحول، نرى فيها مجتمعا تقليديا وحديثا في نفس الوقت. ومع ذلك فالمجتمع لا هو تقليدى ولا حديث. انه مجتمع ينتقل، يتحول، وفقط بالاستناد لهذا الفهم يجب بناء الاحكام، والا وقعنا في أحد الخطأين الشائعين ..

Digitized by Birzeit University Library

وفي مثل هذا المجتمع ،والحديث لانجلز فأن اكثر القوى ديناميكيه ونشاطا ،ليس القوى التقليدية ولا القوى الحديثة النقية ،بل القوى نصف التقليدية (او نصف الحديثة ان شئتم) ولا داعي هنا للقلق بخصوص الطبقة العاملة فالقوى التي تتحدث عنها تشكل معظم أجزاء الطبقة العاملة .

وعلى ضوء ما ذكر يجب اعادة النظر في الكثير من تصنيفات المجتمعات النامية ،وبشكل خاص ما يتعلق بالتركيبة الطبقية في البلدان العربيـــــة ..

وعلى ضوء ذلك يجب مراجعة محتوى مفهوم " البرجوازية الصغيرة " أو " القـــوى الوسطى" على سبيل المثال .ماذا تعني هذه المفاهيم والى أى حد تصل دقتها ،ومن هي الشرائح التي تشملها ؟! وهذا ، بالمناسبة ما لم ينتبه له الزميل اياد في تحليله للطبقة ودورهم مثـــــلا .

وعلى هذا الاساس فالى أى حد يمكن التسليم بمقولة "ضعف الطبقة العاملة"وأين ؟ في أية مجتمعات تحديدا؟ وهل ترصد هذه المقولة مستوى التطور وآفاقه أم تتجاهله وتحاول طمسه ؟!

وهل القبول بمقولة ضعف الطبقة العاملة التقليدى من الناحيةالعددية يعنى التسليم بضعف دورها السياسي ودور طليعتها السياسية الحزب الشيوعـــــي .

وهل حقا يتوجب على حزب الطبقة العاملة أن ينتظر نضوج هذه الطبقة بالمقاييس الاوروبية ليمارس دوره الطليعي ويطرح ضمنه مسألة السلطة؟ أم عليه في الواقع التوجه لتلك الجماهير الغفيرة من القوى نصـــف التقليدية ــ والتي يصنفها غالبية باحثينا تعسفا ضمن البرجوازية الصغيرة ــ والاستناد لها دون التخلي بالطبع عن التركيز على طلائعها البروليتاريـــــة ..

وحتى نكون واقعيين لننظر الى بلد نام كأثيوبيا .اذا طبقنا عليه المقاييس الكلاسيكية او التقليدية البحتة فسنقع في تناقض لا مخرج منه الا الاقرار بحتمية هلاك الثورة .

ومع ذلك فالثورة ذات التوجه الاشتراكي تسير بخطى وطيدة الى الامام .

السنا نواجه فيما يتعلق بالبلدان النامية حالة تشبه من بعض الزوايا تلك الحالة التي واجهها لينين في روسيا قبل سبعين عاما ؟! هناك كان تطبيق الثورة يخرق شكليا بعض قواعد النظرية الكلاسيكية ،ولكنه يطورها .وهنا يبدو تطوير الاحكام مرهونا بالتخلي عن الميكانيكية في تطبيقهـــا .

اننا كما قلنا لا نريد في هذا المقال الصغير ،الخوض في كل هذه المسائل وان كنا نود لفت النظر اليها وبالتالي لفت نظر الباحثين الى مدى جدية المواضيع التي يتناولونها ،وبالتالي مدى الجدية والعمق المتوقع من نشاطهم .

والخلاصة الرئيسية لكل ما قيل يمكن صياغتها في جملة واحدة .يجب النظر لمجتمعاتنا سواء المجتمع الفلسطيني ، أو المجتمعات العربية في تطورها . وبما أنها تمر بمرحلة انتقال ،مرحلة تحلل ونشوء ،فيجب لبناء احكام صحيحة رصد حركة التطور واتجاهاتها وتوقع نتائجها .ومن ثم وعلى هذا الاساس الموضوعي بناء التوقعات والمهمات السياسية .ولكل ذلك يلزمنا تحليل سينمائي ان جاز التعبير ،لا تحليل على طريقة التصوير الفوتوغرافي الساكن .

Digitized by Birzeit University Library

وعلى ضوء ذلك يمكن التعامل مع خطين اساسيين وقع فيهما الزميل عادل سمارة خلال مداخلته في الندوة حول الطبقة العاملة الفلسطينية. فهو يبالغ في فصل الطبقة العاملة في الضفة عن مثيلتها في القطاع لان هناك انفصالا في البيئة الانتاجية على حد تعبيره.

ان وجود الانفصال في البنية الانتاجية ينطبق على العمال الفلسطينيين في البلدان العربية ولكنه غير وارد بالنسبة للمناطق المحتلة ،حيث يصبح من غير الجائز اعتبار البعد او الانفصال الجغرافي انفصالا في البنية الانتاجية فالبنية في المحصلة هي واحدة في المناطق المحتلة.هناك سوق واحد ومستثمر واحد ،واضطهاد طبقي ـ قومي مزدوج واحد،وضمن بنية انتاجية واحدة تقريبا. لذلك تغدو الفروق التفصيلية في طريقها للزوال ،وهي ان وجدت فانها لا تختلف بالنسبة للضفة والقطاع ، عن تلك الفروق التي تفصل عمال نابلس عن عمال بين لحم مثلا.

لقد كانت هناك فروق كبيرة بين عمال الضفة والقطاع ،وكانت هناك بنيتان انتاجيتان مختلفتان جذريا ،بل نمطان للتطور ان جاز التعبير. الاحتلال رغم كل مآسيه ،نسف هذا الوضع. وخلق وضعا جديدا واضطهادا جديدا يتشارك فيه عمال الضفة والقطاع. وبعد ستة عشر عاما من هذا التغير المستمر فان طريق التطور يشيرالى توحد وتجانس ظروف عمل ومصالح عمال الضفة والقطاع وليس العكس.

ولذلك فلم تكن صدفة ان التجانس الموضوعي قد قاد الى وحدة الطليعة السياسية لعمال الضفة والقطاع.

وبالتالي فان تركيز الزميل سماره على الانقسام ،هو حكم لا ياخذ ،في احسن الاحوال نتائج واتجاهات التطور الجارى.

وهذا المنهج الذى يعكس قصورا معرفيا بسبب ميله المتواصل الى تجميد الثوابت، كان ايضا سببا في انحراف آخر وقعت فيه بعض الاطراف في الاردن وضمن الحركة الفلسطينية مثلا.فتلك الاطراف بالغت في أهمية الروابط السابقة بين الاردن والضفة الى درجة التعامي عن كل التفكك والتحلل الذى اصاب تلك الروابط طوال ستة عشر عاما من الانفصال وهذه الاخطاء "الصغيرة" من الزاوية النظرية البحتة قادت وتقود أصحابها لارتكاب أخطاء كبيرة في الميدان السياسي.

وفيما يتعلق بتقييم التناسب بين القوى الطبقية ونفوذها السياسي في المناطق المحتلة وقع الزميل سمارة في خطأ آخر .اذ اعتبر التمثيل في أجهزة م.ت.ف المقياس الوحيد للنفوذ السياسي.وهذا في حالتنا غير مطابق للواقع في المناطق المحتلة. كما انه غير مطابق لمجريات التطور والتغير في تناسب النفوذ السياسي ومستقبله بالنسبة للقوى والطبقات.

ولنأخذ في الاعتبار أن القوة تقاس ليس فقط بالمظهر (لاحظوا المظهر) العددى في هذه اللحظة او تلك،بل بقوة التأثير ،بقوة الفكر،بقوة البرنامج والشعارات المطروحة. وبمدى نضج الجماهير في تعاملها مع كل القوى دون استثناء. فحزب البلاشفة مثلا لم يكن الاول من حيث مظاهر قوته العددية والانتخابية عشية ثورة شباط في روسيا ،غير انه كان في الطليعة من حيث شعاراته وبرامجة وسلامة تاكتيكه.ولم يحتج الامر سوى لبضعة أشهر من الغليان الثورى لتنقلب الصورة.

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب، العدد 40، آب 1983

في النقاش حول طبيعة ودور

الحركة الطلابية

بسام الصالحي

● نشرت الكاتب في عددها السابق (٣٩) جزءا ثانيا من مقال للدكتور اياد البرغوثي بعنوان "مرة اخرى: حول الديناميكية الاجتماعية ـ السياسية للانتلجنسيا والطلبة في البلدان العربية".

والمقال بعنوانه هذا، يجذب الانتباه رغبة في قراءة استنتاجات تساعد القارئ في فهم الصورة الاجمالية لدور الفئات الوسطى وطبيعة تكوينها، في منطقة لعبت وتلعب الفئات الوسطى دورا مؤثرا وهاما في رسم واقعها المعاصر.

ولكن انسياق الكاتب، خلف التعميم، وتقديم خلاصات قاطعة وخاصة فيما يتعلق بالحركة الطلابية قاده الى العديد من الاستنتاجات الخاطئة او المبالغ فيها، مما يوحي للقارئ في النهاية، استصغار د. اياد الشديد لشان الحركة الطلابية ولدورها كذلك.

ان الكتابة عن الحركة الطلابية في المناطق المحتلة بصورة خاصة، لم تلق الاهتمام اللازم، لا من اجل تقديم صورة حيّة عن كفاحية ودور هذه الحركة ضد الاحتلال فحسب، وانما ايضا من اجل تنظيم الاستفادة القصوى من دورها هذا وتطويره بما يتلائم مع اعباء المهام الملقاه على عاتق كل الفئات والطبقات في نضالها ضد الاحتلال.

وقد يكون مقال د. اياد فاتحة للمبادرة في تقديم صورة كافية عن اوجه طاقة ونضالات هذه الحركة في المناطق المحتلة..

منهج العرض

لقد مال د. اياد في منهج عرضه الى تعميم استنتاجات واستخلاصات، ليس هناك ما يبررها أو يؤكدها في مجمل العرض، ولقد كانت الرغبة الجامحة في تقديم الاستنتاجات العامة طاغية على محاولة تحليل الظاهرة الشائكة التي تناولها في بقعة جغرافية واسعة

Digitized by Birzeit University Library

هي البلدان العربية ،وفيها مستوى متفاوت نسبيا من التطور وتخضع لانظمة حكم غير متجانسة تماما ، كما ان تاثيرات الانتلجنسيا او الطلبة بشكل خاص متفاوتة فيها .

ان عدم استخدام التحليل الكافي لمكونات الظاهرة التي تعرض لها د.اياد ، وكذلك ربط دراستها عبر تطورها التاريخي لاستقراء دورها اللاحق الذى ينبغي على الثوريين ،ان يوظفوه لخدمة نضالهم ،اوقعته في استنتاج معاكس لما اراده حيث انزلق في نهاية مقالة ،ليس فقط الى الاستخفاف بالحركة الطلابية في المناطق المحتلة بل نعتها بأوصاف لا تعكس اطلاقا صفات هذه الحركة مثل "ان نضالها هو "لتسجيل مواقف" وان مواقفها وسطية وانها تسعى للمزاودة على المتدنيين .. الخ ..

ان تناول وضع الطلبة ودورهم في البلدان العربية كان يستدعي مقدما ، دراسة الملامح الخاصة لهذه الحركة في عدد من البلدان العربية التي تلعب فيها هذه الحركة دورا نشطا ، كما يستدعي بالضرورة دراسة مواصفاتها الخاصة في المناطق المحتلة بسبب التباين الموضوعي بين ظروف الارض المحتلة وأى بلد عربي ، ومن ثم تقديم الاستخلاصات والاستنتاجات المرتبطة بهذه الدراسة .

ولكن أن يستعاض عن ذلك بجملة "مثل لقد انتشرت في البلدان العربية عامة وفي الاراضي المحتلة خاصة موضة تقليد الغرب عن الدور الخاص للشباب والطلبة ... فنشأ ما يسمى باليسار الجديد "

فان في هذا خطأ فاحشا حيث ان التأكيد الجازم الذى يقدمه د. اياد حول نشوء "اليسار الجديد" "وموضة تقليد الغرب ، التي اصبحت ذات طابع هام في الحياة السياسية والاجتماعية في الكثير من البلدان " يفتقر الى الوقائع والاساس الذى اوحى باستنتاجه .

ومن أجل اثبات هذا علينا الاشارة باختصار شديد لظاهرة "اليسارالجديد" التي انتشرت في اوروبا في نهاية الستينات .

حول "اليسار الجديد"

ان القضايا الرئيسية التي استندت اليها افكار اليسار الجديد ، والتي مثلها بشكل ساطع "هربرت ماركوز ، روجيه دوبريه، وفرانتز فانون" ، وان كانت تتفاوت من واحد لاخر ، تمثلت في انكار هؤلاء لدور الطبقة العاملة بصفتها اكثر الطبقات ثورية ، بل انهم قاموا بنفي أى دور ثورى لها ،واتهموها بالتعفن ، وكانوا ينظرون الى العمال كأعداء ينبغي مقاومتهم .

وبرغم التفاوت في عداء اى من هؤلاء للطبقة العاملة ، والذى يبلغ اوجه عند ماركيوز ، فان العداء السافر والمكشوف للاحزاب الشيوعية كان جانبا أساسيا في فهمهم الجديد ومن هنا فقد رفضوا الاحزاب الشيوعية واتهموها بالاصلاحية . وهم لم يتوجهوا في اتهامهم هذا من موقع الحرص على الطبقة العاملة بل من موقع نفيهم اصلا لدور هذه الطبقة ، ومن أجل التنظير لاستبدال الطبقة العاملة بالطلاب والمثقفين والفلاحين وحثالة البروليتاريا ، ومن هنا كانت تنظيرات ماركوز عن الدور الخاص والقيادى للطلبة . ولقد اتسم مظهر المبالغة في تقدير الدور الخاص بالطلاب الى حد الاعتقاد بامكانية تحويل المجتمع الرأسمالي وتدميره من خلال ما اسماه الطلبة "القواعد الحمراء في الكليات" (١) وقد كانت في نظر طلاب فرنسا عام ٦٨ بمثابة " سوفييتات للطلبة" يمكن لها ان تحرر الكليات من السيطرة الرأسمالية وتقيم واحات اشتراكية ، تلهم العمال لاستخدامها لاحقا من

Digitized by Birzeit University Library

اجل تحرير مصانعهـــم ، مصنعا بعد اخر حتى يتم اسقاط النظام ككل .

هذه القضايا الجوهرية التي ميزت تيار "اليسار الجديد" في اوروبا ، والتي واكبت الاحداث الطلابية العاصفة في بلدان اوروبا الغربية ، ودفعت بالعديدين للتوقف عند تفسيرها ، لم تفرق الحركة الطلابية في البلدان العربية من أجل تقليد هذا النموذج كما انها لم تفرق الحركة الطلابية في المناطق المحتلة ،كذلك بعكس ما يطرح د. اياد . وما يدفعنا الى هذا التاكيد ، وبدون الخوض في تفصيلات عديدة ، هو المراجعة البسيطة لبعض الملامح التي ميزت اكثر الحركات الطلابية نشاطا في البلدان العربية .

فقد كانت الحركة الطلابية في مصر، وعلى امتداد تاريخها ، من انشط الفئات الفاعلة في المجتمع المصرى، والتاريخ الذى شهد لها في معاركها ضد الاستعمار الانجليزى الى جانب جماهير الشعب المصرى في ١٩١٩ هو نفسه الذى شهد لها في تأسيس "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة " . والتي تكونت في مدرج كلية الطب بالقاهرة من نقابات العمال وطلبة الجامعات المصرية والازهر والمعاهد العليا والمدارس الخصوصية والثانوية ، في شباط عام ١٩٤٦م . (٢)

ولم تبتعد الحركة الطلابية في مصر عن هذا الارتباط بجماهير الطبقة العاملة في نضالاتها اللاحقة ، ولم يعارض الطلبة دورهم بدور العمال ، بل انخرطوا الى جانبهم في رفع الشعارات العامة التي تستجيب لحاجات الجماهير المصرية ، ولعل من الامثلة الصارخة على ذلك ،ان مظاهرات الطلبةالتي اندلعت في مصر عام ٦٨ ، أى نفس العام الذى شهد الحركات الواسعة في اوروبا ، حددت شعاراتها بصورة واضحة بانسجام كامل مع الجماهير المصرية حيث طالبت باشاعة الحريات الديمقراطية ، وطالبت بعزل وزير الداخلية وهاجمت اجراءاته البوليسية ، كما طالبت بالتحقيق ومحاسبة المسؤولين عن هزيمة الطيران المصرى وتدميره في حرب ٦٧ ، وهكذا فلم ترفع الحركة الطلابية في مصر شعارات منفصلة او متطرفة في حدتها لدرجة اسقاط النظام وادعاء المقدرة على قيامها بذلك ، بل كانت شعاراتها منخرطة بشعارات الشارع المصرى ومنطلقة من تقديرها لامكانياتها الحقيقيـة .

وهذا المسار هو الذى ميز لاحقا ايضا مظاهرات الطلاب في اعوام ٧١ ٧٣، ٧٥ ففي انتفاضة يناير عام ٧٧، والتي رفعت فيها شعارات تعبر عن مطالب اوسع قطاعات الشعب المصرى وتطالب بالخبز ونبذ سياسة الانفتاح ، شكلت تعبيرا واضحا عن تلاحم الطلبة مع الفئات الشعبية الواسعة ، ومن بين الشعارات الاساسية التي كان يرددها المتظاهرون وبضمنهم الطلبة (٣) ،"احنا الطلبة مع العمال ضد تحالف رأس المال " "احنا الشعب مع العمال ، ضد حكومة الاستغلال" .

ومن بين المظاهر التي عكست وضوح الرؤيا سعي الطلبة اثناء المظاهرات ، في التصدى لمحاولات التخريب ،وافشال اتجاه السلطة من اجل اشاعة الفوضى

اثناء المظاهرات ،فقد افادت مجلة روز اليوسف ، وصفا للاحداث في ميدان العتبة الخضراء في تلك الاثناء جاء فيه :

"كان الطلبة يحيطون مظاهرتهم بنطاق من الحبال حتى لا ينضم اليهم احد من خارجهم ، وفجأة اطلق احد امناء الشرطة عيارا ناريا ، وفي الهرج الذى احدثه العيار النارى اختفى السياج ، واقتحمت مجموعات

Digitized by Birzeit University Library

التخريب التي بدأت تظهر بعد السابعة مسلحة بالاجنات والكيروسين وكرات القطن " (٤) .

واذا ما كانت تطورات انتفاضة يناير لم تتجه كما اراد الطلبة وتمكنت السلطة من دس عناصرها للتخريب ونجحت في ذلك ، فان هذا لا يقلل من حقيقة ادراكهم الصحيح لنبذ التخريب اثناء المظاهرات .

وحتى في الاحداث الطلابية في لبنان عام ٦٨، وبرغم وجود بعض الاطروحات المتأثرة باليسار الجديد فهي لم تشكل ظاهرة عامة مميزة للحركة الطلابية هناك ولقد كانت الشعارات التي رفعها الطلبة بشقيها السياسي والنقابي مثل "التخلي عن حيادية لبنان "ونبذ شعار قوة لبنان في ضعفه " وضرورة "تهيئة مقومات القوة للبنان العربي "! وكذلك المطالبة بتغيير المناهج وتطويرها ، ونبذ اسلوب التلقين ، وتحديد "دور افضل للمثقفين في حياة البلد العامة" منسجمة مع الواقع الموضوعي الناشئ في هذا البلد حيث كان من الطبيعي ان تبرز هذه الشعارات والتي اضيف اليها ايضا "حق الشباب اللبنانيون بالتطوع في صفوف المقاومة الفلسطينية "على اثر نكسة ٦٧ ، وفي مرحلة تمكنت حركة المقاومة الفلسطينية من ان تقدم نموذجا جديدا لطاقة وامكانيات الجماهير مقابل العجز و التراجع الذى ابدته الانظمة العربية

وبرغم بعض المفاهيم التي اعتقدت بامكانية الثورة الشاملة من خلال الطلاب الا ان مسار الحركة العام لم يصبغ بهذه الشعارات وتميزت الحركة بانضباطية وتنظيم كبيرين .

والحقيقة الاخرى المميزة لنضال الحركة الطلابية ، ان هذه الحركة في انشط مواقعها لم تحمل طابعا عدائيا للاحزاب الشيوعية ، كما انها لم تحمله كذلك للطبقة العاملة ، بل كان الامر على العكس ، حيث كانت العناصر الطلابية الشيوعية من اكثر العناصر نشاطا في صفوف الحركة الطلابية ، وفي العراق والسودان ، وهما من اكثر البلدان التي اتصف نشاط الطلبة فيهما بقوة كبيرة ، كان نفوذ الحزب الشيوعي السوداني ومنظمته الطلابية كبيرا ، كما كان الامر كذلك في العراق والذى تعرض عدد من القادة الطلاب في صفوف حزبه الشيوعي الى عمليات اغتيال وتصفية جسدية مباشرة من مخابرات السلطة العراقية واجهزتها .

وتميزت الحركة الطلابية المصرية بنشاط مشترك للناصرين والشيوعيين في صفوفها ، الى ان افسح النظام بعد ٧٧، الفرصة لتوسيع وتسهيل نشاط عدد من الفئات الدينية والتي بالاستفادة من عوامل أخرى كانعدام الحريات وحملة التنكيل التي تعرض لها الشيوعيون والناصريون ، تمكنت من تثبيت نفوذ قوى لها في الجامعات والمعاهد المصرية .

ان الاساس الفكرى الذى ميز حركة "اليسار الجديد" في اوروبا ، ومسلكها المصطبغ بالعنف والتهور والمعادى للاحزاب الشيوعية لم يميز الحركة الطلابية في انشط مواقع تأثيرها في البلدان الغربية ، وفي الحقيقة فان هذا ليس بمعزل عن الواقع الموضوعي المتباين في ظروف وواقع واتجاه حركة الطلاب في اوروبا عنها في البلدان العربية .

صحيح ان الزيادة الكمية لعدد الطلاب حصلت في البلدان العربية ، الا انها لم توازى الانفجار الطلابي الهائل في الغرب حيث لا يصلح هذا اساسا للمقارنة والتماثل .

Digitized by Birzeit University Library

فالجديد الذى ميز وضع الحركة الطلابية في اوروبا ، التغيرات العميقة التي جرت على تكوينهم الاجتماعي ، وارتباط وضعهم بمصالح الاحتكارات الكبرى ، من خلال المؤسسة العسكرية الصناعية الضخمة للدولة الاحتكارية والمرتبط كذلك بالتطور السريع للثورة العلمية التكنيكية .

لقد كان التطور التكنولوجي الهائل ، واستخدامه في الاغراض العسكرية المعادية للشعوب ، وفي توسيع البطالة وانعدام فرص العمل للشباب بعد التخرج ، واحكام السيطرة على الجامعات من قبل الاحتكارات الكبرى ، يطبق بشده على خناق الملايين من الطلبة ، الذين يتعرفون على احدث النظريات والتقنيات العلمية ، ولا يستطيعون استخدام ابسطها لضمان مستقبلهم ، بل على العكس كانوا يستغلون من خلال الجامعات نفسها لخدمة الاحتكارات ، ولعل المثال الذى آورده جاك وودس يسير بعمق الى حدةهذه الظاهرة : ففي الخطاب الذى القاه رئيس جامعة الدولة في متيشّغان امام مجلس الاباء عام ٦١ جاء ما يلي : (٥)

" ينبغي النظر الى كلياتنا وجامعاتنا كقلاع لدفاعنا ،كشيء اساسي في المحافظة على بلادنا واسلوبنا في الحياة ، مثلها مثل القاذفات الاسرع من الصوت ، والغواصات التي تسير بالطاقة النووية ، والصواريخ عابرة القارات " .

اى بهذه التعابير الحربية كان ينظر هؤلاء لدور الجامعة وفائدتها "وباختصار شديد ، فقد انتهت تماما تلك الفكرة التقليدية ، والتي كانت تحظى باقتناع الكثيرين من اعتبار الجامعة مركز مستقلا للمعرفة والابحاث لا ترتبط اطلاقا بمسائل الحرب والاحتكارات . واتجهت لان تكون خاضعة تماما لمخطط المنشآت الصناعية الضخمة ، والاحتكارات (٦)

هذا الواقع ليس ما نراه لا في بلدان العالم الثالث ، ولا في منطقتنا العربية حيث يساعد وجود الجامعات فضلا عن انه خطوة الى الامام على ماضي التبعية والاستعمار على رفع مستوى التعليم واستيعاب الاعداد الضخمة من الطلاب الذين لا يستطيعون تلقي التعليم خارج بلدانهم ، اضافة الى ازدياد نسبة ووزن الطلبة في اطار الفئات الوسطى والتي تتشكل منها غالبية مجتمعات العالم الثالث .

ان هذا المكان المؤثر الذى يحتله الطلبة في اطار الفئات الوسطى ، بالقياس الى دور هذه الفئات في بلدان العالم الثالث ينبغي له ان يساعدنا في تطويره ورؤية آفاقة وكذلك ملاحظة الفارق النوعي عنه في البلدان الرأسمالية الصناعية وحيث تشغل الطبقة العاملة المتمركزة ،الدور الاساسي ، ولا يمكن المقارنة بين دور الطلبة في اطارها الى ما يمكن ان يكون عليه في بلدان العالم الثالث .

ان التقاطب الطبقي الحاد في المجتمعات الرأسمالية الصناعية ، يحد كثيرا من دور الطلبة ، وربما يدفعهم هذا الى التخبط والعجز ومهاجمة الطبقة العاملة والاحزاب الشيوعية ...الخ ، واما في بلدان العالم الثالث ، فان دور الطلبة وتأثيرهم يتضاعف اذا ما احسن تنظيمه وتربيته بمفاهيم التحالف مع الطبقة العاملة ، والايمان بدورها التاريخي وهنا بالضبط يكمن دور الثوريين في التعامل مع الحركة الطلابية لا في الاستهانة بها او الرغبة في تقليل دورها خوفا من انحرافها نحو "اليسار الجديد" ولهذا السبب فقد

Digitized by Birzeit University Library

ساند طلاب نيكاراغوا مثلا بقوة انشاء جبهة التحرير الوطنية الساندينية ، وكانت منظمتهم الجامعية احدى دعامات الحركة "المعادية لسوموزا" وضمن هذا الاطار يمكن فهم الدور الكبير الذى لعبته الحركة الطلابية الفلسطينية ايضا ، حيث لعبت الروابط الطلابية في جامعات القاهرة والامركية ببيروت دورا مؤثرا لاحقا في اطار م.ت.ف. كما ان نشاط اتحاد الطلبة الاردني ، والذى جند في الخمسينات الطلبة الى جانب القوى الوطنية ضد الضم ، وضد مشاريع توطين اللاجئيين ، وحلف بغداد والذى قدم شهيدته الباسلة رجاء حسن ابو عمامة عام ٥٥ يمثل الى جانب الكثير غيره دلالة كبرى على الاسناد الذى قدمته الحركة الطلابية في معركة النضال الوطنـــي .

بعض الملامح الخاصة للطلبة في المناطق المحتلة

وعندما ننتقل مباشرة ،الى واقع الطلبة في الارض المحتلة ،علينا ان نشير الى بعض الملامح الخاصة التي تميزّه عن غيره في البلدان العربية .

فواقع وجود الاحتلال ،فرض مهمات خاصة ليس فقط على الحركة الطلابية ،وانما على مجموع طبقات وقطاعات شعبنا الفلسطيني وفئاته ،وهذه المهمات ليست ذات طبيعة شكلية ،فهي مرتبطة اساسا في تحديد دقيق لاولويات الصراع ،ومدى رئيسية جوانبه ،وحيث تعتبر النضال ضد الاحتلال ومن اجل حق تقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ،الهدف المباشر للنضال الوطني فان التصدى لاجراءات السلطة ومقاومـــة مخططاتها تدخل في اولويات مهمات الحركة الطلابية في المناطق المحتلة ،وهذا بطبيعة الحال يختلف عن هذه الاولويات في السودان او مصر او العراق ،وأى بلد عربي آخر .

،وفي الحقيقة فان هذا الوضع الخاص لا يقلل فقط من سيطرة افكار "اليسار الجديد" او تغلغلها وانما يقود ايضا للنضال ضدها ومحاربتها .ولهذا وبرغم الالتفات الواعي من جانب الحركة الطلابية في الجامعات والمعاهد لضرورة تحقيق الانجازات النقابية ،والتي تحقق منها الكثير فعلا ،الا ان غالبية مواجهاتها الاساسية كانت ضد السلطة ،ولقد قدمت الحركة الطلابية في المناطق المحتلة العديد من الشهداء ممن سقطوا في المظاهرات والانتفاضات المتلاحقه ،كما تميزّ موقف السلطة الدائم منها بالقمع واغلاق الجامعات والمدارس الثانوية ،والاعتقلات التعسفية والاقامات الجبرية ..الخ ..

وباختصار شديد فان اجراء مسح شامل للحركة الطلابية في البلدان العربية والمناطق المحتلة مع اغفال هذا الواقع ،يضعف كثيرا من دقة الاستنتاجات اللاحقة ..

دور " الجامعة"

من المعروف ان الطبقات الحاكمة ،تسعى من اجل المحافظة على سيطرتها الطبقية ولقمع الطبقات الاخرى لاستخدام اشكال وادوات مختلفة لا تقتصر فقط على الاداة السياسية والمتمثلة اساسا في جهاز الدولة الذى يستخدم العنف الطبقي ،وانما ايضا الادوات الايديولوجية ،عبر اجهزتها المختلفة كالمؤسسات الاعلامية ،والثقافية ،وكذلك المؤسسات التعليمية وهنا بالضبط ترسم الطبقات الحاكمة دورا خاصا للجامعات .

Digitized by Birzeit University Library

ان هذه السيطرة تنعكس في بلداننا العربية بصورة اكثر وضوحا ،في التبعيـــة المباشرة لاجهزة السلطة وحرمان الجامعات مـــن استقلاليتها ،كذلك في تقرير المناهج التي تدرّس وفي التحكم فينظام التوظيفات والاقساط والتدخل في دستور الجامعة. ،وفي ظل هذا الواقع تظل الجامعات في العديد من البلدان مقتصرة على ابناء الطبقات العليا ، او الفئات الوسطى ،بينما لا تتمكن الغالبية الساحقة من ابناء الكادحين من الالتحاق بالجامعات ومن التخصصات التي تؤهلهم معدلاتهم لها .

وكان الارتفاع في اقساط الجامعة الاردنية خلال السنوات الاخيرة وكذلك الامتيازات الخاصة الممنوحة لابناء كبار ضباط الجيش قد قلص بصورة واضحة من نسبة ابناء الطبقات الشعبية،هذا بالطبع فضلا عن الحرمان المضروب على الفلسطينيين من الالتحاق بهذه الجامعـــــة ..

وأما المظهر الثاني فهو التحكم المباشر بالمنهاج المقرر في هذه الجامعات ،مما يتيح للسلطة تحويل الجامعات الى مؤسسات (تفريخ) ،هذا بالاضافة الى تحكم السلطة في نظام الجامعة الداخلي ،واشرافها المباشر على "الامن" فيها .

وهذه المظاهر هي التي تطرح في المقابل امام الحركة الطلابية ما يعرف بشعـــار "ديمقراطية التعليم "والذي يتمحور جوهره في تعميم التعليم وشمولة لابناء مختلف الطبقات وكذلك تأمين الافق العلمي والنظرة الانسانية فيما يدّرس من مناهج ..

واقع الجامعات هذا في البلدان العربية (باستثناء اليمن الديمقراطي) ،والذي ينعكس باشكال متفاوته نسبيا لا ينطبق تماما على واقع الجامعات المحلية ،ومن اجل هذا بالضبط ازدادت اجراءات السلطات الاسرائيلية ضـــد الجامعات والحركة الطلابية في السنوات الاخيـــرة .

فالجامعات المحلية لا تخضع لاى اشراف مالي من جانب السلطات ،وتعتمد في تمويلها الذاتي على التبرعات المالية مما اتاح مراعاة اكبر لاوضاع الطلبة عند تقرير الاقساط وبما يخدم توفير الفرصة لاكبر عدد من الطلاب للدراسة في الجامعات ،وقد ادى هذا الى تغيير في التكوين الطبقي للطلاب في الجامعات المحلية ،حيث امتلأت باعداد واسعة من ابناء العمال والفلاحين ومن سكان المخيمات ،والذين يشكلون اكثر من نسبة ٦٥٪ من طلبة الجامعات ،هذا مع العلم ان جامعة كبيرزيت كانت مقتصرة في السابق على فئات محدودة من الطلاب الميسورين .

وفي الواقع فلم ينشأ هذا الوضع بمعزل عن النضال الطلابي الواعي في الجامعات وان لم يكن مصدره الوحيد ،ففي جامعة بيرزيت مثلا والتي تحققت فيهاهذه الانجازات قبل غيرها ،قام مجلس الطلبة منذ اواسط السبعينات بمطالبة ادارة الجامعة تحويل جزء من المنح الممنوحة للطلبة المتفوقين الى الطلبة الاكثر حاجة من الناحية المادية وانتهى هذا المطلب الى اشتراك مجلس الطلبة عام ٧٩ في تقرير المنح الطلابية جنبا الى جنب الهيئات المسؤولة في الجامعة وذلك حسب الحاجة المادية للطلاب وكما يتقدم بمعلومات عنها مجلس الطلبة ،كما انه قام بحملات تبرعات مالية باسمه وزعّت على الطلاب المحتاجين ،وقد قاوم قبل عامين رفع الاقساط في الجامعة واعلن الطلاب اضرابا عاما استمر عدة ايام وانتهى الى الغاء قرار

Digitized by Birzeit University Library

زيادة القسط وبدلا من ذلك استثمار التبرعات المقدمة باسم الجامعة للتخفيف باستمرارمن اعباء الطلاب المالية .

وبصورة عامة،فان الجامعات المحلية لا تستوعب اقساما من الطلبة(الذين زادت اجراءات الاردن الاخيرة ضد ابناء الضفة والقطاع من تضييق فرص التعليم امامهم) للدراسة فقط،وانما هي تستوعب هؤلاء من مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية.

وفي الجانب الاخر يتمتع المنهاج المقرر في الجامعات المحلية بنوع من الاستقلال النسبي عن السلطة كذلك ،ليس فقط بسبب التناقض الصارخ بين الاتجاه العنصري للسلطة وبين متطلبات التعليم للطلاب في الجامعات المحلية،وانما كذلك بسبب نضالات الحركة الطلابيـــة .ونتيجة لوجود عدد من الاساتذة التقدميين والذين يسهمون في تقرير المنهاج في هذه الجامعات .وعلى سبيل المثال فهناك بعض المواد المقررة التي تعالج موضوعات تعتبر محظورة في غالبية الجامعات العربية،كبعض النظريات التقدمية في علم الاجتماع فضلا عن بعض كتابات ماركس،انجلس لينين ..الخ .

وعلى الرغم من اعتماد الجامعات المحلية في معظم مناهجها في الاقتصاد مثلا على دراسة النظريات الرأسمالية،الا ان المظهر التقدمي يعتبر سمة مميزة بشكل عام للجامعات المحلية.

ويتجلى ذلك بوضوح عند ملاحظـــة التفاعل الديمقراطي الواسع في اوساط الطلبة وحقهم المشروع في اجراء الانتخابات العامة واختيار ممثليهم لمجالس الطلبة دون تدخل لا من السلطة ولا من ادارات الجامعات كما هو الحال في غالبية جامعات الدول العربية ولعل من المفيد القول ان تنافس القوائم الانتخابية المختلفة يتمثل في التسابق للدفاع عن الجوهر الوطني والديموقراطي للجامعات، وبرغم اجراءات القمع التي تمارسها السلطة ضد اعضاء مجالس الطلبة الا انها لا تستطيع التحكم في تقرير مرشحي الطلبة للانتخابات

ان هذه الاستقلالية النسبية لجامعات الارض المحتلة، وبفعل الدور الذى تلعبه، ونشاط الحركة الطلابية فيها ،واعتبارها مركزا اساسيا لاحتواء الاعداد الغفيرة من خريجي التوجيهي العامة ،فرضت على الطلبة واجبا خاصا تجاهها ،فهم لا يشعرون بالكراهية والقمع من خلالها ،ولا هي مؤسسات لتدجينهم وترويضهم ،بقدر ما يحسّون بالانتماء لها لانهم خلقوا هذا النموذج المتقدم فيها سواء في الموقف الوطني او في المناخ الديموقراطي ولذلك يتجه الطلبة للحفاظ على الجامعة لا الى تدميرها ،او الاضرار بها ،لانها متنفس لهم بعكس ما كانت تعنيه جامعة السوربون مثلا لطلاب فرنسا عام ٦٨ ، ولعل من الضرورى هنا القول ان احدى المميزات الخاصة للطلبة في المناطق المحتلة،ومما يسمح بدور اكبر للجامعات والمعاهد في الارض المحتلة،هو قوة التمركز العددى لهذه الالاف قياسا بكافة الفئات ،فان عدد المصانع التي يتجاوز عدد العاملين فيها اكثر من مئة عامل في الضفة والقطاع لا تزيد عن اربعة (٧)

بينما بلغ عدد الطلبة في جامعـــات بيرزيت والنجاح وبيت لحم فقط ٦٥٠٠ طالب، ومن هنا فان كل هذه العوامل تساعد في ازدياد دور الطلبة في الارض المحتلة .

ومن اجل مجابهة كل هذه العوامل والقضاء على استقلالية الجامعات النسبية ولاعادة تدجين الجامعات في نطاق الاشراف المباشر للسلطة ،وللقضاء على كل المنجزات

Digitized by Birzeit University Library

السابقة الذكر فقد سنت سلطات الاحتلال الامر العسكري "٨٥٤" وهو تعديلا للمادة (١٦) من القانون الاردني ،والذي يهدف الى اخضاع الجامعة مباشرة للادارة المدنية، تمويلا ،ونظاما واشرافا مما يهدد بانتزاع كل ما تحقق من انجازات ،وليس فقط للحركة الطلابية ،وانما ايضا لاستقلالية الجامعة كمؤسسة تعليم عليا ..

× × × × × ×

ان ما تقدم كان يهدف الى الاشارة لعدم الدقة في عملية التعميم وفي استنتاج د.اياد الاساسي لتغلغل "اليسار الجديد" ونشير هنا الى أن تداول صور "تشي جيفارا" في المناطق المحتلة والاقبال المتلهف عليها لا يدل على موضة "تقليد للغرب" ولا رغبة في "اليسارية الجديدة" من خلال نموذج جيفارا ،بقدر ارتباطها بالاعجاب بالثورة المظفرة في كوبا ، وبالروح الثورية المعادية للامبريالية التي جسدتها .

ويمكننا الجزم قطعا ان الاقبال سيكون كبيرا كذلك على صورة "فيدل كاسترو" فيما لو عرضت في المناطق المحتلة نظرا لما اكتسبته ثورة كوبا ،وصلابتها الكبيرة في مواجهة الامبريالية ،من تقدير عال ولذلك فان هذا الاستناد الذى اشار اليه د.اياد لا يكتسب مصداقية جديّة ،لوصف الحركة الطلابية بالميول لتقليد الغرب .

الى هنا نكون قد انتهينا من نقاش الجانب المتعلق بالمنهج وبالتعميم الذى استخدمه د.اياد ،حول ظاهرة "اليسار الجديد" ، وسنتنقل في العدد القادم لنقاش الاوصاف والاستنتاجات الخاطئة التي قدمها د.اياد في وصفه للحركة الطلابية في المناطق المحتلة ..

✪ ✪ ✪ ✪ ✪

الهوامش :-

١) جاك وودس - نظريات حديثة حول الثورة (الجزء الرابع) .
٢) شهدى عطية الشافعي - تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ -١٩٥٦ - ص٩٨ .
٣) حسين عبد الرازق - مصر في ١٨ - ١٩ يناير ص ٨١ .
٤) المصدر السابق ص ٨٣ .
٥) جاك وودس - نظريات حديثة حول الثورة الجزء الرابع ص ٧٦ .
٦) المصدر السابق .
٧) الكاتب - عدد (٣٦ - ٣٧) - من ندوة الطبقة العاملة الفلسطينية في ظل الاحتلال.

✪ ✪ ✪ ✪ ✪

Digitized by Birzeit University Library

الرمـــلة شكـــــل مختلـــــف
وسياســـــة واحـــــدة

بقلم / الاسيرين عطا القيمرى
ومحمد عليان

سجن نفحة الصحراوى

محمد عليان

على مدى السنوات الخمس عشرة الماضية شهد المناضلون الفلسطينيون في المعتقلات الاسرائيلية شتى صنوف **المعانـاة**، وحشدا كبيرا من اشكال الاستهداف الصهيوني لهم انسانيا ووطنيا بحيث يتيح التأكيد بأن وجودهم الاعتقالي لم يتبلور في اطار وجود حركي منظم وفاعل الا عبر التصدى سواء بالمقاومة السلبية او الايجابية لمخططات هذا الاستهداف الذى يرمي اولا وأخيرا الى نفي مطلق وتام لكل وجود وطني فلسطيني كانعكاس لاهداف الحركة الصهيونية الاصيلة تجاه ارضنا وقضيتنا.

وفي التجربة التاريخية الطويلة للوجود

Digitized by Birzeit University Library

الاعتقالي وبالتوازي مع الاشكال المختلفة التي اتبعتها ادارة القمع الصهيونية برزت سلسلة طويلة من التجارب التي تتسم ببعض الخصوصية سواء بالنسبة للمراحل المختلفة لتطور التجربة في المعتقل الواحد او اختلاف وتباين التجارب في كل معتقل على حدة، ولهذا ونظرا لكون تجربة الرملة كوجود اعتقالي كبير قد انتهى تقريبا بنقل الغالبية العظمى من المناضلين هناك، وتوزيعهم على بقية السجون (١٩٨٠/١/٢٥) فان الوقوف امام تلك التجربة ودراستها من حيث التقائها واختلافها مع التجارب الاعتقالية الاخرى ليس بقليل الفائدة لصالح الحركة الوطنية الاعتقالية وتطورها وعلى الرغم من ان معتقل نفحة الصحراوي قد برز منذ افتتاحه كمعتقل للارهاب والاستهداف اكثر صورة تجليا وفظاظة، واعاد الى الاذهان ذكرى افتتاح معتقل عسقلان والهدف الذي حدده له وزير حرب اسرائيل انذاك موشيه ديان اذ قال بانه يستهدف تحويل الفدائيين الى عبء وعالة عندما يخرجون منه، على الرغم من ذلك الا انه لا ينبغي لهذه الصورة الفظة للاستهداف ان تخفي عنا او عن الحركة الوطنية بشكل عام، تلك الاشكال الاخرى للاستهداف والتي كانت اكثر تمويها، وبالتالي اكثر ذكاء ومكرا، وعليه تكون استعادة تجربة الرملة بصفتها تشكل نموذجا صافيا لهذا الشكل الخبيث ذا اهمية ليست بالقليلة.

وغني عن البيان التأكيد بأن تجربة الرملة اياها لم تنته الا مكانيا اي كتجربة مستقلة مميزة في حين استمرت وبشكل فاعل في الاسهام في التجارب الاعتقالية الاخرى التي انتقل المناضلون اليها...

ان تجربة الرملة والى حد كبير هي تجربة قسم (ج) او ابناء القدس (ولا ينطوي هذا التعبير على اي معنى من معاني الفئوية) على اعتبار انهم الوحيدون في المعتقل، الذين مثلوا واقعا سياسيا. اذ ان المناضلين الذين تواجدوا في القسم العام (ج) كانوا مندمجين في واقع الجنائيين (يهودا وعربا) بشكل لا يمكن التمييز بينهم، ومع ذلك وحتى لا نجافي الحقيقة فان هذا القسم (اي القسم العام) ايضا قد شهد ملامح الواقع السياسي بشكل من الاشكال، منذ عام ٧٦ حيث اخذ يظهر الى حيز الوجود واقعا تنظيميا معينا تجلى بلجنة تنسيق ومظاهر سياسية أخرى كالمناقشات والندوات ومواقف نضالية لها مدالبل للحقيقة والواقع يمكن وصفها، بذات مغزى عظيم وحتى لا نضطر للعودة لهذا الجانب بحكم ان مقالتنا هذه لا تعالجه بالذات نسجل هنا ان هذا القسم قد خاض اضرابات عدة ابرزها اضرابان احدهما مطلبي سنة ٧٦ تمثل برفض العمل الانتاجي واستمر ستة اشهر تعرض المناضلون خلالها لاقسى انواع المعاملة اللاانسانية والخنق والاستهداف...الخ وانتصروا فيه (وللحقيقة ان هذا الاضراب هو الذي وضع اساس مظاهر الواقع السياسي اللاحقة) والاخر سياسي اعلنه عدد من المناضلين يهدف انتزاع الاعتراف بهم كأسرى سياسيين وانتهى بعد ٣٤ يوما وقد ترك على الاقل اثرا قضائيا هو اقرار محكمة العدل العليا بحقوق المضرب وعلى رأسها تناول الوجبة الاجبارية بالكأس..

ويمكننا تقسيم تجربة الرملة خاصة اذا اردنا التركيز على ما يميزها بالذات عن غيرها من التجارب الى مرحلتين:

الاولى: مرحلة المساواة مع المعتقلات الاخرى من حيث المعاملة والشروط الحياتية لقد كانت الظروف في هذه المرحلة قاسية جدا لدرجة اجبار المناضلين على العمل حتى في الشبك ولزمن طويل دون ان يمنحهم هذا اي امتياز. بل على النقيض، كانت شروط الحياة متدنية ومهينة، ففترة النزهة (الفورة) مدتها ساعة، حيث كان المناضلون يسيرون على شكل دائرة وايديهم خلف ظهورهم ومحرومين حتى من التدخين

Digitized by Birzeit University Library

والتحدث ، اما باقي الوقت فيقضونه في الغرف المغلقة دون ان تتوفر حرية ممارسة نشاطات مفيدة كالقراءة ، حتى ان قصاصة الجريدة كانت ولفترة تستوجب الزنزانة او لعب الرياضة التي كانت تطارد وتحسب من الممنوعات حتى عام ١٩٧٤ . وهذا فضلا عن سوء التغذية والمعاملة الشخصية القاسية والمهينة حتى ان موضوع الضرب لم يكن مستقطا من الحساب ، لقد تخلل هذه المرحلة سلسلة طويلة من النضالات المطلبية التي تهدف تحسين شروط المعاملة والاعتقال كان اولها عام ١٩٦٨ عندما اضرب المناضلون عن الطعام تحت شعار مطلب تحسين التغذية واستمر عشرة ايام وانتهى بلجوء ادارة القمع الى استخدام العنف وبالتالي ٦٩ احتجاجا على عمليات الضرب والمعاقبة اللاانسانية واستمر ١١ يوما والثالث اضراب تضامني مع عسقلان ليستمر لمدة ٣ ايام ، وكان هذا اول اضراب تضامني في باقي التجربة الاعتقالية العامة اعلنته الرملة وكفاريونا في آن واحد. الامر الذي اعطى النضال بعدا جديدا اخر . اذ اخرج النضال الاعتقالي من نطاق جدران السجن الواحد ليلتقي في سجون ثلاثة وهذا ينطوي على دلالة جديرة بالاهتمام في وضعنا الراهن . اضافة الى ما تركه هذا الاضراب من اثار محلية مع انه لم يرفع سوى شعار التضامن ، اما عام ٧٣ فقد شهد نوعا جديدا من الاضرابات لا يتعلق بالمعاملة او الشروط المعيشية بل بمركب حياتي وسياسي اساسي للمعتقل هو مسألة العمل ، لقد عمل المناضلون في الشبك وغيره لزمن طويل ، وقد توقف عمل الشبك لامور فنية ، لكنه عاد ثانية ليبشر بعودة الاوضاع الى سابق عهدها ، الامر الذي لم يكن بوسع المناضلين استيعابه او قبوله باي شكل ، فكان اضراب الشبك الذي طرح مطلب اعفائنا كمناضلين سياسيين من عمل مهين كهذا وانجز هدفه بالكامل في غضون اسبوع واحد .

المرحلة الثانية : وتبدأ عام ٧٤ : صار من الملحوظ ان ثمة نقلة تحدث على وضع المعتقل من الناحية المعيشية وذلك في اعقاب اضراب استمر لاسبوع تحت عنوان "سلة الفواكه" ومع انه كان تضامنيا مع اقسام السجن الاخرى اذ اننا لم نكن نتلقى هذه السلة الا اننا كنا نأمل بان يكون لهذا الاضراب مجال لانتزاع بعض المطالب الحياتية الضرورية لنا كزيادة الفورة وتسهيلات ثقافية وتحسين الطعام والرعاية الصحية ، ومن المفارقة الواضحة التي لا يمكن الا ان تثير التأمل وتحفز استخلاص للخيط الذي يتم نسج السياسة المعادية العامة لكافة المعتقلات وان اخذت اوجها مختلفة ، نقول من المفارقة ان الذي يشرع في تطبيق هذه السياسة المرسومة ، مركزيا على الصعيد المحلي والتي يمكن ان نسميها بالليبرالية أحد ألد الاعداء للمساجين "ويستلفيلد" اليست مفارقة فعلا ان يتبع معادي له جولات وجولات في المعتقلات السياسية الاخرى، سياسة ليبرالية في معتقل سياسي ما ؟! الا يتيح لنا هذا الادراك ان نقرأ حريريا على شكل قفاز شارون في المناطق المحتلة هو الذي كان يلبسه ويستلفيلد انذاك لقد حدثت النقلة ولكنها لم تأت الا بعد قناعة من استنفاد سياسة القبضة الحازمة السابقة لنفسها وذلك من خلال مسيرة النضال المتواصل التي اكدت له صلابة المعتقل واقنعته بضرورة تغيير شكل السياسة لعل وعسى! هذا بالاضافة الى ان تطبيق سياسة الليبرالية

Digitized by Birzeit University Library

على ابناء القدس بالذات له ما يعمده من جانبه ومعقول . فالرملة سجن مختلط من المحرج للادارة فيه تطبيق سياستين مختلفتين في اقسامه المختلفة ناهيك عن ان القدس وصمودها رسميا ويعتبر ابنائها خاضعين للقانون الاسرائيلي هذا بالاضافة الى انها تشكل تجربة عنيدة يمكن تعميمها فيما لو نجحت ، ان ما تمتاز ، به هذه المرحلة هو اشاعة جو من الحياة الداخلية ليتسم بمرونة المعاملة ومنح التسهيلات او ما جرى الاصطلاح على تسميتها "بالامتيازات" ومن الملفت للنظر بالطبع ان يتجه المناضلون ذهنيا الى تسميه كهذه يطلقونها على امر لا يمت باى صلة حقيقية لمفهوم الامتيازات ، فكيف يكون لمزيد من النور والهواء والشمس ان يكون امتيازا ؟! وكيف يكون للسماح بممارسة الرياضة في الساحة بعد ان كانت محظورة وملاحقة حتى في الغرف ؟! كيف يمكن لامر كهذا ان يكون امتيازا ؟! والايجاز تسمية نضالاتنا اليوم بانها لتحقيق امتيازات وليس للحصول على حقوقنا كمعتقلين ، وللحقيقة فقد رفضنا ان نطلب التلفزيون والسينما ، واحضرته الادارة من نفسها حتى لا نعطي انطباعا للادارة اننا متهافتون عليه وبالتالي تستعمله كسلاح لكبح نضالاتنا ولكن الاتجاه الذهني لاتخاذ تسمية كهذه عنوانا لاجراءات تتسم بالليبرالية ، وتتخذها لم يعهد منها المناضلون سوى العسف والقهر والقبضة الفولاذية كان له ما يبرره ، فقد كان هذا يعكس طريقة تفكير المناضلين وقناعاتهم الداخلية بانه لا يمكن ان يتحول القاهر المستبد ومنتزع الحريات في لحظة وعلى نحو مفاجيء ليتخذ وجها جديدا وان كان مطلب التغيير واردا اصلا وموضع نضالات متواصلة من قبل المناضلين .

ان مجرد اطلاق تعبير "امتياز" على اوضاع تجعلنا نعيش في شروط افضل بكثير عن باقي المعتقلات ، كان ينطوي على شعور عميق بآنية الاوضاع وذلك لشعورنا بان ادارة السجون ستلجأ حتما الى سحب هذه الانجازات بصفتها امتياز ليس لنا منه حق ، في لحظة نشعر فيها ان الهدف المرجو منه لم يتحقق وطالما اننا كنا مصرين اصلا على ان لا يتحقق فقد كان هذا الاصرار بالضرورة مصاحبا دوما بشعور "آنية الاوضاع" الشعور الذي كان يتعزز باستمرار كلما تعزز هذا الاصرار نفسه ، فقد كانا يسيران كلاهما في اتجاه واحد وبشكل متواز . وقد ثبت ذلك بالملموس اذ انه كلما اخذنا موقفا نضاليا بصرف النظر عن خلفيته تعبيريا كان او تضامنيا او مطلبيا كانت ادارة السجن تلجأ لاتخاذ الكثير من الاجراءات التي يكون التلويح سحب "الامتيازات" محورها فكانت مثلا تغلق الابواب طيلة اليوم وتحرمنا من مشاهدة التلفزيون وتمنعنا من التنقل بين الغرف احيانا واحيانا تمنعنا من شراء "الكانتينا" وتمنع الزيارات ومن الملاحظ ان هذه الاجراءات لم تتوقف مع توقف الاضراب او الموقف النضالي بل كانت تستمر لايام طويلة ومع ذلك فان اصرارنا على تحطيم سياسة محو الهوية السياسية الذي كان يعزز شعورنا بآنية الاوضاع المريحة نسبيا كما يعطي هو نفسه بعدا اضافيا ، هو اننا كنا مطالبين بالاضافة لتعزيز الهوية السياسية وتأكيدها بالابقاء على ما نحقق من اوضاع على اعتبار انه "انجاز" وليس "امتيازات" ، فقد كان شعورنا بآنية الاوضاع يحفزنا على الاصرار للعمل في اتجاهين يكمل احدهما الاخر ولا يتعارضان الا من ناحية تطبيق الادارة

Digitized by Birzeit University Library

لسياستها وتقييماتها الدورية لحصيلة الانجاز الذى حققته هذه السياسة . وهذان الاتجاهان هما تأكيد الهوية السياسية لممارسة كافة الاشكال المعبرة عنها مع انتزاع هذا الحق وفصله نهائيا عن الاوضاع الحياتية بحيث يبقى عليها دون ان تكون مرتبطة بامال انتهاء وجودنا السياسي ، تلك الامال التي يحملهارجالات ادارة السجن في اذهانهم وقلوبهم . ونقول هنا ان هذه المرحلة على الرغم من ان الطابع السياسي هو الذى طغى على مجمل المواقف والممارسات النضالية والحياتية الا ان النضال المطلبي لم يكن معدوما بل كان مطروحا دوما ومرتبطابالممارسة السياسية موضوعيا وذاتيا ، فقد كانت الصحة والثقافة والطعام والسبطرة على المطبخ وتنويع اغراض الكانتينا وادخال الحلويات في الاعياد والسماح بادخال الفواكه وشرائها من السجن .. الخ كانت هذه الموضوعات دوما موضعا لنضالات مستمرة ومماحكات واصطدامات شبه يومية "خاصة موضوع الطعام" مع ادارة السجن هذا بالاضافة لموضوع العمل الذى كان مصدرا امامبا لكثير من الصدامات الى ان تحقق عمليا شعار حرية العمل او بالاحرى حرية عدم العمل دون ان تجرؤ الادارة حتى على طرح موضوع العمل الانتاجي بعد ان فشلت في تمريره على من تعتبرهم هي اكثر قابلية منا ونقصد القسم العام وقد تحقق الان مبكرا جدا مع نهاية عام ٧٥ ، ولم يبق سوى مشغل واحد للجزادين وهو لايضاهي باى شكل المشاغل المألوفة في المعتقلات الاخرى ولا يتجاوز العاملون فيه من السياسيين عن العشرة لقد اتضح لنا منذ الايام الاولى لتطبيق السياسة الجديدة انها بمجملها تشمل ابعادا مختلفة وحتى متعاكسة الاتجاه ، فهي بالقدر الذى يمكن ان تساهم في تخفيف عبء الاعتقال عن كاهل المناضلين كاشخاص وبصفتهم بشر يسعدهم ان تتجلي ظروف القساوة والاختناق والحشر الدائم وملاحقة الحراس لهم،وان نقود ظروف تمنحهم حرية شخصية اكبر وانطلاقا الى مساحات ارحب كأن يستطيع المرء ان يسير في الساحة كيفما شاء ودون ان يتقيد بالدوران الزوجي المنتظم المفروض وغيرها من الحريات ، فهي بالقدر الذى تساهم في تخفيف الاعباء الشخصية كانت كفيلة كما كان مألوفا منها بالطبع ان تسحب بساط الوجود السياسي من تحت اقدام المناضلين وذلك بانتزاع المظاهر التي كان يتجلى فيها هذا الوجود وتثبيت مظاهر اخرى نقيضة لها تماما ، فقد كان الشعار المرفوع حينها من جانبادارة السجن هو "لا تقل نحن ، بل قل انا" . وهو الشعار الذى يعكس ذاك الهدف باجلى صورة ومؤكده الهدف من كل سياسة الليبرالية في التعامل الا وهي تصفية الهوية السياسية الجماعية ولقدادركنا تماما هذين البعدين للمسألة وكان هذا الادراك الشرط الاول والاساسي لمواجهة السياسة المتبعة لكن دعونا اولا نطرح السؤال التالي : هل تتعارض الحريات الشخصية مع الوجود السياسي ؟! وبأى شكل اذا كانت تتعارض اصلا ؟! والحقيقة ان التعارض وارد فقط اذا كان هناك فهم وممارسة مغلوطان للحرية الشخصية وذلك لان المناضل الواعي لا يشعر ان وجوده السياسي يضيق الخناق علىحريته الشخصية ، بل هو على العكس يشكل اطارا حقيقيا للتعبير عن ذاته وعن حريته الشخصية باسمى معانيها ...

ان الوجود السياسي وجود جماعي

Digitized by Birzeit University Library

بالاحساس والحرية الشخصية لا تتعارض مع الوجود السياسي الا بالقدر الذى تتعارض به حرية الفرد مع حرية الجماعة وعلى اى حال فان للمسألة ايضا ابعادا اخرى تربوية ومسلكية ... الخ. فلا يكفي الا تتعارض حرية الشخص مع الجماعة وبالتالي ان يصان الوجود السياسي فهي بهذا تكفل عدم الاضرار به فقط ، اما اذا كان المطلوب صيانته من موجة استهداف بل والارتقاء به فان على الحرية الشخصية ان تصبح مركبا اساسيا في الوجود الجماعي المتلاحم وحتى لا يبقى طرحنا مثاليا خالصا نورد على سبيل المثال لا الحصر الامر التالي : كانت الرياضة ممنوعة كليا ، فسمح بها ، واذا بالمناضلين يخرجون للعب كل على هواه ، والابقاء على هذه الصورة كان من شأنه ان يعزز الفردية مع ما يحمله ذلك من مخاطر وسلبيات لهذا كان يجب ان يصار الى تجنيد هذا المكسب لصالح الوجود السياسي نفسه اولا بحيث يتم تنبيه من لم ينتبه الى اهميته على الاستفادة منه،ثم تنظيم هذا المجال بحيث يصبح عاملا في تكتل الجماعة ورفع مستوى تنظيمها وانضباطها ، كأن يقر حدا ادنى من الواجب

الرياضي يلتزم المناضل بالقيام به ، ثم لتنظيم الرياضة لتصبح ممارسة جماعية مسلية ومفيدة ومكرسة للوجود السياسي نفسه ، واذا كانت اشاعة جو من المرونة في المعاملة مع توفير تسهيلات اوسع في الحياة اليومية هو مظهر اساسي لسياسة الليبرالية التي اتبعها "ويستلفيلد" محاولا من خلال تمييع الوجود السياسي للاجهاز عليه فان دمج المناضلين السياسيين بالسجناء الجنائيين والاحرى اكثر السجناء الجنائيين انحطاطا ورخاصة هي ما يشكل المظهر الاخر لهذه السياسة ، وحتى لا نطيل الحديث نقول باختصار ان مواجهة سياسة الدمج التي غالبا ما حاولت ادارة السجن اشتراطها بتحسين ظروف معيشتنا ومساواتنا من حيث الحقوق بسائر اقسام السجن بحجة ان من يريد المساواة يجب ان يدفع ثمنها وهو ان يعيش كما يعيش الاخرون "والمقصود الجنائيون" اى بشكل فردى . ان هذه المواجهة كانت تعبر عنها سلسلة من الاصطدامات والمواجهات والتوترات اليومية ، مع الادارة ، لقدكان المعتقل ونقصد هنا قسم

(ج) يصل في احايين متواترة الحدوث الى حافة الانفجار ، ببساطة ، في لحظة شد بيننا وبين الادارة فنحن من جهتنا كنا نصر على عدم التنازل عن مبدأ رفض الاختلاط والادارة تحاول دون كلل او ملل تمرير هذه السياسة وبأشكال متنوعة ومتجددة دوما كأن يأتون بسجين جنائي ويلقون به وبامتعته الى احدى غرف المناضلين وكنا نحن نرفضه بحزم لا يلين ، لقد اصرت الادارة كثيرا على عملية الدمج هذه ، فصارت تقذف باعداد متزايدة من الجنائيين بحيث اصبح عددهم ما يقارب الخمسين سجينا ، أملة ان يترك عددهم الكبير اثرا على نمط حياتنا وسلوكنا ولكنها تبينت مع مرور الزمن خطأ اعتقادها اذ صارت على العكس تخشى حتى على هؤلاء السجناء من تأثيرنا ، فقد انضم هؤلاء السجناء الى مواقف مضادة للادارة تحت شعارات مطلبية صرفة كنا بادرنا نحن بطرحها والنضال من اجلها وصار سلوك هؤلاء السجناء يعكس التأثير المتزايد الذى كنا نحدثه عليهم وهذا لا يعني انهم كفوا عن مسلكياتهم الشاذة العادية بل يعني انهم اتخذوا بعض المظاهر

Digitized by Birzeit University Library

التي كانوا يرونها جزءا منا . وهكذا تعطل جانب اساسي من مخطط الادارة نحو هويتنا السياسية بل كانت هذه النتيجة عكس ما توقعتها ادارة السجن ، والسبب في تحقيق هذه النتيجة يعود ببساطة لعاملين : اولا وعي المناضلين لهذا الجانب وتصديهم له .وثانيا : مواجهتنا لتأثير الجنائيين المحتمل بشكل جماعي في حين ان الجنائيين انفسهم مارسوا او كان من شأنهم ان يمارسوا هذا التأثير المحتمل بشكل فردي وغير مخطط واننا اذ نظرنا الى سياسة الليبرالية كشكل من اشكال القمع والاستهداف اكثر تطورا وذكاء وبالتالي اكثر خطورة ، ادركنا منذ البداية ان مواجهتنا تتطلب بالاساس تعزيز مظاهر وجودنا السياسي وذلك بالعمل على محورين :

الاول :ـ

يتجلى في تعزيز وحدتنا وتلاحمنا الداخلي وترسيخ اطرنا التنظيمية والاعتقالية بحيث يصبح هذا الوجود غير مرتبط بوعي وارادة هذا الفرد او ذاك بل كتقليد وكقيمة يتمسك بها الجميع دون ان يستطيع اى كان التحول عنها مهما كانت قوة تأثير الشخصية.

الثاني :

يتجلى في المواقف النضالية التعبيرية والتضامنية والسياسية التي حولت المعتقل بحق وحقيقة الى معتقل سياسي بكل معنى الكلمة ،ينقل تأثيره الى الجماهير ويشاركها الامها ونضالاتها ويضع قدم الحركة الاعتقالية على طريق التحول الى عامل انهاض ودعم الحركة الجماهيرية . لقد واكب العمل في اطار المحور الاول انف الذكر مصاعب جمة وعراقيل موضوعية وذاتية لا يستهان بها ومع ذلك فقد نجح المعتقل في الارتقاء بالعلاقات الفصائلية الثورية الى مستوى الوحدة الوطنية الاعتقالية المتلاحمة والمؤطرة بواقع دستوري يعكس فهما متطورا ويتجسد في مؤسسات اعتقالية جرى التقليد والعادة على احترامها احتراما لا يصل الى مستوى احترام الاطر التنظيمية التي قد ترسخ تاريخيا .والحقيقة ان دستور المرحلة لم يتم صياغة مثيل له لبعده الديموقراطي والعميق حتى الان في اى تجربة اعتقالية وكان من نتائج هذا المستوى الراقي لهذه العلاقات الاعتقالية الارتقاء بمستوى المظاهر التعبيرية عن الوجود السياسي نفسه،فصار الى اصدار مجلـــــة "الصمود" الشهرية (التي كانت تصل الى ١٣٠ صفحة تشمل المقالات الادبية والسياسية والفكرية والاعتقالية والقصة..الخ) وعقد الندوات الاسبوعية التي كان يحضرها ما لا يقل عن ٨٠ ٪ من المناضلين ،وافتتاح مدرسة يدرس فيها ما لا يقل عن اربعين مناضلا في مواضيع شتى ،علمية ـ اكاديمية وفكرية ثورية كالعلوم واللغات والفلسفة والاقتصاد والتاريخ الفلسطيني القديم والحديث ..الخ، وهذا فضلا عن الممارسات التنظيمية التربوية والفكرية وحتى الممارسات الثنائية ونقصد هنا ممارسات يقوم بها اكثر من فصيل دون ان يتعارض لقائمها مع البرنامج العام .واما في اطار المحور الثاني فلا نغالي لو قلنا ان المواقف النضاليةالتعبيرية والسياسية والتضامنية كانت تحتل مساحة معبرة من زخامة المعتقل السنوية،فالرملة كان اول من طرح

Digitized by Birzeit University Library

على جدول اعمال المعتقل السياسي الاضراب والنشاط السياسي الفاعل والامثلة هنا ليست قليلة.فقد شارك معتقل الرملة الحركة الجماهيرية في نضالاتها في اكثر من مناسبة سواء تلك المتعلقة بالمناسبات التقليدية لانتفاضات شعبنا او تلك الانتفاضات والنضالات التي تثيرها ممارسات الاحتلال القمعية والتصفوية ، شارك المعتقل جماهيرنا في يوم الارض الاول (وكل ذكرى) وانتفاضة الشعب للتصدي لمحاولة طرد الاخ بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس المنتخب وفي الاضراب الكبير ضد تصفية شركة الكهرباء الوطنية في القدس وغيرها الكثير .

وقبل ان نصل الى نهاية مقالتنا لا يفوتنا القول بأننا لم نذكر جوانب سلبية لا بد وان كانت قائمة بالفعل ودلك ليس بدافع طمس الحقيقة او التهرب منها ودليلنا اننا لم نذكر سوى القليل من الجوانب الايجابية بل لان حفظ المقالة نفسه يستدعي ذلك ،وهو لفت انتباه القراء الاعزاء الى ان الحياة "المريحة" التي كان المناضلون يعيشونها في الرملة لم تكن سوى وجه اخر لممارسة قمعية تهدف الى نفس المرامي التي هدفت وتهدف اليها سياسات القمع المباشر والفظة.. لم تكن من جانب المناضلين الا تحويلا لكل ما هو قبيح وهدام في مرماه . الى حسن والى مسمار بدقه المناضلون في نعش السياسة اللاانسانية لادارة السجون ،وختاما نقول ان عملية النقل نفسها التي تمت في بداية سنة ٨٠ كانت المحصلة النهائية لهذه المعادلة معادلة رفض المناضلين لهذه السياسة القدرة واصرارهم على افشالها مهما كان الوجه الذي تتخذه ، معادلة انتصار ارادة المناضلين وصمودهم بوعيهم وانضباطهم ونضالهم ودحر مخطط اغتيال هويتهم السياسية والثورية .

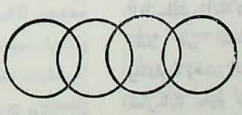

Digitized by Birzeit University Library

NEOCOLONIALISM
NEW TRENDS

النيوكولونالية
"الاستعمار الجديد"

ترجمة / أمل عميرة

هذه الدراسة للكاتب السوفياتي المعروف ـ سموشا ، ويعتبر البروفيسور سموشا على حق من ابرز الخبراء في شؤون وقضايا حركة التحرر العالمية المعاصره . وله في ذلك العديد من الكتب والابحاث والمقالات .

وسنقوم " الكاتب " بنشر هذه الدراسة في سلسلة من ثلاث حلقات .

هل مات الاستعمار ؟

ان انهيار النظام الاستعماري للامبريالية بعد الحرب العالمية الثانية، أدى الى الادعاءات الغربيه بأن الاستعمار قد مات، وأنه بناءا عليه لا يوجد للدول المتحررة حديثا أي سبب للخوف من اسيادها القدامى، وانها تستطيع الآن ان تمتّن علاقات الصداقة الاقتصاديه والسياسيه معهم. هل هذا صحيح؟

لا يمكن الانكار بأن الامبريالية تغيرت بدرجة كبيرة على مرّ السنوات الماضية. الامبريالية في أوجها، أي في بداية القرن العشرين، عندما كانت نامية حديثا" من حالة جنينية الى النظام السائد" ، تختلف بشكل كبير عن الامبرياليةفي يومنا هذا، لكن على الرغم من هذا ،فان التغيرات التي حصلت لم تلمس جوهر الامبريالية الذى ظلّ متميزا بالعدوانية والاستغلال كما فى السابق، ولم تؤثر هذه التغيرات الا على مظاهرها وامكانياتها الخارجية فقط. مثل هذه التغيرات حدثت بشكل مستقل عن رغبات الاحتكاريين الذاتية وكانت نتيجة للتغيرات الموضوعية في العالم ـ نتيجة التغير المطرّد لتوازن القوى في العالم لصالح الاشتراكية ولنجاحات حركة التحرر الوطني التي ترتبط به. في مثل هذه الظروف ،بدأت الامبرياليه بفقدان بعض خصائصها السابقه.

** فلاديمير ايليتش لينين ،المؤلفات الكاملة، المجلد ٢٢، ص ٢٨٤.

Digitized by Birzeit University Library

ينطبق هذا وقبل كل شيء على الملكية الاحتكارية لمساحات واسعة من المستعمرات. في الوقت الحاضر، أقل من واحد بالمئة من عدد سكان العالم يعيش تحت السيطره الاستعمارية، في حين أنه في بداية القرن العشرين، كان ثلثي البشرية يعيشون في مستعمرات واشباه مستعمرات.

لكن على الرغم من أن انهيار النظام الاستعماري حرم الدول الاحتكارية من المناطق المستعمرة، فان الامبريالية لا تزال لصوصية ومصممه على السيطره كما كانت دوما. ان خسارتها للمستعمرات أجبرها فقط على تغيير استراتيجيتها.

في علاقاتها مع الدول المتحررة حديثا، تتخذ الامبريالية وبشكل متزايد هيئة الاستعمار الجديد "النيوكولونيالية". في حين تتخلى عن السيطرة العسكرية ـ السياسية المباشرة على مستعمراتها واشباه مستعمراتها السابقة، تسعى اليوم لمواصلة الاستغلال الاقتصادي لهذه المناطق، حاعلة انهاء الاستعمار في النتيجة لا يتعدى انهاء اشكال الحكم الاستعماري. بكلمات اخرى، الاستعمار الجديد النيوكولونيالية" هو عبارة عن نظام السيطرة والاستغلال الاقتصادي غير المباشر للمستعمرات واشباه المستعمرات السابقة التي حصلت على استقلالها القومي في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية.

ان عناصر سياسة النيوكولونيالية اليوم يمكن رؤيتها في بداية القرن العشرين. لقد رسخت الامبريالية دولا تتمتع رسميا (شكليا) باستقلالها السياسي، لكنها في نفس الوقت تخضع للامبريالية اقتصاديا وماليا بشكل تام. الدول المستقلة شكليا في آسيا، مثل الصين، تركيا، ايران كانت في الواقع اشباه مستعمرات، امثله اخرى على التبعية المالية والدبلوماسية غير المباشرة يمكن رؤيتها في حالة العديد من الدول المستقلة في امريكا اللاتينية مثل الارجنتين، والتي كانت في الاساس مستعمرات تجارية لدول امبريالية احتكارية.

في المرحلة التاريخية الحالية، والتي تشهد صراعا ضاريا بين النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي، يوجد للامبريالية مصالح سياسية كبيرة في المحافظة على الدول النامية ضمن اطار النظام الرأسمالي العالمي، وهي تعتبر ذلك ضروريا من اجل المحافظة على مواقعها في صراعها ضد المنظومة الاشتراكية. لكن الطريقة الوحيدة التي يمكن بها للامبريالية ابقاء الدول النامية المستقلة سياسيا ضمن فلكها هي بتشجيع التطور الرأسمالي لهذه الدول. هذا المسعى السياسة تتعارض مع المصالح الاقتصادية للامبريالية والتي تتطلب المحافظة على تخلف هذه الدول لمواصلة استغلالها.

هذا التناقض دفع الامبريالية لبذل الجهود من أجل فرض وتطوير اشكال رأسمالية تشبه النموذج الاستعماري على الدول المتخلفة لضمان تبعية هذه الدول للدول الرأسمالية المتقدمة.

مواصلة سياستها الاقتصادية الجديدة في الدول النامية، تسعى الامبريالية للاعتماد على طبقات وفئات اجتماعية جديدة، لا سيّما وان القوى الرجعية القديمة ـ الارستقراطية الاقطاعية، الزعماء القبليين، الكمبرادور (الوكلاء) ـ قد شوهت سمعتها لمساندتها الصريحة للادارات الاستعمارية. هذا بالاضافة الى ان الثورات التحررية قد اضعفت القوة الاقتصادية والسياسية لهذه القوى في كثير من

Digitized by Birzeit University Library

البلدان .هذا يفسّر اعتماد الامبرياليين المتزايد على القوى الرجعية الجديدة الاخذة بالنمو ـ الرأسماليين المحليين الاغنياء، مالكي الاراضي الذين تحولوا الى رأسماليين والبيروقراطيين اصحاب الاجور المرتفعة.

لكن هذا لا يعني ان القوى الرجعية القديمة قد أهملت.على العكس من هذا، فان الامبريالية تشجع التعاون والتحالف المباشر بين القوى الرجعية القديمة والجديدة وكلما كان في الامكان فانها تحافظ على قوة الاقطاع المتحولة بالتدريج الى قوى رأسمالية مرغمة اياها على التحالف مع البرجوازية الكبيرة.

لا بد من التأكيد على ان اهمية القوى الرجعية الداخلية للامبريالية في الدول النامية قد ازدادت بما لا يقاس بالمقارنة مع الاوقات الاستعمارية (الكولونيالية) السابقة. في الماضي. كانت القوى الرجعية الداخلية شريكة للامبريالية التي كان بامكانها السير بدونها، ولكنها وجدت ان من المفيد توظيفها لصالحها. حاليا فرض الامبريالية لنهب الدول النامية المستقلة سياسيا، ومدى نجاح هذا العمل يعتمد كليا على طبيعة القوى الاجتماعية في السلطة في أي بلد معيّن.

بناءا عليه يمكن القول ان الاستعمار كان شكل تاريخي محدد لعلاقات الاستغلال التي تم ترسيخها بين الامبريالية من جهة وبين شعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات في عصر السيطرة الامبريالية المطلقة والتوسع العالمي شهد ذلك العصر توطيد السيطرة العسكرية والسياسية المباشرة واللجوء الواسع للقوة الوحشية وللاشكال الاقتصادية المختلفة للاستيلاء على المصادر الطبيعية وفائض الانتاج في دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية اما الاستعمار الجديد (النيوكولونيالية) فهو بدوره شكل جديد لعلاقات الاستغلال بين الدول الامبريالية والدول في تلك القارات الثلاث المذكورة ،وهو ينسجم مع عصر انهيار النظام السياسي للاستعمار وتشكيل دول قومية ذات سيادة، وينسجم كذلك مع تزايد قوة النظام الاشتراكي العالمي.

هذا الشكل يتميز في الاساس بالاساليب غير المباشرة للحكم والسيطرة، عن طريق الاستغلال الاقتصادي من خلال التبادل غير المتكافئ واحتكار قنوات التجارة العالمية.

ان الاحتكار السياسي والعسكري للامبريالية يوجد في اعماق الاستعمار. وهذا يجعل من تحقيق الاستقلال السياسي المهمة الاساسية للقوى المعادية للامبريالية. اما الاستعمار الجديد (النيوكولونيالية) فيقوم على الاحتكار المالي ـ الاقتصادي الامبريالي. لهذا فان المهمة الرئيسية للقوى المعادية للامبريالية تكمن بتحقيق الاستقلال الاقتصادي وبترسيخ وضع اقتصادي عالمي، جديد وعادل.

وعلى الرغم من انه قد قمنا، لاجل الايضاح بمعارضة الاستعمار والاستعمار الجديد الى حدّ ما في ظروفهما التاريخية المحدودة، فانهما يرتبطان مع بعضهما البعض بشكل وثيق لان كلاهما ناشئ عن مصدر مشترك ـ هو الطبيعة الاستغلالية للرأسمالية والامبريالية. كما انه في الواقع يصعب علينا في كثير من الاحيان تمييز الاستعمار الجديد بشكله النقي بسبب الطريقة المعقدة التي تندمج فيها المظاهر الخاصة للاستعمار المحتضر مع بعضها البعض. هذا يحدث لان الانتقال من الاستعمار الى الاستعمار الجديد ليس عملية متفردة او منعزلة. بل هي عبارة عن عملية

Digitized by Birzeit University Library

طويلة ومتناقضه يحدث خلالها ان بعض عناصر معينه للاستعمار تذوى بشكل متفاوت (غير منتظم) لتعود وتظهر فور توفر ظروف مواتية.

على الرغم من هذا كله، فانه من الممكن تحديد ـ ولو لاجل الايضاح ـ المراحل الرئيسية للفترة الانتقاليه من الاستعمار الى الاستعمار الجديد.

في الفتره الاولى من نهاية الحرب العالمية الثانية الى أواخر الخمسينات، كان الاستطر يخوض معارك رجعية في آسيا محاولا التمسك بكل موقع يسعى للافلات من قبضته. الهزيمة المتكرة للفاشية والتي لعب الشعب السوفييتي دورا حاسما فيها ونشوء النظام الاشتراكي العالمي خلق ظروفا مواتية لتسريع ثورات التحرر الوطني ..

لكن اول دول متحرره حديثا حصلت على استقلالها السياسي في وقت الحرب الباردة التي فرضتها الامبريالية على العالم، وفي وقت لم تدّخر فيه الامبرياليه ذخرا (وليس بدون نجاحات) لجر الدول النامبه الى الكتل العسكرية ولابقاعها في شبكة معاهدات "الدفاع" التناثية ولتغطيه أراضيها بشبكه من القواعد العسكرية لضمان استغلالها الاستعماري اللاحق.

في تلك المرحلة استخدمت الامبريالية جميع وسائلها العسكرية للضغط ـ من الدعاية الاعلامية المناهضة للشيوعيه الى العدوان العسكري المباشر واشكال التناقضات القومية والعرقية داخل الدولة نفسها وبين الدول المختلفة ـ لمنع تقدم تورات التحرر الوطني وتطورها الى تورات ديمقراطية.

كانت القوة الطليعية في الانتقال العالمي من الاستعمار الى الاستعمار الجديد هي الولايات المتحدة، وهذه هي نتيجة منطقية لموقعها المميز في النظام الامبريالي العالمي. فمن وجهة نظر مالية ـ اقتصادية، وعسكرية ـ سياسيه برزت الولايات المتحده بعد الحرب العالمية الثانية كأقوى قوة امبريالية، وقد تمكنت بالاعتماد على الانجازات الماديه الضخمه للثورة العلمية والتكنولوجية من تحقيق ليس فقط سياسة ليبرالية تجاه مستعمراتها في الفيلبين، بل شجعت كذلك قوى استعمارية أخرى للقبول ببعض التنازلات بهدف الوصول للمستعمرات السابقة بحرية اكبر.

في تلك المرحلة نجحت الامبريالية في المحافظة على نوع العلاقات الاقتصادية التي تشكلت في الاوقات الاستعمارية. كل المحاولات الهادفة الى حل مشكلات الاستقلال الاقتصادى بشكل جذرى قمعت بوحشية بما يتضمنه هذا من اثار الانقلابات الداخلية، كما حدث في ايران عندما تجرأت حكومة مصدق على تأميم صناعة النفط. على الرغم من هذا، فان توجه الشعوب المتحرره حديثا لتحقيق وحدة مناهضة للامبريالية قد استمر في النمو وعبر عنه بقوة في مؤتمر باندونغ التاريخي في نيسان ١٩٥٥.

مع بداية الستينات ظهر بوضوح الطبيعة الحتمية لتفكك النظام الاستعماري القديم للامبريالية فقد امتدت الى الجزء الاكبر من افريقيا. في المرحلة الثانيه للفترة الانتقالية، نجاوبت الامبريالية مع نجاحات الثورات التحررية بتغيير اشكال واساليب الصراع، فقد تخلّى الطقم القسرى عن مكانة لاساليب الاستعمار الجديد الاكثر مكرا. ان الازدياد المستمر في الميل للتوجه وجهة اشتراكيه خاصة من قبل العديد من الدول المتحرره حديثا قد نبه الاوساط الامبريالية، فسعى

Digitized by Birzeit University Library

ايديولوجيو النيوكولونيالية بشكل محموم لايجاد بديل عن " الثورات من اسفل" و"الثورات الحمراء" وعن الانظمة الثورية ـ الديمقراطية .وقد وجدوا ان اشكال مختلفة لـ "الثورات من اعلى" (أي تغييرات اجتماعية واقتصادية واسعة وكافية تنقذ من قبل الانظمة الحاكمة بمساندة الدوائر الامبريالية) هي الطريقة الاكثر فعالية للثورات المضادة" .

وكما بينت التجربة التاريخية (ايران) ، فان مثل هذه الخطوات استطاعت ان تؤخر العمليات الثورية لكنها لم تستطع أن تنقذاداها

في اواسط السبعينات كان النظام الاستعماري للامبريالية قد انهار بشكل كبير ما عدا بعض المراكز المعزولة في افريقيا الجنوبية. مرحلة جديدة ثالثة بدأت في سياسة الامبريالية كان التأكيد فيها على اهمية المحافظه على تبعية الدول النامية الاقتصادية للنظام الرأسمالي العالمي. من خصائص هذه المرحلة التي لها دلالتها هي ان الصراع بين قوى الاستعمار الجديد ـ الشركات المتعددة الجنسية ـ والدول الامبرياليه التي تدعمها من جهة وبين الدول النامية التي تعتمد على مساندة المنظومة الاشتراكيه من جهة أخرى قد أخذ صبغة عالمية. وقد كان النضال من أجل / وضد اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد وعادل قضية رئيسية في هذه المواجهة.

كل التغيرات السابقة التي طرأت على العلاقات الاقتصاديه الرأسمالية ،بما فيها تغيرات فترة الاربعينات ،تجاهلت المصالح الحيوية لدول افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، وهدفت الى استخدام اشكال جديدة لتعزيز تقسيم العمل العالمي القديم وغير المتكافئ في يومنا هذا ،اصبح النضال من أجل اعادة بناء العلاقات الاقتصادية الداخلية بشكل جذري على أسس جديدة ومنصفه تحول دون ظلم واستغلال اى بلد من قبل دولة واحده او مجموعة من الدول هو قانون عصرنا الراهن.

بناءاً عليه يمكننا القول بان الاستعمار يحتضر لكنه لم يمت بعد.نضال طويل ومتواصل لا يزال مطلوب لازالة بقايا الاستعمار والاستعمار الجديد للابد.ان الاستعمار الجديد لا يزال نظام علاقات متعددة الجوانب بين الامبريالية والدول النامية يقوم على أساس السيطره والتبعية غير المباشرة. سوف نناقش الان الجوانب العسكرية السياسية والمالية،الاقتصادية لهذا النظام .

نظريات مجددة وطموحات قديمه

في سنوات ما بعد الحرب ،قامت الدول الامبريالية بابتكار عدة نظريات نيوكولونياليه وجربت عدة طرق من أجل تطبيقها. في كل مرة تثبت نظرية جديدة اخفاقها على النطاق العالمي ،نظرية اخرى كانت تستنبط لتحل محلها .لكن الاعلان عن نظريه جديدة لا يعني نبذ النظرية السابقه ـ بل كانت النظرية الجديده تركب على النظريه السبق. بحيث يمكننا دائما تمييز النظريات القديمة في استراتيجيه السياسة الخارجية اللاحقة للنيوكولونياليه : في كل مرحلة ،كان هناك تأكيد خاص على جانب معين من سياسة الاستعطر الجديد ،لكن عاده سلسلة كاملة من الاساليب التي استنبطت في الفترات السابقة كانت تستخدم .ان هذه هي نقطة مهمه في دراسة تطور النيوكولونيالية مرحلة بمرحلة. كما انها تفسر السبب في ان سياسه الا ستعمار الجديد الحالية تجاه الدول النامية هي عبارة عن مزيج لعناصر السياسات الامبرياليه في كل فترة ما بعد الحرب .

Digitized by Birzeit University Library

الفكرة الاستراتيجية الاولى للاستعمار الجديد شطها مبدأ ترومان

TRUMAN DOCTRINE

الذى تم تثبيته في آذار من عام ١٩٤٧. من أيام ما بعد الحرب الاولى كانت قضية القواعد العسكرية هي المحور التكنولوجي لهذا المبدأ مثل كافة السياسة الخارجية الامبريالية للولايات المتحدة. في ذلك الوقت ، نظرت الولايات المتحدة الى جميع القضايا الدولية بما فيها العلاقات مع دول افريقية واسيوية فقط من وجهة نظر المواجهة العسكرية مع الاتحاد السوفياتي والاعتماد التام على السلاح كوسيلة لممارسة الضغط والاحتفاظ باحتكار الاسلحة الذرية اطول وقت ممكن .

ولكون الطائرات هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن عن طريقها ايصال الاسلحة النووية الى اهدافها ، فقد عملت الادارة الامريكية بشكل كبير على خلق نظام من التحالفات مع عشرات من الدول التي بامكانها ان تقدم اراضيها لاقامة القواعد العسكرية الامريكية.

هذا ادى الى نشوء تطور جديد في سياسة المعونات الخارجية الامبريالية ـ النيوكولونيالية. هذه السياسة كانت مدعومة بالطبع بالادعاءات المتعلقة بالتهديد العسكري السوفييتي والتوسع الشيوعي. بناءا عليه فان تركيا واليونان بدأتا بتلقي معونات مالية على اساس مبدأ ترومان ـ معونات لتقوية ارادة وامكانيات الدول الحرّة لمقاومة الشيوعية. وقد قدمت معونات عسكرية وتكنولوجية تحت ستار "محاربة الشيوعية" لزمرة شيانغ ـ كاى تشيك الرجعية ،وللنظام الدمية في كوريا الجنوبية ،ولقوى رجعية اخرى في آسيا. وقد بدأ منذ عام ١٩٤٩ ببرنامج للمساعدات يقوم على اساس اتفاقيات "دفاع متبادل" ثنائية الجانب مع الولايات المتحدة. هذا البرنامج لا يخص التطور الاجتماعي والاقتصادى والتقاني للدول الاسيوية ،بل ان هدفه الوحيد كان تقويه القوى المسلحه للانظمة الاسيوية التي ترضى عنها الولايات المتحـــدة ..

خلال فترة ولاية الرئيس ترومان بدأ نظام المعاهدات والتحالفات العسكرية بالتبلور ففي ١٩٤٩ برزت منظمة حلف شمال الاطلسي NATO ، **تبعتها في سنة ١٩٥١ كتلة** ANZUS **العسكرية موحّدة استراليا ونيوزلندة والولايات المتحدة ،وقد استمر التواجد العسكرى الامبريالي في آسيا بالاعتماد على الاتفاقيات الثنائية التي مهدت الطريق لتشكيل الكتل العسكرية والسياسية اللاحقة والموالية للولايات المتحدة في خلال فترة ولاية ايزنهاور ، في سنة ١٩٥٤ انشأت منظمة حلف جنوب شرق آسيا (** SEATO **) والتي ضمت في عضويتها الفليبين تايلاند والباكستان بالاضافة للقوى الامبريالية ـ الولايات المتحدة بريطانيا ،فرنسا ،استراليا ،نيوزلندة . في عام ١٩٥٥ قامت الولايات المتحدة وبريطانيا بتدبير حلف بغداد الذى ضم بريطانيا ، العراق ، تركيا ،باكستان ،ايران .بعد انسحاب العراق من الحلف بتأثير ثورة ١٩٥٨ أعيدت تسمية الحلف الذى صار يدعى منظمة الحلف المركزى (** CENTO **) .**

من الملاحظان هناك استمرارية واضحة بين مبادئ ترومان ومبادئ ايزنهاور. هذا الاخير وضع في عين الاعتبار قدر معين من المعونات المالية والاقتصادية للدول المنضمة الى معاهدات عسكرية او اتفاقيات ثنائية "للامن المتبادل" ، مقابل التزام هذه الدول التـام بمواصلة سياسة الولايات المتحدة

Digitized by Birzeit University Library

المعادية للشيوعية .

ان احدى الصفحات المظلمة في تاريخ اسيا الحديث تتصل بنشاطات الجبهات والتكتلات العسكرية.ان نشوء مثل هذه التكتلات في منتصف الخمسينات اعاق التوجه الطبيعي لاقامة علاقات حسن جوار ولتطوير التجارة الدولية والعلاقات السياسية والثقافية التي نفتحت في آسيا راسا بعد الحرب العالمية الثانية.هذا التوجه كان مهما جدا لحل القضايا المستعجلة المتعلقة بالتقدم الاقتصادى والثقافي في الدول الاسيوية الناميـــــة .

لكن على الرغم من هذا،فقد فشلت الامبريالية في جرّ جميع الدول الاسيوية المتحررة حديثا الى نظام التكتلات العسكرية وقد كانت كل من الهند اندونيسيا، بورما، سيرلانكا،مصر،افغانستان من بين الدول التي رفضت بغوة الانضمام الى المعاهدات العسكرية الامبريالية،كما ان دول اخرى عديده رفضت محاولات الولايات المتحدة المتواصلة لفرض معاهدات "الامن المتبادل" عليها.ايضا، ونتيجة لاستمرار نمو قوة وقدرات الدول الاشتراكية بعد الحرب،بدأالاتحاد السوفييتي وتبعه في ذلك الدول الاسيوية والافريقية. لذا أجبرت ادارة ايزنهاور علىتغيير اسلوب سياسة المعونات الامبريالية ،حيث وجه اهتمام اكبر الى قصية المعونات الاقتصادية. التي احتلت منذ ١٩٥٥ بندا مستقلا يعرف باسم "المعونات التطويرية". هذه السياسة اعطت معنى استعمارى حديث ومستقل للامبريالية،خاصة للولايات المتحدة .وقد عبر عن ذلك الرئيس ايزنهاور بطريقة لا تقبل الالتباس في رسالته الى الكونغرس في شباط ١٩٥٨ ،فقد اكد على أن الامكانيـــات الاقتصادية المتزايدة للدول المتخلفةسوف تثبت المتبادلة في المستقبل عن طريق تقديم اسواق تصدير غير محدودة،وفرص جديدة للاستثمار ولاستغلال المواد الخام التي لها أهمية حيوية بالنسبة للولاياتالمتحدة

على الرغم من أنه في ١٩٥٥ واصلت السلطات في الولايات المتحدة الادعاء بأن برامج المعونات الامريكية تشدد بشكل رئيسي على المعونات الاقتصادية،فقد ظلت الاهداف والمعونات العسكرية هي حجر الاساس في استراتيجية الامبريالية .الارقام التالية تقدم دليلا كافيا على هذا : منذ ١٩٥١ الى ١٩٥٧ كانت حصمالمساعدات العسكرية لدول اسيوية ولدول في منطقة الباسيفيك أقل بقليل من ٤٫٤٠٥ مليون دولار ٢٫٠٨٢٠ مليون دولار اخرى وجهت الى الشرق الاوسط وافريقيا. كان نصيب الاسد من هذه الحصص للدول الاعضاء في كتل عسكرية (باكستان،الفلبين ، تايلاند ،تركيا ،ايران)وللكتاتوريات العسكرية في كوريا الجنوبية وتايوان ،كذلك للانظمة في الهند الصينية والتي ضمت بشكل غير شرعي الى منطقة نشاط السيتو (SEATO) . في نفس الفترة كانت المعونات الامريكية الاقتصادية والتكنولوجية الى اثنتا عشرة دولة في جنوب وجنوب شرق آسيا أقل من ١٫٣٨٦ مليون دولار. وعلى الرغم من ان الدول في هذه المنطقة كانت المتلقية الرئيسية للمعونات الامريكية،فان صورة مماثلةيمكن ملاحظتها في اقسام اخرى من العالم.على سبيل المثال من ١٩٤٦ وحتى ١٩٦٨ تلقت ايران وتركيا (وكلاهما نشيطتان في الاحلاف العسكرية الامريكية) ما يعادل ٤٫١١٧ مليون دولار كمساعدة عسكرية،وما يعادل ١٫٦٠١ مليون دولار كاعانات حكومية اقتصادية.

وباختصار ،كانت معونات التطور "بغير شك شيء جديد في استراتيجية النيوكولونيالية

Digitized by Birzeit University Library

والتي يمكن ان نقول عنها انها استراتيجية الاستعمار في مرحلة التراجع .لكن هذه المعونات كانت موجهة في الاساس لتقوية الصلات المختلفة للنظام الامبريالي العسكري العالمي. بعض الحقائق التاريخية مثل عدم كبح جماح الحرب الاستعمارية الطويلة ضد الشعب الجزائري العدوان الثلاثي" على مصر سنة ١٩٥٦ هبوط البحرية الامريكية في لبنان عام ١٩٥٨ التواجد العسكري المتزايد للولايات المتحدة في جنوب فيتنام، تشكل اثباتان واضحة لحقيقة ان الجوهر العدائي للامبريالية لم يتغيّـر .

لم تستطع الجهود المتواصلة للامبريالية في المجالات العسكرية ـ السياسية والمالية الاقتصادية اعاقة التغييرات الضخمة التي حدثت في مجال التوازن بين القوى التقدمية والرجعية. فقد واصلت الدول الاشتراكية مضاعفة امكانياتها الاقتصادية وكان اول قمر صناعي في العالم من قبل الاتحاد السوفييتي في اكتوبر ١٩٥٧ برهانا كافيا على أن شركة الولايات المتحدة في الناتو، لا بل الولايات المتحدة نفسها ،لم تعد قادرة على اطلاق العنان للعدوانية بدون توقع عقاب في المقابل. وقد كانت تجربة الاتحاد السوفييتي للقنبلة النووية في عام ١٩٦١ مدعمة لهذه الحقيقة .كما ان حركة التحرر القومي نمت في الحجم وصارت تشمل مناطق جديدة بالاضافة الى ان مجموعة من الدول ذات التوجه الاشتراكي برزت في افريقيا .هذا دون اغفال انتصار الثورة في كوبا وتوسيع حركة عدم الانحياز لنطاقها واظهار نفسها كمنظمة عام ١٩٦١ بحيث صارت احدى اكثر الحركات المعادية للامبريالية .

جماهيرية في الدول النامية .هذه الاحداث ،بالاضافة الى كثير غيرها قادت الى افلاس سياسةالقوة(HARL LINE) التي اتبعتها الامبريالية واجبرتها على اللجوء الى مناورات جديدة،بل وأجبرتها على التراجـــع ..

وقد انعكس هذا في نشاطات ادارة كينيدى التي خرجت بالمبدأ العسكري "الاستجابة المرنة(HEXIBLE RESPONSE) ،بالاستراتيجية الاستمارية الجديدة"حدود جديدة" ضمن هذه الاستراتيجية رغبت حكومة الولايات المتحدة في عدم الاعتماد فقط على الانظمة الرجعية المرتزقة ـ محاولات ظلت حتى يومنا هذا بدون جدوى ـ مدركة بأن جهودها الاحادية الجانب المتعلقة بدعم هذه الانظمة لم تستطع تجنب التغيرات الاجتماعية والتحركات الثورية .لذا ومن أجل اعتراض "الثورات من اسفل" الموشكه على الحدوث ولمنع التغيرات السياسية المؤدية الى توجهات اشتراكية ،اقترحت هيئة الخبراء" النيوكولونيالية والمكونة من سياسيين امركيين واختصاصيين ذوى تاثير من ضمنهم ادلاى ستيفنسن ،جون جلبرت دانيل بل ،والت روستو، هنرى كيسنجر ،شستر بولتز ـ اقترحت هذه الهيئة ادخال تعديلات اقتصادية واجتماعية راديكالية برجوازية الطابع في اضعف الحلقات في المحيط الامبريالي .

وفي بداية الستينات ادرك اكثر مؤيدى الامبريالية مرونة الاهمية الحيوية لاستراتيجية فرض التطور الرأسمالي على الدول النامية، ودعمه في هذه الدول من أجل دمجها بشكل أكبر في النظام الرأسمالي العالمي. لم يعد ينظر الى هذه الدول من زاويةالمواجهة

Digitized by Birzeit University Library

العسكريةوالسياسة مع العالم الاشتراكي او من زاوية الاستغلال الاقتصادى القاسي لموادها الخام ومصادر قواها العاملة فقط. لكن ايضا كاحتياطي اجتماعي واقتصادى متوقع للرأسمالية العالمية ..

سارت التوجهات الجديدة التي تم ادخالها من قبل ادارة كينيدى قصيرة الاجل يدا بيد مع سياسة "الخط التشدد" نحوالدول ذات التوجه التقدمي ونحو القوى المناضلة من أجل مثل هذا التوجه.فقد استمرت السي.آى.ايه في خططها الرامية الى اغتيال القادة السياسيين التقدميين في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ـ يكفي ان نتذكر الادلة التي كشفت فيما يتعلق بباتريس لومبا وفيديل كاسترو وغيرهم ـ وكانت تحضر لغزو كوبا في نيسان ١٩٦١ .

لكن حتى تجديدات الرئيس كينيدى المعتدلة اعتبرت راديكالية جدا في نظر الدوائر الامبريالية المحافظة . فبعد أغتيال كينيدى في تشرين ثاني ١٩٦٣، صارت سياسة الولايات المتحدةالخارجية اكثر صراحة بشكل واضح. لكنها لم تكن رفضا تاما لسياسة كينيدى فقد تم المحافظة على بعض عناصرها خاصة في مجال الاقتصاد النيوكولونيالي برغم هذا ،فقد تميزت سنوات ادارة جونسون بممارسات امبريالية تذكر بشكل كبير بالاوقات الاستعمارية القديمة. فقد كان هناك تصعيد للعدوان العسكرى في جنوب فيتنام وشن الغارات الوحشية على فيتنام الشمالية .الاعتداء العسكرى على جمهورية الدومنيكان في ١٩٦٥ ،الاطاحة برئيس غانا توام نكروما في ١٩٦٦ وانشاء كتلة عسكرية جديدة هي المجلس الاسيوى ـ الباسيفيكي (ASPAC) في صيف ١٩٦٦ من أجل اعادة ايحاء دور اليابان في الخطط العسكرية الامبريالية في آسيا ،اعلان مبدأ الباسيفيك "PACIFIC DOCTRINE" لجونسون والذى عكس محاولات الولايات المتحدة الرامية لتوطيد سيادتها التامة في جنوب شرق آسيا والشرق الاقصى،الدعم التشيط للادعاءات الاسرائيلية خلال وبعد حرب الايام الستة سنة ١٩٦٧ . الاطاحة برئيس ماى دوديبو كايتا سنة ١٩٦٨ ،بالاضافة الى العديد من الاعمال التي أعدت او تم الاشراف عليها من قبل الامبريالية .

ادركت ادارة نيكسون الجيدة عدم جدوى سياسة الولايات المتحدة العدوانية في جنوب شرق آسيا. من الواضح ان هذا ادراك ادى الى نشؤ السياسة التي تم تبنيها في منتصف عام ١٩٦٩ والقائلة بفتنمة الحرب في فيتنام الجنوبية وأدت الى مبدأ جوام الذى اعلنه نيكسون عام ١٩٧٢ . هذه السياسة سعت الى جعل "الاسيويين يحاربون الاسيويين وحفضت اعداد القوات الامريكية التي لها دور مباشر في العمليات العسكرية.اذن، مرة اخرى اجبرت الامبريالية على التراجع ،لكنها لجأت الى مناورات تمكنها من المحافظة على مواقعها. فبدلا من الاعتماد ،كما في السابق على الطريقة الاستعمارية القديمة اى على العدوان العسكرى المباشر،ابتدأت الان بتمهيد الطريق للتدخلات النيوكولونيالية غير المباشرة عن طريق زيادة الامكانيات العسكرية للقوى والانظمة الرجعية في البلدان النامية بكل وسيلة ممكنة .

اظهر "مبدأ الباسيفيك" الجديد الذى قدمه الرئيس جيرالد فورد في هونولولو في كانون أول ١٩٧٥ ان نيوكولونيالية الولايات المتحدة كانت تحاول تكييف فيها "لوضع

Digitized by Birzeit University Library

ما بعد فيتنام" لاعادة ايحاء وتعزيز مواقع اهتزت نتيجة الانتصارات الشعبية في الهند الصينية. ادى هذا المبدأ ضرورة الاعتماد على "قوة الولايات المتحدة" وعلى "قوة مرن ومتوازنة" في كافة منطقة الباسيفيك التي تشمل ايضا منطقة المحيط الهندى. ضمن اطار هذا المفهوم العسكرى الاستراتيجي، تم وضع تشديد خاص على استراتيجية الجز " ISLAND STRATEGY "

التي وضعها البنتاعون، والتي تدعو الى انشاء سلسلة من القواعد البحرية والجوية على جزر لها اهيمة استراتيجية في مناطق محتلفة من العالم. وقد وجدت الولايات المتحدة هذه السياسةملائمة بشكل خاص لانها وفرت فرص لايجاد مواقع للقوات الامريكية في دول اجنبية محاطة بحركات التحرر القومي او حيث تنمو الاتجاهات التقدمية المعادية للامبريالية من ناحية اخرى، فقد جعلت التكنلوجيا الحديثة والاسلحة المتطورة ونظام المتقدمة بالامكان نقل القوى الامبريالية الضاربة بسرعة من قواعدها في الجزرالى مناطق الصراع.

بدأ بناء وتحديث القواعد العسكرية في جزر مسيرا (ابما لعزى). جزر دييجو غارسيا (المحيط الهندى) وفي ميكرونيسيا (المحيط الهادى). هذه التسهيلات كانت لتحل محلّ الحلقات المفقودة في سلسلة القواعد العسكرية الامبريالية الضخمة الممتدة من جمهوريه جنوب افريقيا الى اليابان، كوريا الجنوبية الفليبين، استراليا. في يدينا هذا هذا الحزام ما يزيد عن نصف سكان العالم.

يتولى جيمي كارتر السلطة، تغيرت كل السياسة الخارجية للولايات المتحدة للاسوأ. صار عدم الاستقرار الكبير، التذبذب الحاد والتصرفات الفجائية المعالم الرئيسية لهذه السياسة. بناءا عليه صارت استراتيجية النيوكولونيالية خليط مكون من عناصر اخذت من المبادئ السابقة. في البداية كان هناك استمرارية واضحة "لمبدأ الباسيفيك" مع "استراتيجية الجزر" لمكوناتها الرئيسية لكن بالتدريج صار هناك تشديد متزايد على تواجد عسكرى" امريكي مباشر في المناطق الرئيسية في أسيا وافريقيا امريكا اللاتينية وبناءاً على المبدأ الجديد الذى قدم في ١٩٨٠، افترضت الولايات المتحدة حقها في اعلان مناطق معينة في العالم مناطق "ذات مضالح حيوية" لها وحقها في "الدفاع" عن هذه المصالح بكل الوسائل، بما فيها القوة العسكرية.

هذا التشديد الجديد على القوة في سياسة ادارة كارتر يعكس الى حدّ ما الصعوبات التي تواجهها استراتيجية النيوكولونيالية في ظل التغيرات الموضوعيه المستمرة في المجال الاجتماعي والاقتصادى والسياسي في الدول المتحررة حديثا. من هنا نشأ تعديل على بعض عناصر النيوكولونيالية والتي هي الان في طور التجديد..

يتبع

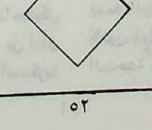

Digitized by Birzeit University Library

الصحافـــة السوفييتيـــــة

صحافة مـن النـوع الجديـــد

بسامة عبد الحق
جامعة النجاح/قسم العلوم والسياسة والصحافة

تمتاز الصحافة السوفيتية في اهدافها ومحتوياتها واسلوبها بطابعها الخـاص المختلف تماما عن طابع الصحف في الدول الرأسمالية. وتعتبر هذه الصحف التـي يصل توزيعها الى ملايين النسخ، المنظم ـ بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة على المستوى الجماهيري الواسع لكل اوجه النشاط الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي للشعب. وفي يوم "٥ مايو" ـ يوم الصحافة السوفيتية ،كتب ليونيد ريتشميدين ،الصحفي البارز ،يقـــول :ـ

"تخصص جرائدنا ومجلاتنا مساحات كبيرة لتغطية الاحداث الخاصة بالعمل الخلاق للانسان لصالح المجتمع ،واهتمام هذاالانسان بالمحافظة على الملكية العامة ،وتنميتها وما يتحلى به من روح حماعية ورغبة في المساعدة الرفاقية وكذلك علاقاته الانسانيـة والاحترام المتبادل بين الناس والاهتمام بالعائلة وتنشاة الاطفال ،بالاضافة الى التضامن مع الشعب العامل في جميع البلدان والامم. وفي كلمات اخرى ،فان الصحافة تعكس الانسان الجديد الذى خلقه المجتمع الاشتراكي والذى يتجلى بمبادىء اخلاقية جديدة تخدم قضية الانسانية والتقدم العام للبشرية".

وتخلو الصحف السوفيتية من أى حديث عن الجنس او قصص الجريمة ولا تنشر أى شائعات مثيرة عن الشخصيات او القادة ،ولا تتضمن مواضيع مسلسلات هزلية ،او صفحة للشئون المالية ،وأخبار تقلبات السوق والبورصة، ولا يوجد بها أية اعلانات تجارية وينعدم بها بتاتا عامل الاثارة "بالمعنى البرجوازى المتذل" ".وتصدر الصحف عادة من أربع (٤) أو ست (٦) صفحات يقرأها بالفعل الناس ولا يكتفون بمجرد القاء نظره عليها.

وللحديث عن الصحافة السوفيتية لا بد لنا من الحديث عن الصحافة العمالية في روسيا ما قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى.

Digitized by Birzeit University Library

ان تاريخ الصحافة العمالية في روسيا يرتبط بصورة عضوية بتاريخ الحركة الديمقراطية والاشتراكية ،ولهذا ليس بمقدورنا ان نفهم اسباب الاعداد للصحافة العمالية ونهوضها بهذا الشكل دون غيره الا اذا عرفنا المراحل الرئيسية التي مرت بها حركة التحرر والانعتاق .

لقد مرت حركة التحرر والانعتاق في روسيا بثلاثة مراحل رئيسية تتناظر والطبقات الرئيسية الثلاث في المجتمع التي تركت طابعها المميز عليه .

١) مرحلة النبالة (النبلاء) وتمتد على وجه التقريب من (١٨٢٥ – ١٨٦١) .

كان الديسمبريون وهيرزن من ابرز الشخصيات في مرحلة النبالة ،وهيرزن هذا (١٨١٢–١٨٧٠) كان ينتمي الى جيل النوريين من النبلاء وسادة الارض في النصف الاول من القرن الماضي ،كان ينحدر من وسط اقطاعي ، ارستقراطي (اقطاعي انسلخ عن طبقته) . في عام ١٨٤٨ بعد فشل الثورة ،كان هيرزن قد غادر روسيا .راقب الثورة عن كثب ،كان في ذلك الوقت ديمقراطيا ،ثوريا .اشتراكيا .لكن (اشتراكيته) كانت واحدة من الاشكال والتنويعات التي لا حصر لها مثل الاشتراكية البرجوازية، والبرجوازية الصغيرة السائدة في فترة ١٨٤٨ ان حرب الطبقة العاملة يوضح مكانة هيرزن التي يحتفظ بها التاريخ لهذا الكاتب الذي لعب دورا عظيما في تمهيد الطريق امام الثورة الروسية .

لقد ساعد هيرزن وجريدته الكولوكول الناقوس" (وتعتبر هذه الجريدة الرائدة للصحافة العطلة (البروليتارية) الديمقراطية او الاشتراكية الديمقراطية) على ايقاظ الروزنشتينيين وهم الممثلون المتعلمون للبرجوازية الليبرالية والديمقراطية الذين لا ينتمون الى النبلاء بل الى فئات الموظفين وبرجوازية المدن الصغيرة والتجار والفلاحين، لقد طرح هيرزن في صحيفته اختلاف مصالح البرجوازية الليبرالية والفلاحين النوريين في الثورة البرجوازية الروسية ،وبعبارة أخرى مسالة الاتجاهين الليبرالي والديمقراطي .

لقد اسس هيرزن صحافة روسية حره في الخارج ومن هنا ينبع دوره العظيم ،لقد دافعت صحيفته "الكولاك" (١٨٥٨–١٨٦٧) بقوة وتصميم عن تحرير الفلاحين وحطمت صمت العبودية .هذا ويعتبر هيرزن من الاشخاص الذين تأثروا بانتفاضة الديسمبريين (انتفاضة ١٤ ديسمبر١٨٢٥)التي بدورها ساهمت بنشاط في الثورة الروسية فيما بعد .

٢) المرحلة الروزنشتينية او البرجوازية الديمقراطية من ١٨٦١–١٨٩٥ تقريبا

وبعد سقوط نظام القنانة سنة ١٨٦١م، برز الروزنشتينيين بوصفهم الممثل الرئيسي للجماهير في حركة التحرر والانعتاق عموما ، وفي الصحافة الديمقراطية السرية خصوصا واصبحت الشعبية .التي تماثلت مع وجهة نظر الروزنشتينيين ،الاتجاه السائد .ولم تستطع الشعبية ،بوصفها تيارا "اجتماعيا" ان تتخلص من الليبرالية من اليمين .والفوضوية من اليسار لكن تشيرنيشفسكي الذي طور بعد هيرزن ،النظرة الشعبية ،خطا خطوة عظيمة الى الامام مقارنة بهرزن ،كان تشيرنيشفسكي

Digitized by Birzeit University Library

ديمقراطيا "أكثر ثباتا" وجهاديه، تشع كتاباته بروح الصراع الطبقي، لقد كان تشيرنيشفسكي ناقدا عميقا للرأسمالية، رغم اشتراكيته الطوباوية. في هذه الفترة كانت المحاولة الوحيدة عمليا لتأسيس صحافة ديمقراطية عمالية في روسيا، اصدار الصحيفة الاشتراكية الديمقراطية "رابوتشي" / "العامل" / في سانت بطرسبرغ عام ١٨٨٥. وكانت سرية بطبيعة الحال، ولم يصدر منها الا عددان، وبسبب غياب حركة جماهيرية للطبقة العاملة، لم يكن هناك مجال واسع لتطوير الصحافة العمالية اذ ان بداية حركة الطبقة العاملة الجماهيرية، وبمساهمة الاشتراكيين الديمقراطيين تعود الى ١٨٩٥ – ١٨٩٦ م.

٣) المرحلة البروليتارية من سنة ١٨٩٥.

وتعود الى تاريخ اضرابات سانت بطرسبرغ الشهيرة وفي هذه الفترة بالذات ظهرت في روسيا صحافة عمالية بالمعنى الحقيقي للاصطلاح، وكانت المطبوعات الرئيسية انذاك البيانات السرية، معظمها مكرسة للتحريض "الاقتصادي" (وغير الاقتصادي كذلك)، أي لمواجهة حاجات ومطالب عمال مختلف المصانع والصناعات. وبعد البيانات السرية وفي بطرسبرغ بالذات صدرت عام ١٨٩٨ صحيفة "رابوتشي ليستوك" / "الورقة العمالية" وصحيفة "رابوتشايا ميشل" / "الفكر العمالي" /: وكانت جميع هذه الصحف سرية، ويمكن القول أن صحافة الاشتراكيين الديمقراطيين في روسيا هي السلف المباشر للصحافة العمالية.

ومن مهام الصحافة الاشتراكية الديمقراطية

ب) التوضيح المبدئي لمهام الحركة العمالية من موقع المبادئ الماركسية والنهج الديمقراطي الثابت.

هذا وقد انعكست الحياة السياسية على صفحات الجرائد فظهر اتجاهان رئيسيان في صحافة الطبقة العاملة (١٨٩٥–١٨٩٦) كل اتجاه يعبر عن ايديولوجيته. وهما (١) الاتجاه الانتهازي و الاتجاه الماركسي.

من الجرائد الانتهازية – "رابوتشايا ميشل" / "الفكر العمالي" / و "رابوتشويه ديلو" / شؤون عمالية" / وهما جريدتان رئيسيتان ناطقتان بلسان (الاقتصاديين)

ما هو موقف او جوهر الاتجاه الاقتصادي؟ كان الاقتصاديون يقفون جميعا بالاقوال فقط، الى جانب ايجاد حركة للطبقة العاملة، ذات طابع جماهيري والى جانب العمل المستقل للعمال، مؤكدين على الاهمية العظمى للتحريض "الاقتصادي" مؤكدين على ضرورة التدرج عند الانتقال الى التحريض السياسي. وهي نفسها الكلمات الاثيره على نفوس التصفويين الذين يتغنون بها. اما في الممارسة فقد انتهج الاقتصاديون في الواقع سياسة عمالية ليبرالية عبّر عن فحواها س.ن. بروكوفيتش احد قادة النزعة الاقتصادية انذاك بقوله "النضال الاقتصادي للعمال، أما النضال السياسي فلليبراليين" – وهذا ما يتعارض مع الاتجاه الماركسي. ان الاقتصاديين الذين اثاروا ضجة كبيرة حول استقلالية النشاط العمالي والحركة الجماهيرية لم يكونوا في التطبيق الا انتهازيين ومثقفين برجوازيين صغار داخل الحركة العمالية.

اما من الجرائد الماركسية والتي تبنت الفكر الماركسي، صحيفة "ايسكرا" / "الشراره" / حيث انشأها فلاديمير البتش لينين سنة

أ) فضح ما يجرى في المعامل واخبار النضال (الاقتصادي).

Digitized by Birzeit University Library

١٩٠٠م والتف العمال حول الجريدة ونحو قيادة ايديولوجيتها وهي الماركسية اللينينية وبلغت شأنا عظيما ،وكانت البيانات السرية والصحف قد سجلت ارقاما كبيرة وانتشرت بسرعة في جميع انحاء روسيا. وبقيت جريدة الايسكرا تدافع عن الايديولوجيا الماركسية حتى عام ١٩٠٣ ،حيث سطر المناشفه أى الانتهازيون على الجريدة وخرج منها لينين وتبنى عملية السيطرة على جريدة الايسكرا المرتد كاوتسكي الذى قال جملته الشهيرة انذاك (" ان هوه سحيقة تفصل بين "الايسكرا" القديمة والايسكرا الجديدة") .

وقد كانت صحيفتا "فبريود" /"الى الامام" / و"بروليتاريات" /"الكادح" / اللتان تأسستا عام ١٩٠٥ هما المدافعتان عن التكتيكات الماركسية الثابتة ويقيتا على نهج صحيفة ايسكرا القديمة.وفي خريف عام ١٩٠٥ ظهرت صحيفتان جديدتان الاولى تابعة للبلاشفه ـ أى الماركسيين وهي "نوفايا جيزن" /"الحياة الجديدة"/ ،والصحيفة الثانية تابعة للمناشفه ـ الانتهازيين ـ وهي "نتشالو"/"البداية"/ ولقد ذكرت هاتان الصحيفتان من بين العديد من المطبوعات الاخرى التي ظهرت في تلك الفترة .

وقبل الانتقال الى الصحافة ما بعد ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ،لا بد لنا من الاشارة الى جريدة "برافدا" /"الحقيقة"/ ،أنشأت ١٩١٢/٥/٥ مؤسسها فلاديمر الينتش لينين ومن أشهر الذين عملوا بها الكاتب الروسي مكسيم غوركي ،وظهر اول عدد منها في مدينة بيتربورغ بعد سنتين من اصدارها اغلقت بأمر من الحكومة القيصرية،وعادت الى الصدور مرة اخرى بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ وانتقلت من بتربورغ الى موسكو..

توزيع جرائد الاتحاد السوفيتي :

تصدر الجرائد والمجلات السوفييتية في ٦٦ لغة محلية وأجنبية منها لغات الامم والقوميات داخل الاتحاد السوفيتي وبلغات أجنبية مثل الانجليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية والعربية بالاضافة طبعا الى اللغة الام الروسية .

وتخصص الجرائد والمجلات مساحات كبيرة لتغطية الاحداث الخاصة بالعمل الخلاق للانسان في صالح المجتمع ،واهتمام هذا الانسان بالمحافظة على الملكية العامة وتنميتها ،وما يتحلى به من روح جماعية ورغبة في المساعدة الرفاقية ،وكذلك علاقاته الانسانية والاحترام المتبادل بين الناس، والاهتمام بالعائلة وتنشئة الاطفال ،بالاضافة الى التضامن مع الشعب العامل في جميع البلدان والامم .

وتقسم الجرائد في الاتحاد السوفييتي الى الاقسام التالية :ـ

١) الجرائد المركزية .ـ

بلغت هذه الجرائد حسب احصائيات ١٩٧١م ٢٨ جريدة، جميعها تصدر في العاصمة السوفيتية موسكو،وهي تابعه للجان المركزية، مثل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي،ومجلس السوفييت الاعلى ،ورئاسة الوزراء ،واللجنة المركزية لعامة الشباب، واللجان الوزارية والمركزية لاتحاد النقابات .الخ ومن اهم هذه الجرائد جريدة "برافدا" /"الحقيقة"/.وكما ذكر سابقا تأسست في ١٩١٢/٥/٥م في مدينة بتربورغ على يد فلاديمير اليتش لينين ،ويعتبره أيار من

Digitized by Birzeit University Library

كل عام في الاتحاد السوفيتي عيد الصحافة حيث تقام الاحتفالات والمهرجانات بهذه المناسبة .وبنم تكريم الصحفيين الذين لعبوا دورا هاما في تطوير الصحافة السوفيتية وبناء المجتمع الاشتراكي الجديد .

وتحتل جريدة" برافدا" مكانة مرموقة في قلب المواطنين السوفيت ولا تزال تصدر حتى يومنا هذا .ويبلغ عدد النسخ التي تصدر يوميا (١١) مليون نسخة حسب احصائيات (١٩٨١) وقد لعبت هذه الجريدة دورا هاما في تاريخ الشعوب السوفيتية فبعد انتصار ثورة اكتوبر عمدت الجريدة الى :-

١) تربيةالعمال بروح الماركسية .
٢) تعبئة الشعوب السوفيتية من أجل بناء المجتمع الاشتراكي .
٣) الدفاع عن الوطن السوفييتي من أى عدوان خارجي مهما كان نوعه. وهذا يظهر جليا في الحرب العالمية الثانية عندما قامت المانيا الفاشيةباحتلال مساحات واسعة من اراضي الاتحـــاد السوفييتي .حيث كرست جريدة برافدا مساحات كبيرة على صفحاتها تطلب من المواطنين السوفييت الدفاع عن الوطن الام ،والصمود في وجه الاعداء .
٤) الدفاع والتضامن مع الدول المستعمرة (بفتح الميم) ضد الدول المستعمرة (بكسر الميم) ..

وقد تجلى ذلك بوضوح في حرب فيتنام . وأنغولا ،ونيكاراغوا وكوبا ،وفي الدفاع الحازم عن قضايا الشعوب العربية وفي مقدمتها الشعب العربي الفلسطيني. وفي ٢٤ أيلول ١٩٤٥ منحت الحكومة السوفييتية جريـــدة برافدا جائزة لينين وهي أعلى جائزة في الاتحاد السوفييتي .وبتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٦٢

لينين

احتفلت الجريدة بـ ٥٠ عاما على تأسيسها ومنحت للمرة الثانية جائزة لينين لدورهـــا الكبير في بناء الاشتراكية واعدادها للمرحلة الثانية أى الانتقال من الاشتراكية للشيوعية، والدعاية الكبيرة التي قامت بها من أجل نشر المبادئ الماركسية اللينينية حتى اصبحت هذه الجريدة نموذجا لكثير من الجرائد داخل الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى. وتمتلك الجريدة مكاتب ومراسلين فـــي الجمهوريات السوفيتية والمدن الكبـــرى والصغرى والقرى والكلخوزات والسفخوزات (أى الجمعيات التعاونية الزراعية) كما لها

Digitized by Birzeit University Library

مراسلين ومكاتب في عدد كبير من دول العالم تصدر الجريدة ٧ مرات في الاسبوع ،وتطبع في كل مدينة في الاتحاد السوفيتي بعد ان تتلقى هذه المدن نسخة من موسكو أى أنها تصدر في موسكو ولنينغراد وكييف ورستوف ومنسك وسوتشي في آن واحد .

جريدة " ازفستيا "/" الاخبار"/

تأسست بتاريخ ١٩١٧/٣/١٣ في بتربورغ باسم "الاخبار مجلس بتربورغ العمالية وممثليهم الجنود" ولا تزال هذه الجريدة تصدر حتى يومنا هذا ولكن باسم "ازفستيا" بعد ان انتقلت من بتر بورغ الى موسكو، وهي الناطقة بلسان الحكومة السوفيتية.من الذين كتبوا أو عملوا في تحريرها الكتاب البارزون السوفييت ومنهم م.ى كالينين،آ.ف تشاركي ،ك.ى بتروفسكي ،م.ى آوليانفا ،م. غوركي ف.ف مايكوفسكي ... الخ .

وبعد انشاء جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاشتراكية عملت الجريدة على تقوية العلاقات بين روسيا ونظيراتها من الجمهوريات الاخرى مثل، اكرانيا ، روسيا البيضاء ،كازاخستان ، اذربيجان ارمينيا .. الخ .وتقوية الدولة السوفيتية الفتية ،وتوطيد العلاقات بين شعوب وأمم ،وقوميات الاتحاد السوفيتي ،وتعبئة الجماهير السوفيتية من أجل بناء المجتمع الاشتراكي .وكما تعمل كبقية الجرائد السوفيتية على نشر المبادئ الماركسية اللينينية ..

تمتلك الجريدة مكاتب ومراسلين لها في كل بقعة من الاتحاد السوفيتي ،وفي كثير من بلدان العالم ،تصدر ٦ مرات في الاسبوع وعدد النسخ التي تطبع يوميا (٨،٦) مليون نسخة (حسب احصائيات ١٩٧٥م) .

جريده "كمسولسكايا برافدا" / "الحقيقة الكمسوليـــــة"/.

(كلمة كمسول تعني اتحاد الشبيبة الشيوعـــــي) .

وهي الجريدة الناطقة بلسان اللجنة المركزية لاتحاد الشبية الشيوعي ،صدر العدد الاول منها بتاريخ ٢٤ آيار ١٩٢٥م في العاصمة السوفيتية موسكو.من مهام الجريدة الاساسية تربية الاجيال الناشئة بالتربية الشيوعية، واخلاصهم للمبادئ الماركسية اللينينية والطبقة العاملة التي يقف فيطليعتهاالحزب الشيوعي السوفييتي ،من أجل استمرارية بناء الصناعة السوفييتية ،لان الشباب هم القادرون على بناء وتطوير الصناعةالسوفيتية ،وتطبيق الخطة الخمسية الاولى في الاتحاد السوفيتي و"كمسولسكايا برافدا" كزميلاتها ،لها مكاتب ومراسلين داخل وخارج الاتحاد السوفييتي" كي تعرف الشباب السوفييتي على أخبار الشباب في جميع انحاء العالم ،تصدر ٦ مرات اسبوعيـــــا .

جريدة "سوفيا تسكايا روسيا ، / "روسيـــــا السوفيتيـــــة"/.

وهي الناطقة بلسان مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية ،ومجلس الوزراء في روسيا الاتحادية، صدر العدد الاول منها بتاريخ ١ تموز عام ١٩٥٦م ،وفي عام ١٩٦٦م أصبحت الجريدة ناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب، من مهام الجريدة العناية بحياة العمال المعيشية ،والعطية والاشراف على راحة العمال في روسيا الاتحاديـــــة .

Digitized by Birzeit University Library

جريدة "ترود"، /"العمل"/.

صدرت عام ١٩٢١ في موسكو وهي الناطقة بلسان النقابات ،عدد النسخ ٤.٩ مليون. ومن مهام الجريدة الرئيسية :ـ

- المسابقات الاشتراكية من أجل تطوير الاقتصاد السوفييتي .
- العمل على تطوير انتاجية العمل .
- تحسين واستخدام التكنولوجيا الحديثة.
- العمل على تحسين حياة العمال العملية والمعيشيـــــة .
- رفع المستوى الثقافي للعمـال .

جريدة "كراسنايا زفزدا"، /"النجمةالحمراء"/

صدرت الجريدة بتاريخ ١ كانون الثاني ، وهي جريدة حربية سياسية، والناطقة بلسان الدائرة المركزية لوزارة الدفاع السوفييتية، تهتم الجريدة بحياة الجنود السوفييـــت في الاسلحة البرية والبحرية والجوية، وتعرفهم على آخر ما توصلت اليه الصناعة الحربية داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه ،وخصوصا في الولايات المتحدة واوروبا الغربية..

ومن اهم الجرائد المركزية الاخرى :ـ

"سلسكايا جيزن"، /"حياة الريف"/ وعدد النسخ ٦.٦ مليون نسخة.

و" سوفيتسكي سبورت"، / الرياضة السوفيتية" ويبلغ توزيعها ٣.٣ مليون نسخة .

وجريدة "سوفيا تسكايا كولتورا" /"الثقافـــة السوفيتيـــة"/ .

و ستروبتيلتايا كازيتا"، /"جريدة البناء"/ و"سوفيا تسكايا ترغوفليا" / " التجـــارة السوفيتيـــة"/.

وهذا التوزيع يعد كبيرا اذا قورن بأرقام توزيع الصحف في الولايات المتحدة حيث لا يزيد توزيع صحيفة "نيويورك نيوز" التي تأتي في اول القائمة بالنسبة للصحف الواسعة الانتشار فهي توزع مليوني نسخة وتليها صحيفة "نيويورك تايمز" وتوزع ١ر٥ مليون، وتطبع الصحف المركزية في وقت واحد تقريبا في ٤١ مدينة عن طريق القوالب التي تنقل بالجو الى ١٢ مدينة هامة نائية مثل اركوتك وطشقند وغيرها .وتنقل جميع صفحات الصحف المركزية خلال دقائق قليلة عن طريق قنوات الاتصال التلفزيوني لطبعها . ويبلغ مجموع عدد الصحف ٦٨٧٨ صحيفة كما يبلغ عدد المجلات والمنشورات المنتظمة ٦ آلاف ،وهي تصدر بـ ٦٧ لغة وتطبع من مجلة "رابوتنيتسا" /"العاملة"/(٢) ٢ر١١ مليون نسخـــة وتأسست هذه الجريدة عام ١٩١٤، بمبادرة من فلاديمير الينتش لينين .عندما وجه نداءه الى البلشفيات وحثهن على اصدار مثل هذه المجلة ،وكانت رئيسة التحرير الكساندرا كولينتاى وهي من ابرز المناضلات البلشفيات والتي لعبت دورا كبيرا في صفوف العاملات في نعرة الحركة النسوية البرجوازية التـــي ظهرت انذاك في روسيا القيصرية والتي حاولت بدورها استقطاب العديد من العاملات بهدف اضعاف الحركة العمالية . ولا تزال تصدر حتى يومنا هذا. وتطبع من مجلة "زدروفية"، /"الصحة"/ نفس عدد النسخ تقريبا ،ويبلغ توزيع الصحف في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكيه ١٤٤ر٧ مليون نسخة أي ثلث عدد النسخ التي تطبعها صحف العالم كله. وتشترى كل عائلة سوفيتية

(١) حسب احصائيات ١٩٧٥م

Digitized by Birzeit University Library

في العادة ٤ من الصحف والمجلات .

ومن المعروف ان كلا من "برافدا" ، "ازفستيا" و"ترود" تتلقى في المعدل ألف رسالة يبعث بها يوميا المواطنون وتغطي هذه الخطابات كل جوانب الحياة تقريبا . ففيها يجد المرء معلومات بشأن سير العمل في المشروعات والمزارع الجماعية والحكومية ونشاط مجالس السوفييتات والمعاهد العلمية والفنية وكذلك بشأن جهود العمال البارزين . وهي تتضمن في الوقت نفسه انتقادات مره لجميع النواقص ، ومناقشات مستفيضه لمشكلات السياسة الخارجية والموقف الدولي . وتقوم هيئة خاصة من المحررين بدراسة كل رسالة على حده واعطائها العناية اللازمة . فالرسائل التي تتضمن شكاوى ، تحول الى السلطات المختصة ، وتبلغ النتائج في النهاية الى المراسلين . وتلقى مثل هذه الرسائل التي تحولها الصحف الاهتمام الواجب وتتخذ بشأنها اجراءات علاجية عند الضرورة . وتنشر صحيفة "برافدا" صفحة كاملة من الرسائل مرتين كل شهر ، هذا الى جانب تحقيقاتها العادية اليومية . وتخصص الصحف اعمدة خاصة لنشر انباء افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ،

ولمجلة "كروكوديل" ، / "التمساح" / الهزلية الاسبوعية شعبية كبيرة وهي تطبع ٥ ملايين نسخة وتنتقد هذه المجلة بجرأة بأسلوبها الساخر أى نواقص تكتشفها في حياة البلاد . ومن الصور الكاريكاتورية صور لاذعة للغاية ، فاحدى المجلات تصور عددا من غربات نقل البضائع وهي تطير في الهواء ولا تتحرك على القضبان لان حمولتها ثقل كثيرا عن طاقتها ، ويظهر كاريكاتور آخر وصول آلات لازالة الثلوج الى مناطق حارة في الجنوب بعثت بها وكالة توزيع السلع . وكتب تحت الرسم "ينبغي عليهم الان ان يبعثوا لنا بالثلوج" . وايضا تذكر احد الاباء واجبه اراء طفله ، فذهب لزيارته في المدرسة وهناك ابلغوه ان ولده الان طالبا في الكلية . وفي مجلة اخرى يمكن للمرء ان يشاهد كاريكاتور آخر حيث بدت احدى الزوجات وهي تسأل زوجها لماذا ينحني بشدة امام تمثال من الثلج . ويجيبها الزوج بقوله "من يدرى ، ربما يكون ابن رئيسي هو الذى صنعه" . وخلال نظره سريعة لمجلة "كراكوديل" يشعر المرء أن جميع الصور الكاريكاتورية تتسم بالصراحة والنقد اللاذع ...

٢) الجرائد الجمهورية :

يتألف الاتحاد السوفييتي من ١٥ جمهورية اتحادية ، تقع ثمان من هذه الجمهوريات في الجزء الاسيوي من البلاد وسبع في الجزء الاوروبي . وتستخدم جميع اجهزة الدوله ومؤسساتها في كل من هذه الجمهوريات لغتها القومية . واصبحت اللغة الروسية بدورها اللغة المشتركة او حلقة الوصل في كل البلاد (لان ١٥٠ مليون نسمة في الاصل يتكلمون الروسية من ٢٧٢ مليون أى عدد سكان الاتحاد السوفييتي) . ويقطن في بعض الجمهوريات الاتحادية علاوة على سكانها الاصليين شعوب اخرى شكلت بناء على رغبتها ٢٠ جمهورية تتمتع بالحكم الذاتي ، ٨ مناطق ذات حكم ذاتي و ١٠ دوائر قومية . وتتمتع جميع الجمهوريات بحقوق متساوية وما من جمهورية واحدة تملك امتيازات سياسية او تشريعية على غيرها من الجمهوريات . ويعكس مجلس القوميات — وهو احد المجلسين ذوى الحقوق المتساوية الذى يتألف منهما مجلس السوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتي يعكس التشكيل

Digitized by Birzeit University Library

القومي للبلاد. فقد خصص مقعدا لنواب روسيا الاتحادية التي يبلغ تعداد سكانها ١٣٠ مليون نسمة، وفي الوقت نفسه خصص نفس العدد من المقاعد لجمهورية استونيا الصغيرة الحجم والتي يزيد تعدادها قليلا عن مليون ولجميع الجمهوريات عدد متساو من المقاعد في المجلس . وبحق لكل جمهورية أن تصدر جرائدها ومجلاتها بلغتها القومية كما ان لكل جمهورية بث تلفزيوني خاص بها، ومحطات راديو تابعة لها، بالاضافة لذلك توجد بعض الجرائد والمجلات داخل كل جمهورية باللغة الروسية وبالعكس .

وتعتبر الجرائد الجمهورية ناطقة بلسان اللجان المركزية للمكاتب الحزبية في كل جمهورية، ومندوبي المجالس العليا للعمال. ومجالس الوزراء .. الخ .

ومجموع هذه لجرائد حسب احصائيات ١٩٧١، ١٦٠ جريدة، تصدر بلغات القوميات وتشرح الخط السياسي والقومي داخل كل جمهورية. ففي جمهورية اكرانيا الاشتراكية السوفييتية، وفي العاصمة الاكرانيينية (كييف). تصدر جرائد باللغة الروسية، واللغة الاكرانيينية من الجرائد التي تصدر باللغة الروسية (حقيقة اكرانيا) والتي كانت سابقا تسمى لجريدة (سوفياتسكايا اكرانيا). اى/ "اكرانيا السوفييتية"/.

أما باللغة الاكرانيينية تصدر جريدة "رادياتسكايا اكرانيا"/ أى "كرينيا السوفييتية / وهذه الجريدة واحدة من عشرات الجرائد التي تصدر هناك .

اما في عاصمة روسيا البيضاء، منسك تصدر باللغة الروسية جريدة سوفياتسكايابيلاروسيا" /"روسيا البيضاء السوفييتية، اما بلغة البلاد تصدر جريدة "زفردا" / "النجمة"/.

وفي جمهورية أوزبكستان وفي العاصمة الاوزبيكية طشقند .تصدر باللغة الروسية جريدة"برافدا فستوكا" /"حقيقة الشرق" / اما باللغة الاوزبيكية تصدر جريدة" سفيتسكي اوزبكستان" /"اوزبكستان السوفييتي" /.

وفي جمهورية جورجيا ،وفي العاصمة تبليسي، تصدر باللغة الروسية"زاريا فستوكا /فجر الشرق"/ اما بلغة البلاد الاصلية فتصدر جريدة "كاموتيست"/ "الشيوعي" /.

وفي جمهورية استونيا ،وفي العاصمة الاستونيةتالين تصدر باللغة الروسية جريدة "صفيتسكايا استونيا" /"استونيا السوفييتيه، اما باللغة الاستونية تصدر جريدة"راخفا خيال /"صوت الشعب /.

اما بالجمهورية الاذربيجانية وفي العاصمة باكو تصدر باللغة الروسية جريدة "باكينسكي رابوشي"/"العامل الباكوني"/ ـ نسبة الى باكو ـ اما باللغة الاذربيجانيه تصدر جريدة "كاموتيست" / "الشيوعي" /.

لقد ذكرت بعض الجرائد التي تصدر من بين عشرات الجرائد في كل جمهورية باللغتين الروسية واللغة القوميةلكل جمهورية .

٣) الجرائد الاقليمية :

تحتل هذه الجرائد اكبر نسبة من حيث العدد بين جرائد الاتحاد السوفييتي حيث يبلغ عددها حسب احصائيات ١٩٧١م ٢٩٣ جريدة، وتمتاز هذه المناطق بانها تحتوى على سكان من عدة قوميات ولذا تصدر في هذا الاقليم او ذاك جرائد باللغة الروسية ولغات القوميات الاخرى، وتمتاز هذه الجرائد بالنسخ الكبيرة للعدد الواحد مثلا جريدة " لينينغراد سكايا برافدا " /"الحقيقة اللينينغرادية"/ يطبع من العدد الواحد للجريدة ما لا يزيد عن ٥٠٠ الف نسخة. ومن أهم هذه الجرائد ايضا "مولط"/ المطرقة"/

Digitized by Birzeit University Library

وتصدر في اقليم رستوف (لانه يوجد ٢ رستوف في روسيا) (على نهر الدون) . وفي منطقة دنيتسك في الجمهورية الاكرانية تصدر جريدة سوتسيا ليستيشيسكي دونباس" / الدنباس الاشتراكي "/.

(وكلمة دونباس تطلق على منطقة بالقرب من مدينة دنيتسك في الجمهورية الاكرانية حيث يكثر في هذه المنطقة الفحم الحجري) .

وفي مدينة ساراتوف تصدر جريدة "كامونيست و/"الشيوعي" / أما في منطقة خاركوف فتصدر جريدة"كراسنايا زنامیا" /"الراية الحمراء"/.

وفي منطقة مورمانسك تصدر جريدة "بوليارنايا برافدا" /"الحقيقة القطبية"/.

٤) جرائد الجمهوريات والمناطق ذات الحكم الذاتي :

جاءت ثورة اكتوبر بشيرا بحياة جديدة للقوميات التي تقطن الاتحاد السوفييتي وخاصة التي تقطن المناطق النائية في اقصى الشمال والشرق الاقصى من الاتحاد السوفييتي وكانت هذه القوميات على وشك الانقراض في عهد القياصرة. فقد ساءت حالتها على ايدى التجار والرؤساء المحليين حتى وصلت الى الانحلال الكامل .وقد انقرضت بالفعل بضع قبائل خلال القرن التاسع عشر. وفي اوائل القرن العشرين كانت القوميات الصغيرة في مرحلة انتقال من حال المجتمعات البدائية الى المجتمع الطبقي وكان افرادها يعملون بالقنص وصيد الاسماك وبعض المهن الاخرى. وبدأ البعض منهم يزاول تربية الماشية ..

وفي بداية عام ١٩٢٢ انشئت ادارة خاصة في قوميسيرية (مفوضية) الشعب للقوميات للاشراف على شئون الامم الصغيرة في الشمال وكان الهدف منها توجيه الامم الصغيرة وفقا لتقاليدها، وحمايتها من الاستغلال ومدها بوسائل الانتاج الضرورية وكذلك توفير الملابس والغذاء والعمل على تطوير ثقافتها تطويرا شاملا. فقد طبع العديد من الكتب والمجلات والجرائد بلغات هذه القوميات. ويبلغ عدد الجرائد في الجمهوريات والمناطق ذات الحكم الذاتي ٨٠ (١) ، وداخل كل منطقة من هذه المناطق يحتمل أن تسود عده لغات ، ولهذا نرى داخل المنطقه الواحدة ذات الحكم الذاتي عدة قوميات ،وتبعا لذلك يوجد في المنطقة الواحده ذات الحكم الذاتي جرائد متعددة وبلغات مختلفة. ومن بين الجمهوريات السوفييتية يوجد ٥ جمهوريات، بداخلها جمهوريات ومناطق ذات حكم ذاتي وهذه الجمهوريات :-

١) جمهورية روسيا الاشتراكية السوفييتيه .
٢) جمهورية جورجيا .
٣) جمهورية اذربيجان .
٤) جمهورية اوزبيكستان .
٥) جمهورية كازاخستان .

ومن اهم الجرائد التي تصدر في المناطق ذات الحكم الذاتي جريدة سوفيا تسكايا ابخازيا / ابخازيا السوفييتية / وتصدر في مدينة سوخومي في جمهورية ابخازيا الاشتراكية. وتصدر هذه الجريده باللغةالروسية اما باللغة الابخازيه "كراسنايا ابخازيا" /"ابخازيا الحمراء"/.

وفي جمهورية ياكوتيا ذات الحكم الذاتي تصدر باللغه الروسية جريده" ستسا - ليتشايا ياكوتيا ."/"ياكوتيا الاشتراكية" أما باللغة الياكوتيه تصدر جريده "ايسكرا /" الشرارة "/.

Digitized by Birzeit University Library

اما في الاقليم اليهودي ذات الحكم الذاتي وفي مدينة بيروبيدجان تصدر جريدة "بيروبيدجانسكايا زفزدا" / "النجمة البيروبيدجانية" / تصدر هذه الجريدة باللغتين الروسية والعبرية .

هذه هي احدى نتائج الثورة الثقافية التي حدثنا عنها لينين بعد ايام قليلة من ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى والتي بدونها لا يمكن بناء المجتمع الاشتراكي. وقد كتب اليكسي فالديو – وهو كاتب من منطقة خاباروفسك عنها يقول :–

" ان ثورة اكتوبر العظمى طهرت – مثلما تغسل الفيضانات العارمة عند ذوبان الثلوج على نهر أمور – طهرت ارض اجدادى من الجهل والمجاعة والتأخر والمرض والظلم ،كما انقذت شعب اولشا من خطر الفناء. والان اصبح عدد الاولشا ٣ آلاف بعد أن تضاعف اربع مرات في خلال ٥٠ عاما .

ان نظام المزرعة الجماعية (كولخوز) قضى على الخوف لدى شعب الاولشا من المستقبل. ونحن نتذكر كابوس معسكرات الرعاة الحقيرة المكونة من بضعه اكواخ مهدمة بارضيتها الترابية ونوافذها الضيقة المغطاه بالورق أو بقشر السمك ،وجدرانها وسقفها اللتين لوثهما السخام .

والان قرانا تمتلأ بالمنازل الجميلة بسقوفها من الاردواز وأثاثها الحديث وبأجهزة الراديو وبتوصيل الكهرباء اليها وبالطبع لا يزال هناك الكثير الذى ينبغي عمله لتزويد السكان في منطقة اولشا بالمزيد من وسائل الراحة ،الا ان ما انجز خلال هذه الفترة القصيرة نسبيا يكشف مدى التغيرات الهائلة التي حدثت .وفي الايام السابقة لم يكن شعبي يفعل شيئا الا الصيد والقنص،والان بالاضافة الى ان لديه الخبراء في مثل هذه الحرف فلدينا الكثير من المهندسين والتكنولوجيين وعمال البناء وسائقي اللوريات والجرارات وملاحي الزوارق البخارية وكلهم يعملون في مزارعنا الجماعية ومصايد الاسماك .

وكان من الصعب ان تجد واحد من ابناء الاولشا يستطيع القراءة والكتابة قبل الثورة، اما اليوم فجميع ابناء الاولشا سواء متوسطو العمر او الجيل الجديد فكلهم يستطيعون القراءة والكتابة. وحصل الكثيرون منهم على التعليم العالي والثانوى واصبحوا مدرسين واطباء وصحفيين ومن رجال الثقافة .

اننا لا نقدر شيئا مثلما نقدر افكار لينين وثورة اكتوبر التي فتحت عهدا جديدا في صفحة حياة شعبي الصغير " .

٥) جرائد المدن والقرى الصباحية والمسائية

يبلغ عدد هذه الجرائد مالا يقل عن ٦١٦ جريدة وهذا عدد الجرائد الكبرى في المدن الكبرى والتي لا يقل عدد سكانها عن مليون نسمة،وتغطي هذه الجرائد كل اخبار المدينة التي تصدر بها من سياسية واقتصادية وثقافية وتعليمية ورياضية بالاضافة الى اخبار الحزب والنقابات .

من اهم هذه الجرائد :–

– جريدة فيتشيرني سفيردلوفسك" / سفيردلوفسك المسائية" /

– جريدة" جريدة فيتشيرني لنينغراد " /لينغراد المساء" /

– جريدة "كمسولتس" / "الشباب

Digitized by Birzeit University Library

الشيوعـــــي "/

- جريدة فيتشيرني رستوف" /"رستوف المسائيـــة "/.

٦) جرائد محليـــــة :

ويقصد بها جرائد المصانع والمعامـــل والمؤسسات ،وظهرت هذه الجرائد بظهور الدولة او السلطة السوفييتيه وهذه الجرائـــد تابعة للجان الحزبية والنقابية التابعة لهذه المؤسسات الصناعيه والزراعيه.. الخ .

واول جريدة مصانع تعتبر جريدة "مارتينوفكو" صدرت في نهاية ١٩٢١م في احد مصانـــع موسكو المعدنية ورسم لاول مرة على هذه الجريدة شعار المنجل والشاكوش.وبعد ١٩٢١م بدأ الحزب الشيوعي السوفييتي يصدر مراسيم خاصة بالصحافة فمثلا بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٣١م صدر مرسوم حزبي يدعو الى انشاء جرائد محلية في المناطق الزراعيه والتعاونيات الزراعية مثل (الكلخوزوالسفخوز) وفي ١٩ آب ١٩٣٢ صدر مرسوم آخر من أجل اصدار جرائد محلية في جميع المصانع والمعامل والمؤسسات الاخرى ،وكانت هذه الجرائد تهتم بتحسين احوال العمال والفلاحين العملية والمعيشية،والاسراع ببناء المجتمع الاشتراكي وفي الوقت الحاضر يصدر حوالي ٣٥١١ جريده محلية في المصانع والمعامل والمؤسسات والمعاهد التعليمية ، والمناجم فمثلا في مدينةلينغراد تصدر عدة جرائد محلية منها :-

- جريدة "زنامبا برغرسا"/"التقـــدم العلمـــي"/.
- جريدة "الكتروسيلا"/ آلة البنـــاء الكهربائية المتحدة "/.
- جريدة "تراكتور" وتصدر في مدينة، فولغاغراد وتتلخص مهمات هذه الجرائد بما يلـــــي :-

١) تلعب دورا هاما في البناء الاقتصادى وتربية الجماهيـــــر .

٢) تعبئة الجماهير العاملة من أجل اكمال الخطط الخمسية التي تنظمها المؤتمرات الشيوعيـــــة .

٣) تعرض اهم المشاكل التي تتعرض لها الطبقة العاملة وتحاول حلها .

٧) الجرائد الحائطيـــــة :

يصدر من هذا النوع من الجرائد حوالي نصف مليون جريدة ويكثر انتشارها في المصانع والمعامل والمؤسسات الصناعية والزراعية بالكلخوزات والسفخوزات ،والنوادى والمدارس والمعاهد المتوسطة والعليـــا والمؤسسات الحزبية وفي مناجم الفحم الحجرى ،واماكن استخراج البترول ومحطات القطارات..الخ . وبتاريخ ١ كانون الاول صدر مرسوم حزبي من أجل انشاء جرائد حائطية وأكد المرسوم على اهمية هذه الجرائد في توعية الشعب في جميع قطاعاته ،ومن اشهر هذه الجرائد وهي جريدة "فاكونيك" / "عربـــة "/ .

المبادئ والوظائف الرئيسية للصحافـــة السوفييتيـــة :

ان الصحافة السوفييتية تعتبر صحافة من النوع الجديد،حيث انه قبل عام ١٩١٧ لم يكن في روسيا صحافة تسمى بالصحافة السوفييتية،فولدت هذه الصحافـة بـولادة الدولة السوفييتية،وتختلف اختلافا مبدئيا وجذريا عن الصحافة البرجوازية قبل الثورة

Digitized by Birzeit University Library

البلشفية في روسيا، وبقية العالم. حيث أن هذه الصحافة منذ اليوم الاول لنشأتها تدافع عن الطبقة العاملة وتخدم مصالحهـــا وايديولوجيتها،كما انها تعمل على نشر المبادئ الاشتراكية في الدولة الفتية.

وبعد انتصار الثورة الاشتراكية اعتبرت الصحافة الجزء الرئيسي والهام في جهاز الدولة الحزبي والحكومي، ويستخدم الحزب الصحافة لهدفين رئيسيين وهما :

أ) تقوية الدولة السوفييتية الفتية، والاسراع في بناء المجتمع الاشتراكي الجديد.

هذا وقد أبدت المؤتمرات الشيوعيـــة السوفييتية اهتماما كبيرا بالصحافة وعملت على تقويتها ففي المؤتمرات ٨، ٩، ١١، ١٣، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦. حيث هذه المؤتمرات على تقديم يد العون للصحافة، باعتبارها السلطة الرابعة في البلاد، وما لها من اثـــر كبير في توعية الجماهير على مختلف قطاعاتها. وقد وضح لينين في كتابـــه /"ما العمل"/ المبادئ والوظائف الرئيسية للصحافة العمالية.

"ان الجريدة هي ما نحتاج اليه بالدرجة الاولى فبدونها يستحيل القيام بتلك الدعاية والتحريض المنظمين الشاملين الثابتين في المبدأ، الامر الذي يشكل المهمة الرئيسية والدائمة التي تجابه الاشتراكية الديمقراطية عموما والمهمة الملحة الان، في وقت أثير فيـه الاهتمام بالسياسة وقضايا الاشتراكية بين اوسع فئات السكان. ولم تكن الحاجة اكثر الحاحا كما هي اليوم لتعزيز التحريض المتناثر في الاعمال الفرديةوالمنشورات المحلية والكراريس..الخ. عن طريق التحريض المعمم والمنتظم الذي لا يمكن القيام به الا بواسطة الصحافة الدورية ولن يكون على الارجح من باب المبالغة القول ان درجة تواتر وانتظام طبع الجريدة وتوزيعها يمكن ان يكون معيارا دقيقا بالكيفية التي تم فيها بناء هذا القطاع الرئيسي والاهم من نشاطاتنا النضالية. ومن ثم ان صحيفتنا لا بد ان تكون لعموم روسيا فاذا لم نستطع طالما لم نستطع أن نربـــط جهودنا في التأثير على الشعب والحكومة عن طريق كلمتنا المطبوعة، فسيكون من الوهم التفكير بربط اساليب اخرى اكثر تعقيدا وصعوبة واكثر حسما كذلك في ممارسة مثل هذا التأثير. ان حركتنا، تعاني بالدرجة الاولى، ايديولوجيا وعمليا وتنظيميا، من حالة التشتت ومن الانغمار الكلي للغالبية الساحقة من الاشتراكيين الديمقراطيين في العمل المحلي الذي يسم بالضيق نظرتهم ومجال نشاطهم ومهارتهم في الحفاظ على سرية العمل ومدى استعدادهم. وفي هذا التشتت بالذات ينبغي التفتيش عن اعمق جذور عدم الاستقرار والتذبذب اللذين تحدثنا عنهما انفا. ان الخطوة الاولى لتصفية هذا النقص. وتحويل الحركات المحلية المتفرقة الى حركة واحدة لعموم روسيا. هي ايجاد صحيفة لعموم روسيا واخيرا. فان ما نحتاجه بالضبط هو صحيفه (سياسية). فبدون صحيفة سياسية، لا يمكن في اوروبا الراهنة تصور وجود حركة جديدة بهذا الاسم وبدون مثل هذه الصحيفة يستحيل كليا تحقيق مهمتنا الا وهي تركيز جميع عناصر الاستياء والاحتجاج السياسي ونضج الحيوية والنشاط في الحركة الثورية للبروليتاريا. وقد خطونا الخطوة الاولى. وايقظنا في الطبقة العاملة الشغف بالفضح "الاقتصادي" المصغي وينبغي لنا ان نخطو الخطوة التالية : ينبغي لنا ان نوقظ جميع فئات السكان الواعية سياسيا شغفا بالفضح الاقتصادي ولا ينبغي ان نتهيب حيال ما نراه اليوم من ضعف وندره ووجل ازاء الفضح السياسي، فسبب ذلك ليس

Digitized by Birzeit University Library

اليته الخنوع بالجملة امام الاستبداد البوليسي.بل لان القادرين والمستعدين للفضح لا يجدون منبرا يرفعون من خلاله أصواتهم ،ولا جمهورا متحمسا مشجعا. لا يرون في أي مكان بين ابناء الشعب تلك القوة التي تستحق جهد التوجه اليها بالشكاية من الحكومة الروسية اما اليوم فان كل هذا يتغير بسرعة بالغة فان هذه القوة موجودة. انها البروليتاريا الثوريه التي ابدت استعدادها لا لسماع وتأييد النداء الى النضال السياسي وحسب بل ايضا للاندفاع بجرأة الى سوح المعركة اننا اليوم في وضع يسمح لنا بتأمين منبر لفضح الحكومة القيصرية امام الشعب كله: وهذا المنبر ينبغي ان يكون صحيفة اشتراكية ديمقراطية. ان الطبقة العاملة الروسية ،خلافا لسائر طبقات وفئات المجتمع الروسي، تبدى اهتماما ثابتا بالمعرفة السياسية وتعبر عن طلبها المستمر والواسع ،(لا في فترات الاضطرابات المكثفة فقط) على الادبيات السرية. وعندما يكون مثل هذا الاقبال الجماهيري واضحا وعندما يكون تدريب القادة الثوريين المجربين قد بدأ ،وعندما يجعل تمركز الطبقة العاملة منها السيد الفعلي في الاحياء العمالية بالمدن الكبرى وفي المستوطنات والمجمعات العمالية، يضحى تأسيس جريده سياسية امرا في مقدور البروليتاريا تماما. وبواسطة البروليتاريا ستتغلغل الجريدة الى صفوف البرجوازية الصغيرة في المدن والحرفيين والفلاحين في الريف وتصبح جريده سياسية شعبية حقا. بيد ان دور الجريدةلا يقتصر على مجرد نشر الافكار. على مجرد التربية السياسية واجتذاب الحلفاء السياسيين.

ان الجريدة ليست فقط داعية جماعية ومحرضا جماعيا بل هي في الوقت نفسه منظم جماعي ".

وفيما يتعلق بحرية الصحافة اكد لينين بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في احد المراسيم التي اتخذت بشان الصحافة على ان اللجنة الثورية المؤقتة اضطرت الى اتخاذ سلسلة من التدابير الموجهة ضد صحافة الثورة المضادةمن كل شكل ولون.وقد اثارت هذه التدابير على الفور ضجة كبيرة حول انتهاك السلطة الاشتراكية الجديدة للمبدأالاساسي في منهاجها وذلك بانتهاكها حرية الصحافة.

ان حكومه العمال والفلاحين تلفت انظار الشعب الى حقيقه ان هذا الشعار الليبيرالي في مجتمعنا قد حفظ في الواقع حرية الطبقات المالكة في الاستحواذ على حصة الاسد في الصحافه كلها بعبة تسميم اذهان الشعب دون عائق ودو فرن الخلاف بين الجماهير. من المعروف أن الصحافه البرجوازية واحده من اعتى الوسائل التي تملكها البرجوازيه وفي الاوقات العصيبة عندما تكون الحكومة حكومة العمال والفلاحين قد وطدت اقدامها على التو ،فان من غير الممكن ترك هذه الادارة برمتها بين يدى العدو اخذين بالحسبان بأن الصحافة في هذه المرحلة ليست اقل خطرا من القنابل والرشاشات ..

ولهذا السبب قامت الحكومة السوفييتيه الفتية باغلاق بعض الصحف البرجوازية ،خوفا من تدمير ما احرزه العمال والفلاحين ،ان كافه التدابير الاداريه التي تحد من حرية الصحافة سترفع حال ان يتوطد النظام الجديد، وستعطي الصحافة كامل الحرية ضمن حدود مسؤوليتها امام المحاكم وطبقا لاوسع وأكثر قوانين الصحافة تقدمية وانطلاقا من أن القيود المفروضة على الصحافه حتى في الظروف العصيبه سوف لن تتجاوز ابدا

Digitized by Birzeit University Library

الحدود الضرورية فقد رسم مجلس الشعب ما يلـــــي :ـ

- سوف لا تتعرض الى الاغلاق الا تلك الصحف التي تحرض على المقاومة السافرة ضد حكومه العمال والفلاحين وعلى تحديهـــــا .
- لا تغلق الصحف مؤقتا او بصورة دائمة الا بقرار من مجلس الشعب .
- يعتبر هذا المرسوم ساريا وبصورة مؤقتة ويتم الغاؤه بمرسوم خاص وذلك عند عودة الظروف الطبيعية للحياة الاجتماعية.

ان هذه الاحكام العامة حول الصحافة لم تكن وليده الصدفة وانما اتخذت بناء على دراسات وافية للانتفاضات والثورات العالمية ومن اهم هذه الانتفاضات كمونة باريس، والذي يرجع المؤرخون ان من اسباب فشل هذه الانتفاضه هو عدم مصادرة الصحف البرجوازية من قبل الثوار المنتصرون، ان هذا الخطأ في كمونة باريس تداركه لينين حالا بعد انتصار الثورة ،فأخذ يصدر مراسيم خاصه بالصحافة، وهذه المراسيم اثبتت نجاعتها وصحتها فيما بعد واكبر مثل على ذلك الخطا الـــذي ارتكبته حكومه سلفادور اندي بعد الانتصار الذي حققته على الطغمة الحاكمة في تشيلي، وهو عدم مصادرة الجرائد والصحف البرجوازيه والذي مكن فيما بعد اعداء الثوره على توجيـه سهامها من جديد ضد الحكومه التقدمية وخنقها في المهـــد ..

ان مبادئ لينين حول الصحافة والمراسيم التي اتخذت في تلك الفتره مهدت الطريق لبناء صحافة قوية منظورة فيما بعد وعلى مدى السنين التي اعقبت ثورة اكتوبـر اثبتت الصحافه السوفيتيه بأنها تمتاز في اهدافها ومحتوياتها واسلوبها بطابعها الخاص المختلف تماما عن طابع الصحف في الدول الرأسماليـــه ..

المصـــــادر :ـ

١) لينين حول الصحافة ـ دار الفارابي ـ قام بجمع الطبعه العربية فخرى كريم ـ باللغة العربيـــه .
٢) دليل الصحافة ـ مطبعة لنينغراد ـ ١٩٧١م المؤلفان باغدنوف وفيازمسكتي باللغه الروسيـــه
٣) فنون الجرائد السوفييتية ـ موسكو ١٩٧٢، عده مؤلفين ـ باللغة الروسيه
٤) مقدمة في دراسه النظرية الصحفية موسكو ١٩٨٠م .
٥) "ستوديلات" / "ما العمل" / لنين
٦) مقال لينين "بماذا نبدا" .
٧) كتاب لينين (المهام الرئيسية للسلطة السوفيتية) .
٨) "الانسان الجديد في الاتحاد السوفييتي" .
دار التقدم موسكو المؤلف بيجوى كومار سينها ، ١٩٧٥م .

Digitized by Birzeit University Library

لويس كورفالان ... وشيء من حياته

بقلم / فالح العطاونه

في الايام الاخيرة من تموز وفي احدى خطاباته الكثيرة وغير المتناسقة، والمشحونة بالحقد، راح بينوشيت " جيستابو بينوشيت زعيم الانقلاب الفاشي في التشيلي". يهذي ضد قادة الوحدة الشعبية، وصورنا كعناصر ليست لنا أية علاقة بالشعب، ونعيش متمتعين بامتيازات، اعترف ان هذا قد اغاظني، وقررت حينئذ ان اكتب هذه المعايشات.. فانا لست كاتبا ولا يهمني النقد الادبي، فاذا ما توصلت الى غرضي الحقيقي، الا وهو تكذيب الطاغية، فان هذا يكفي، واذا - اضافة الى ذلك - تمعن من يقرأ هذه الصفحات للحظة واحدة بامور الحياة، فاني سأكون سعيدا ايضا ".

" لويس كورفالان "

هكذا قدم لويس كورفالان " السكرتير العام للحزب الشيوعي التشيلي " لكتابه " شيء من حياتي" الذي يحوى بين دفتيه كلمات بسيطة واضحة " كالحقيقة" لانسان عادى تحس اثناء قراءتها وكانك تستمع لانسان بينك وبينه الفة منذ زمن، كلمات كلها وضوح كتبت بيد معتقل في زنزانة مظلمة، ومع انه في نهاية كتابه يعلن بقوله " اني اعي تماما، باني لم اقم بتحليل سياسي، ولا بكتابة تاريخ الحزب والحركة العمالية والشعبية التشيلية " فان القارئ يحس بالتحليل والتاريخ متوفرين في كلماته المباشرة في وصف حياة انسان بجمل وسطور حية تشكل في محتواها لبنات اساسية في تكوين انسان وقائد ثورى بارز، اصر ان يناضل حتى وطأة عتمة الزنزانة في " "تريس الاموس" المعتقل الفاشي، مقررا كتابة معايشات نابضة بالصدق خلال شهر آب ٧٤ مقسما كتابه الى فصول تشكل في مجموعها "شيء من حياة" انسان متواضع غير مفاخر ولا متبجح، وانما يقصد تكذيب بينوشيت الطاغية وصنع اصرار حديدى لكل من يقرأ كلماته.

Digitized by Birzeit University Library

طفولة فقيـرة وليست مكتئبـة

يبتدئ لو يس كورفالان كتابه بفصل " طفولة تومية" نسبة الى بلدة "تومي" التي عاش فيها سنوات الطفولة ، مصورا لنا في بدايته شهادة ميلاده التي تقول :

الاسم : لويـس نيكـولاس .

تاريخ الميلاد : ١٤ سبتمبر ١٩١٦.

مكان الولادة : بويرتومنت ـ تشيلوى.

اسم الاب :موسيس كورفالان اورثوا

اسم الام :"؟" ، " لا ذكـر لهـا" .

بهذه الصورة ، وبهذة الجملة بالذات " الام لا ذكر لها " ينبه لويس كورفالان الى عهد ولادته الذى كانت المرأة فيه منسية من كل حقوقها ، حتى من ذكر وكتابة اسمها في شهادة ميلاد ابنها ، ليس هذا فقط وانما تلك الحياة التي عاشها وترعرع فيها على يد تلك الام المنسية من ذكرها في شهادة الميلاد حيث فارقه والده وهو في الخامسة من عمره ، وبعد ذلك لم يره الا مرتين ، وذلك بعد بداية الحرب العالمية الاولى.

اما والدته " اديلايد ليبيث روا " ابنة الفلاحين الفقراء ، والتي لا تعرف القراءة والكتابة ، والتي عندما هجرها والده عملت كخياطة في المنزل لصالح احد المشاغل ، كي تستطيع اطعام الاسرة المكونة من ستة افراد ،

يقول كورفالان في ذلك :" ان اطعام ستة افواه كان مأثرة يومية تقوم بها امي .. وكانت النقود تتناقص .. وعندما يحدث هذا كنا نهرع بهذا الشيء او ذاك من اشياء البيت الى بيوت الرهن" لقد كانت الام تجد نفسها مجبرة في اغلب الاحيان لتقنين الخبز ، اما الفواكه فلم تكن تؤكل الا في الاعياد والمناسبات ، وعندما تصعب الحياة . ولم يعد بمقدور الام توفير متطلبات الاسرة المتزايدة . يترك لويس كورفالان المدرسة لمدة عامين ويعمل في مخبز" تشيلان" مقابل احتياج الاسرة من الخبز فقط ، حيث يقول عن حياة الفقر والعوز." لم نكن نأكله (الخبز) في وجبة الغذاء ، وهي (امه) تحفظ الخبز في سلة تعلقها بمسمار لا تصله ايدينا ، وفي أحدى الامسيات ، قمت خفية بوضع صندوق فوق آخر وصعدت اليه لاصل الى السلة ، ولكني وقعت على ظهري وبقيت اتألم اسبوعا".

كان كورفالان يحب الريف كثيرا ، يزور قرية "لاس كانواس" حيث يسكن ابن خالته كلما سنحت له الفرصة. وينطلق حيث الحبال والخضرة والمياه ، وجمع ثمار الاشجار البرية ، ويستمر في طفولته المتعبة حتى نهاية عام ١٩٣٠ حيث اوقفته امه عن العمل وعملت احدى شقيقاته كمدرسة ، والاخرى تشتغل بالسنارة . اما هو وبمساعدة رابطة الطلاب الفقراء فقدوصل الى مدرسة المعلمين في تشيلان وعمره اربعة عشرة عاما ، ليبتدئ مرحلة ما بعد الطفولة ورغم ما فيها من معاناة وفقر يقول عنها " ان الفقر لم يجعل مني طفلا كئيبا ، والحرمان الذى رافقني دائما لا يعني شيئا امام السعادة الغامرة لكوني ربطت حياتي بحياة شعبي وبنضاله" .

شيـوعي ومناضل طـلابـي

اما عن حياته في مدرسة المعلمين والتي كتبها تحت عنوان " الاستيقاظ السياسي" ،

Digitized by Birzeit University Library

حيث العام ١٩٣١ وبداية دخوله للمدرسة التي يدرس فيها عدد من الشيوعيين، في شهر تموز من نفس العام سقطت حكومة الجنرال كارلوس ايبانيث الديكتاتورية . ويخرج كورفالان وصديقه المزارع مانويل من بلدة " كوليومو" واضعين حول اعناقهم قطعا من القماش الاحمر فرحين ككل الناس التشيليين بتلك المناسبة ، بعد ذلك تخرج الاحزاب السياسية الى ضوء العلنية ، وتتعاظم الاضطرابات الطلابية ، وينضم لمجموعة الزحف في مدرسة المعلمين حيث يقول كورفالان " وفيها "مجموعة الزحف" ظهر شيوعيون كثيرون ..".

في تلك الفترة كان العمال يهيمون واسرهم في الشوارع ، يطرقون الابواب من اجل لقمة الخبز . في الوقت الذى كانت بعض البلدان تحرق كثيرا من المحاصيل كالقمح واللحم .

يشترك كورفالان مع اصدقائة الطلبة في النضال الطلابي ويحققون نجاحات عديدة في ذلك الوقت الذى كانت الصحافة تشن هجوما بشكل محموم على الشيوعيين ولكن كورفالان يقول :" ولكني وجدت فيهم الرجال الاكثر وضوحا وشجاعة ولم ار اى قطاع سياسي آخر يدافع من اعماقه عن العاطلين .." .

وفي احدى المرات التي يدعى فيها لاجتماع ، وفي شهر شباط عام ١٩٣٢ ، ينضم لويس كورفالان للحزب ، حيث يعتبر ذلك اهم خطوة قام فيها في حياته ، ويستمر في النضال الطلابي كشيوعي ويحقق ورفاقه وزملاؤه الطلاب الواعين سياسيا نجاحات باهرة . ويأتي حزيران عام ١٩٣٢ ، وتسقط حكومة " مونتيرو" بعد انتخابه رئيسا للجمهورية بعام واحد ، ويشكل ما سمي بالجمهورية الاشتراكية التي عاشت حياة قصيرة جدا ، استبدلت بانقلاب " ديكتاتورية المئة يوم" حيث اعتقل خلالها الشيوعي " مانويل ايدو" ، واغرق في شاطئ فالبارايسو ويستلم بعد ذلك رئاسة الجمهورية " ارتورو بي اليساندرى" حيث حورب الشيوعيون بضراوة في التشيلي في حين يرتقي هتلر السلطة في المانيا . وتظهر الجبهة الشعبية للوجود في فرنسا ، وتخرج الولايات المتحدة من ازمتها الاقتصادية على يد الرئيس " روزفلت" وفي الصين يتوطد بناء الاشتراكية في احدى المقاطعات ، وفي الاتحاد السوفياتي يستمر بناء الاشتراكية بنجاح ، يقول كورفالان عن هذا العهد :" اخذنا نقرأ بشراهة كل كتاب او كراس يقع بين ايدينا .. لم تكن الادبيات متوفرة ، ولكن تلك التي حصلنا عليها لعبت دورها في تكويننا الايديولوجي والسياسي والتحامنا بالقضية الثورية ..".

وفي العام ١٩٣٤ ، ينهي كورفالان دراسته كمعلم ، بعد اربع سنوات في مدرسة المعلمين ، مليئة بالنشاط الثقافي والفني الذى كان له دور كبير فيه ، وفي ظروف اقتصادية قاسية ، ويرى بعض المعلمين عدم منحة تصريحا للعمل في جهاز التربية ، حيث رأوا فيه محرضا ثوريا يقول كورفالان في ذلك " وقد اثبت الزمن بان الذين فكروا هكذا لم يكونوا مخطئين ، ولكن ماذا كانوا سيكسبون برفضهم منحي شهادة معلم لقد اتخذت حياتي وجهة ، ثانية وعنها لا يمكن لاحد ان يحيدني.."

... والاستغلال سنهزمه
والثـأر ... لن نطلبـه...
لاننا بالوحدة فقط ، نستطيع فرضه ، انهض يا شعبنا الوفي ... واستجب لنداء الثورة

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكية ، هذه الاغنية واغاني كثيرة ، تعلمها كورفالان من خلال زياراته المتكررة لاتحاد عمال تشيلي الذى كان فيه مجمع لعدة نقابات عمالية ، بالقرب من منزله واحداث كثيرة . منها ما هو مواتي ومنها ما هو معاكس لطموحات كورفالان ورفاقه يتحدث عنها باسلوبه الشيق فيظهر الخطوط (رغم تشابكها المعقد) التي تسير وفقها الطبقات الاجتماعية وفق مصالحها ، ويبين ببداهة الحقيقة ان ايا من التيارات البرجوازية / الانتهازية لا تسير وفق ما ترسم من شعارات غوغائية وانما تحدد شراهتها من مصالح ضيقة وانانية لا تجعل منها في النهاية الا تيارات خائنة لمصالح شعوبها معنونا ما تحقق من آمال وما عاناه من آلام هو ورفاقه .

أزمات مواتيه وأزمات معاكسه

يقول كورفالان في الصفحات الاولى من هذا الفصل : (لقد كانت تنضج في الحزب تغييرات هامه ، وبسرعة توصلنا الى فهم مؤداه ان الثورة ليست في متناول اليد حتما فانطلق الحزب في الطريق الذى ادى الى تشكيل الجبهة الشعبية) .

في الايام الاولى من عام ١٩٣٥ ، يعلن عمال المنشآت اضرابا ، ويناط باتحاد الشبيبة الشيوعية التشيلي مهمة جعل عمال الترام يتضامنون معهم ، وينشط ورفاقه في هذا المجال ولكنهم فشلوا لعدم وجود خلايا شيوعية بين عمال الترام انفسهم ، فسعوا نتيجة ذلك لخلق مثل تلك الخلايا ونجحوا في ذلك ، ويطرد عدد من رفاقه من قبل الشرطة ، بعد ذلك يأخذ بالبحث عن وظيفة (مدرس) ويوفق في ذلك بصعوبة ، وينضم لعدة اجتماعات لاتحاد المعلمين التشيلي ، وينشط في صفوف اتحاد الشبيبة بشكل اساسي وآ نذاك تبين نتيجة التحقيق بان المسؤول عن العمل الفلاحي في الحزب والعضو في لجنته المركزية (باسكونيان ثوريتا) قد القي في نهر (لاخا) وذلك بعداعتقاله عقب مذبحة رانكيل ، واثناء عمله في مدرسة اكيكي ، ومع بداية اليوم الاول لوصوله لتلك المدينة يبحث عن (خوسي باربرا) القائد الشيوعي الاكثر شهرة في تلك المدينة التي تعمل بها كثير من شركات النيترات والتي يحتفظ عمالها بذكريات حية عن عامل الطباعة ومؤسس الحزب العمالي الاشتراكي عام ١٩١٢ الحزب الذى تحول عام ١٩٢٢ . الى الحزب الشيوعي التشيلي (لو يس ريكابارين) .. ويعمل كورفالان بالاضافة الى عمله بين المعلمين بتوزيع صحيفة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيلي (الراية الحمراء) . ومجلة الاممية الشيوعية ذات الطبعة الاسبانية ويستمر في عمله كمدرس ليفصل في نهاية شهر اب من عام ١٩٣٦ ، نتيجة اخضاع البلاد لحالة طوارئ من قبل حكومة (اليساندرى) ، التي نفى خلالها عدد من الشيوعيين ، والتي يقول كورفالان عنها (انها عجلت بقيام الاتحاد الشعبي ونتيجة لفصله تضامن معه زملاؤه المعلمون في اتحاد معلمي التشيلي والذى كان هو سكرتيرا عاما لاحد فروعه ، حيث تبين فيما بعد ان نتيجة فصله جاءت (لافتراقة جريمة) القاء خطاب في صالة العمال بعد انتهاء مسيرة نظمتها الجبهة الشعبية ١

Digitized by Birzeit University Library

سنوات النضال والنصر

في هذا الفصل من الكتاب يتحدث عن النضال الثورى وفق معايير المرحلة التي تعيشها التشيلي آنذاك وثمرات هذا النضال الناجح الذى قاده الحزب الشيوعي التشيلي مستندا على نظرية ثورية صلبة لا تقبل التشكيك .

خلال عمل كورفالان كسكرتير للامين العام للحزب ، عمل كذلك في تجارة الكتب والصحف والمجلات وفي ذلك الوقت يقع التمرد لزمرة الجنرالات الفاشيين في اسبانيا وتتحول قضية اسبانيا لتصبح دافعا للنضال ، ورابطة قوية لتعزيز وحدة القوى المعادية للفاشية في التشيلي آنذاك في المهرجانات التي تقيمها الجبهة الشعبية او تحالف الشباب التحررى الذى قام بحملات كثيرة من اجل التضامن مع الشعب الاسباني وعقد مهرجانات عديدة تصدح فيها اغنية (الى امهات مقاتلي المليشيا الميتين) للشاعر الكبير بابلوا نيرودا ، الذى تعرف عليه كورفالان عندما استقبله ووفد من الشبيبة الشيوعية لتحيته ، ونظهر كذلك الى الوجود وبين الشباب التشيليين لجنة الشباب الجبهويين كاطار جديد ينضوى تحت رايته الشباب الاشتراكيون الذين لم يوافقوا على الاشتراك في تحالف الشباب التحررى . حيث اقرت اللجنة برنامجا من عشر نقاط يلخص الحقوق والتطلعات الاساسية للشبيبة التشيلية .

يتولى كورفالان بالاضافة الى مهماته العديدة ، مهمة رئاسة تحرير صحيفة (عالم جديد) التي صدرت لمدة اربعة عشر شهرا فقط نتيجة لضعف الامكانات المادية ، وفي الوقت ذاته تصدر الصحيفة المسائية للحزب (جبهة شعبية) .

وبعد انهاء عمله كسكرتير للامين العام للحزب يعمل في شركة لصنع الصور الفوتوغرافية ، وبعد العمل يكرس كل امسياته للقيام بمهامه في الشبيبة الشيوعية .. ويترك العمل في الصور الفوتوغرافية ليحل محل (ريكاردو فونسيكا) في السكرتارية العامة للشبيبة ، وفي ذلك الوقت كانت تقترب الانتخابات لرئاسة الجمهورية حيث كان آنذاك مرشحان للمنصب ، (بيدور تيردا ، وغوستا فوروس) اى ما بين اليسار واليمين ، حيث تأتي مذبحة الضان العمالي لتبدد اصوات اليمين ، وينضم الحزب القومي الاجتماعي مضطرا الى مساندة مرشح الجبهة الشعبية ، وتتم الانتخابات وفق نظام يسمح لاقتراف اعظم التزييفات لمشاعر الشعب التشيلي الحقيقية ، ولكن رغم ذلك تخرج الجبهة الشعبية لتمثل الاكثرية الى ابعد الحدود ، وينتصر اليسار ومرشحه (بيدرو تيردا) ويدخل كورفالان كمحرر في صحيفة (جبهة شعبية) .

ومثل جميع المعلمين المطرودين لاسباب سياسية يعود كورفالان الى التعليم بعد انتصار الجبهة الشعبية ، ويعمل في احدى المدارس في مدينة بالديبا ومن ثم ينتقل الى اكيكي بتوجيه من اللجنة المركزية للحزب ، يقول كورفالان عن حياته في تلك الفترة : " لقد امتدت نشاطاتي الى عدة مستويات ، اذ عملت في الشبيبة ، وفي التدريس ، وفي الصحافة ، وعينت مديرا لصحيفة (يقظة الشغيلة) ".

وفي عام ١٩٣٩ ، يتمرد الجنرال (اربوهيريرا) شاهرا السلاح ضد (بيدرو

Digitized by Birzeit University Library

وتنشط مدينة اكيكي دفاعا عن حكومة الجبهة الشعبية ، ويناط بالسيد كورفالان مسؤولية الاذاعة المحلية بالاضافة الى اشرافه على صحيفة اليقظة .. وعندما تنفجر الحرب العالمية الثانية ينشط كورفالان ومن خلال عمله كصحفي يساهم في توضيح اسباب وماهية النزاع الكوني ويقيم ندوة بعنوان (الاتحاد السوفياتي والحرب العالمية الثانية) .

ومن ثم يستدعي ليكون في عداد محرري صحيفة (الـ سيغلو) التي يعد لاصدارها من قبل الحزب ويستقبل من عمله كمدرس ويعمل كرئيس لقسم التحقيقات في صحيفة (جبهة شعبية) ، ويطرد منها بسبب نشره نكتة في صفحة الطرائف وكان نتيجة ذلك هدفا للتوبيخ ، يقول كورفالان في ذلك " لقد قاسيت كثيرا بسبب هذا الاجراء " .

في ليلة ٢٢/٢١ حزيران عام ١٩٤١م ، تصل الى التشيلي آخبار العدوان الالماني النازي على الاتحاد السوفياتي ، حيث كانت الثقة لا محدودة بين صفوف الشيوعيين التشيليين بأن الحرب ستتوج بهزيمة ساحقة للفاشية ، يقول كورفالان في ذلك : (ان الهجوم الهتلري على الاتحاد السوفياتي ، وما ترتب عليه من دخول الاخير في النزاع الكوني اعطيا الحرب مضمونا جديدا بشكل جوهـــري . فانتصار الاتحاد السوفياتي والحلفاء سيفتح امام شعوب العالم قاطبة ، كما اثبت الواقع فيما بعد اوسع الامكانيات للتحرر الاجتماعـــي) .

وفي تلك الفترة ، يصدر الحزب ثلاث صحف جديـــدة ، (السيغلو،والشعبـــي والمرحله) موزعة على ثلاث مدن تشيليه ، وخلال اقامة كورفالان في مدينة (انتوفاغاستا) واثناء عمله كصحفي يتعرف على مناطق النيترات البائسة ، ويرى ان الشركات البريطانية لا تقبل الا العازبين للعمل فيها حيث ان كثيرا من المتزوجين (ولكي يعملوا) يتعاقدون كعازبين ، حيث كانت الشركات تعتني بالمومسات ، وتراقبهن من الناحية الصحية كي تحول دون اصابة عمالها بالامراض .. ، يقول كورفالان : (كل هذا لفت انتباهي بشدة ، لقد رأيت بأم عيني أن الحب والعائلة لهما اهمية ضئيلة في المؤسسة الامبـريـاليـــة) .

ويشير كورفالان في كتابه ان الامية الشيوعية وفي عام ١٩٤٣م حلت نفسها بعد المساهمة في انشاء الاحزاب الشيوعية ، وترسيخ مبدأ الامية البروليتارية في عملها . في كثير من البلدان ، وهي المهمة الاساسية التي شكلت من أجلهـا .

وتنتهي الحرب العالمية بهزيمة قاسية للفاشية وتتلوها حرب باردة ، فتنبثق الديموقراطيات الشعبية في اوروبا . وتقوم الامبريالية الامريكية باستخدام كافة الوسائل لانقاذ الانظمة البرجوازية ، وفي التشيلي . وكأول مظاهر للحرب الباردة ، تحدث مذبحة ساحة بولينز ، ويقف العداء للشيوعية على قدميه وتتشكل منظمة العمل المعادي للشيوعية في التشيلي ، وتغلق صحيفة (الـ سيغلو) مـرات عـديـدة .

يتزوج كورفالان آواخر العام ١٩٤٦م . الفتاة التي أحبها (ليلي) ، والتي كانت تعمل كسكرتيرة له في الصحيفة ، وهي ابنة لجمال في الميناء ، ولام تعمل طاهية ، يقول كورفالان : (وفي ليلي وجدت نموذج امرأة لم أعرفه من قبل ، فبالاضافة لكونها شابة

Digitized by Birzeit University Library

طيبة ولطيفة وجدت ان اخلاصها للقضية الشيوعية راسخ في اعماقها .... ان ثلاثين سنة وهي الى جانبي ، تشاركني الحزن والفرح آكدت لي باني لم اكن مخطئا عندما بادلتها حبي اللا محـدود .

سيـــأتـي يومنـــا

... بعد زواج كورفالان ، تأتي والدته واحدى شقيقاته للعيش معه ، ويبتدئ القمع المعادى للشيوعية ، وينتقل كورفالان من بيت الى بيت وترحل زوجته وولده الصغير برفقة والدته وشقيقته الى الجنوب ، وتستمر صحيفة (الـ ـسيغلو) بالصدور ، ولكنها كانت خاضعة للرقابة ، وفي هذه الظروف تتوقف الصحيفة عن الصدور ، ويكرس كورفالان وقته في المطالعة . ويكتب ريبورتاجا سياسيا يغطي سنوات عديدة من نضال الشعب التشيلي . معنونا اياه بـ (سأتـي يومنـا) .

بعد ذلك يكلف كورفالان برئاسة لجنة الدعاية التابعة للحزب ، وفي تلك الفترة كان هناك حوالي الالفين من المبعدين من بيساغو وحدها ، بالاضافة الى اعداد كبيرة من مناطق أخرى . وينشط كورفالان ورفاقه من خلال لجنة الدعاية في اخراج الكثير من النشرات السرية ويصدرون بعد اغلاق (الـ ـسيغلو) صحيفة (المعارضة) ، ثم (الديموقراطية) . وبعد انتهاء فترة القمع الديكتاتورى ، يسكن كورفالان وزوجته بيتا . وبالاضافة الى مهمات الحزب العديدة يعمل بتسويق الحطب والفحم والخضروات من أجل مصاريف الاسرة المعيشية وعندمايتوفى (ريكاردو فونسيكا) الامين العام للحزب يخرج اكثر من خمسة عشر الفا من الشيوعيين في جنازته ، وقبل ذلك كانت قد جرت في العاصمة معركة جماهيرية ظافرة ضد رفع تعرفة النقل العام ، يقول كورفالان : (هذان الحدثان " جنازة فرنسيكا ، واحداث العاصمة كلاهما اثبتا ان الديكتاتورية قد فقدت قوتها وتضعضعت ، وبالتالي فان الشغيلة والشعب أصبحوا اكثر ثقة بأنفسهم) .

.. في ٤ كانون ثاني عام ١٩٥٠ م ، يعتقل كورفالان ويعذب بقاشية ، ونتيجة للتعذيب يفقد الوعي في كثير من الاحيان ، ويفقدونه سمعه بأحدى اذنية ، ولكن كل ذلك لم يحقق هدف المحققين وهو انتزاع اعترافات منه ، ويستمر اعتقاله لمدة خمسة عشر يوما ومن ثم يبعد الى قرية بيتروفكين ، ويثبت وجوده فيها كل مساء امام رجال الدرك

وبعد سنتين من حكم التشيلي بديكتاتورية حالة الطوارئ وقوانين الصلاحيات الاستثنائية ، تأخذ الديكتاتورية بالتفتت ، ويطلق سراح المعتقلين في بيساغو وجميع المبعدين ، ويطلق سراح كورفالان بعد مضى ثلاثة أشهر من ابعادة في قرية بيتروفكين ليجد ابنية الصغيران وزوجته يقيمون في بيت شقيقتها ، ثم يشيد كورفالان بيتا صغيرا ، وبعد مدة يهدمه بسبب بنائه بشكل خاطئ على قطعة أرض ليست هي المقصوده بالبناء عليها . ويشيد بيتا جديدا .

.. بعد موت فونسيكا بعام واحد ، يطرد السكرتير التنظيمي للجنة المركزية من صفوف الحزب ، بسبب تنظيمه لفئة موالية له ، واثارة سياسة مغامرة لا تأتي بشيء سوى عرقلة النضال الجماهيرى ، وعزل الحزب واعاقة

Digitized by Birzeit University Library

الانهاء على حالة اللاشرعية ، واعطاء مرر للقمع .

كان كورفالان يلتقي مرتين كل اسبوع مع (غالو غونثالث) الامين العام للحزب الذى خلف فونسكا بعد وفاته ، ويصدران بصورة سرية مجلة اللجنة المركزية (المبادئ) . ويتمكن كورفالان ورفاقه من اصدار النشيد الشامل لبابلونيرودا وبيعه بطريقة سرية .

.. وفي بداية العام ١٩٥٢م .، يبدأ الاعداد لانتخابات الرئاسة ، ويتم الاتصال بين الحزب الشيوعي التشيلي والحزب الاشتراكي الشعبي للنزول بمرشح مشترك ولكن الاخير لم يوافق على ذلك ، ويفوز بمنصب الرئاسة وقبل ان يتسلم مهماته يعاد اصدار صحيفة (الـ ـ سيغلو) ، وينضم كورفالان وزوجته للعمل فيها . بالاضافة الى مهمته الاساسية ، المسؤول عن العمل الدعائي في الحزب ، وتنسق الجبهة الشعبية مؤلفة من الحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي ، والديموقراطي ، وحزب العمل . وتقر كذلك الوحدة النقابية بتشكيل الاتحاد المركزي للشغيلة .. ويأتي العام ١٩٥٥م . وتوجه حكومة ايبانيث ضربتها ضد الحزب الشيوعي والحركة العمالية ، ويقتحم بيت كورفالان . ويسرق رجال الشرطة مكتبته ، وبعد ذلك وفي حزيران عام ١٩٥٥م . يسافر الى الاتحاد السوفياتي للمرة الاولى ببطاقة هوية مزيفة . يقول كورفالان : (بقيت حوالي ثلاثة شهور في الاتحاد السوفياتي أزور متاحفا ومصانعا ، وسفوخوزات ، وكولخوزات وافتح عيوني مشدوها وأنا أشاهد ما يجرى بناؤه لصالح الجميع .. رأيت مثلا فلاحات صبايا وهن يقرأن مجلدات ضخمة ، وعمالا يلعبون الشطرنج في الحدائق ، ان هذه الامور بحد ذاتها شيء جديد وحاسم في الوقت ذاته) .

ويعود كورفالان الى وطنه بعد ثلاثة شهور من وجوده في الاتحاد السوفياتي ، ليجد طفلته التي ولدت في غيابه .. ، وفي الايام الاولى من عام ١٩٥٦م ، تشن حكومة ايبانيث حملة اعتقالات واسعة ، اعتقل خلالها كورفالان والكثير من رفاقه .. ، ويطلق سراحه بعد شهرين ويسافر مرة أخرى الى الاتحاد السوفياتي ليمثل الحزب الشيوعي التشيلي في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .. يقول كورفالان . (وهكذا . حصلت على فرصة وشرف حضور ذلك المؤتمر التاريخي الذى ادينت به عبادة الفرد .. ، ان ادانة عبادة الفرد ، وادانة اخطاء ستالين الاخرى كان امرا ضروريا وصحيا للمجتمع السوفياتي وللحركة الشيوعية ، ومع ذلك فاني اعتقد ان التاريخ لن يترك ستالين في التراب)

..في شهر نيسان من عام ١٩٥٦م ، ينعقد مؤتمر الحزب الشيوعي التشيلي ، المؤتمر الذى يقول عنه كورفالان انه المؤتمر الذى كان ذا اهمية بالغة ، اذ اقر امكانية الوصول الى السلطة بطريق غير الطريق المسلح . وقاد بذلك الحزب الى مرحلة جديدة من التطور . وهذا ما اثبتته الممارسة فيما بعد .. ، في تلك الفترات كان ايبانيث قد وصل الى منصب رئاسة الجمهورية للمرة الثانية ، ويستمر في قمع الحريات ولكن ذلك أثبت ان الحزب الشيوعي التشيلي لا يمكن تحطيمه بل على العكس من ذلك كان ينمو ويكسب شرعيته عمليا .

وعندما يتوفى (غالو غونثالث) الامين العام للحزب الشيوعي التشيلي ، الرجل

Digitized by Birzeit University Library

الذى اجتاز الحزب بنجاح تحت قيادته قمع الحكومات الديكتاتورية ، وظهر امام البلاد بآسرها كقوة تصعد من جديد ، يختار (لويس كورفالان) من قبل اللجنة المركزية للحزب كسكرتير عام له ، وهكذا يصل كورفالان الى منصب الامين العام للحزب الشيوعي التشيلي

خلاصة

ان ما ورد كان تلخيصا موجزا عن (شيء من حياة لويس كورفالان) يبين مدى المسيرة الشاقة التي قطعها الحزب الشيوعي التشيلي ، وتظهر بوضوح مدى المعاناة التي عاشها الشيوعيون التشيليون ، كمدافعين بأمانة عن بلادهم ، وشعبهم .وكورفالان كواحد منهم ، بينّ دون مكابرة وبلا تبجح الاصرار المبدئي على مواصلة المسيرة ، بنكران ذات تفوق المعاناة ، والوقوف بصلابة ضد المفاهيم الاصلاحية والصمود الصلب امام القمع الديكتاتوري وحملات الاعتقال المتلاحقة ، كل هذه الاشياء مجتمعة لا بد وان تؤكد حتمية النصر الذى لن يكون الا حليفا لمسيرة الشعوب المناضلة من أجل حريتها والعيش بامان دون استغلال .

تحية للفنان خالد حجازى
وأصدقاء الكاتب في مدينة لايبزيغ

وصلتنا رسالتكم .متضمنة رسومات الفنان خالد حجازى، نشكركم ،ونأمل ان تظل عند حسن ظنكم ، كما ونبعث اليكم بتحياتنا الحارة وشكرنا الجزيل ،ونأمل ان نستمر في نشر بقية رسومات الفنان حجازى شاكرين تعاونكم .

Digitized by Birzeit University Library

الانحلال الخلقي والاستغلال الطبقي في المغرب

" لقد شن البورجواريون التجار، منذ عشر سنوات هجوما شرسا على تقاليد الشعب المغربي النضالية وعلى كرامته وشرفه وأصبحت ظاهرة البغاء المنتشرة في كل ركن أداة لجمع الثروة وتكديس الاموال على حساب أجساد الارامل والمطلقات واليتيمات والعاطلات عن العمل والمغرر بهن . واستعمل تجار الدعارة والمتحايلون جميع الاساليب الدنيئة لارضاء زبائنهم القادمين خاصة من البلدان النفطية والمصابين بكبت جنسي مزمن بلغ درجة المرض العصابـــــي ..

Digitized by Birzeit University Library

وهذه المقالة المختصرة التي تتعرض لظاهرة البغاء في مدينة الدار البيضاء انما تهدف الى القاء بعض الضوء على جانب من الحياة المأساوية التي تتخبط فيها نساء الطبقة الكادحة ..

لم يعرف التاريخ الاجتماعي للشعب المغربي تدهورا اقتصاديا، حتى في سنوات القحط والمجاعة، دفع بمآت النساء الى بيع أجسادهن بأبخس ثمن كما هو الحال اليوم.

لقد أدت السياسة اللاشعبية التي يمارسها التحالف الطبقي الحاكم منذ ما يزيد من ربع قرن الى فشل ذريع في الميادين الصناعية والفلاحية والتعليمية، والى أزدياد عدد العاطلين عن العمل واستفحال الهجرة من البوادي الى المدن بسبب افلاس الفلاحين الصغار واستحواذ الرأسمالية الزراعية على أخصب الاراضي ..

وكان لا بد من ايجاد مخرج للتخفيف من حدة المشاكل المطروحة ومنع أي انفجار شعبي محتمل. وظهرت امكانية تهجير الرجال الى بعض بلدان الخليج خصوصا بعد ان تقلصت حدود تصدير العمال الى أوربا.

وفي نفس الوقت التفكير في الحصول على العملات الاجنبية عن طريق تنشيط السياحة. ولا يعني مفهوم السياحة هنا التعريف بجمال البلاد الطبيعي كالشواطئ العريضة الدافئة وجبال الاطلسي الشاهقة. والاثار المعمارية الشامخة وكل جوانب الفن والابداع التي انجزها عبر القرون نشاط الانسان المغربي. بل كان الهدف هو البيع والشراء بشكل مباشر وغير مباشر في ذلك الاحتياطي الفخم من النساء والعاطلات عن العمل والتي قدرتهن احصائيات سنة ١٩٧١ بحوالي ثلاث ملايين امرأة. وكان الامر واضحا عندما توجهت انظار اصحاب المشاريع السياحية الى بلدان الخليج تلك البلدان المعروفة بضآلة عدد سكانها والتي تسيطر فيها تقاليد عشائرية محافظة مما يجعل بعض أثريائها يعانون من كبت جنسي بلغ مرحلة المرض العصابي. وهذا ما أكدته حادثتان وقعتا في فندقين بالرباط والدار البيضاء حيث عض الفاعلان الخليجيان امرأتين نقلتا الى المستشفى في حالة خطيرة".

" ومنذ عام ١٩٧٥ بدأت بعض المدن كالدار البيضاء والرباط وطنجة تشهد تدفقا للزائرين القادمين من البلدان النفطية. وبقدر ما كان عددهم يرتفع من سنة الى أخرى بقدر ما كانت أخبار فضائحهم الاخلاقية تنتشر من مكان الى آخر. وأصبح المواطن المغربي العادي يرى في حاملي السبحة الوافدين من المشرق نسخا طبق الاصل للراهب الروسي الفاجر راسبوتين ..

انه لمن الثابت بالارقام ان سياسة التفقير المنهجي للعاملات والعمال، والحرمان المادي والظلم الاجتماعي هي عوامل اساسية دفعت بالاف النساء مكرهات الى بيع اجسادهن مقابل ثمن الرغيف ..

فالاحصائيات الرسمية لسنة ١٩٧١، وهي لا تعبر بصدق عن الواقع الحقيقي، تؤكد ان عدد المطلقات والمهجورات بلغ مائة وسبعين ألف امرأة في حين ان عدد الارامل تجاوز مليون ارملة. ومن جهة اخرى تشر البنك الدولي، وهو حليف طبيعي للتحالف الطبقي الحاكم بالمغرب، احصائية سنة ١٩٨٠، تشير الى أن أكثر من سبعة ملايين من النساء والرجال في المغرب يعيشون دون درجة الفقر.

Digitized by Birzeit University Library

وان هذه الارقام وحدها لشديدة الدلالة على وضع عائلات الطبقات الكادحة المزرى، وتدحض تلك الاكاذيب والادعاءات البورجوازية التي تحاول أن تفصل البغاء عن اسبابه وجذوره الاقتصادية .

وجاء في احصائية ١٩٧١ ، أن عدد الخادمات في المنازل يتجاوز مائة ألف امرأة تقل اعمارهن عن خمسة وعشرين سنة ولا يتقاضين سوى أجور رمزية لاتكفي لسد الحاجيات الضرورية ، بينما تتقاضى العاملات في الفنادق المتوسطة والصغيرة أجورا لا تتجاوز مائتي درهم في الشهر وهو مبلغ يمثل ثلث الاجرة المقررة حسب قوانين الشغل .

وتستهدف الفتيات العاملات في المخابز ومتاجر الالبسة الجاهزة ، والمبتدئات في الصيدليات والمحلات التجارية بشكل عام الى استغلال وحشي لا يوصف . وتضطر كثيرات من هاته الفتيات الى تلبية أي اقتراح يمكنهن من اتمام ثمن الايجار؟ او لتأدية ديون البقال وهكذا فان الانحلال الخلقي المتفشي في المجتمع ناتج عن الاستغلال الطبقي والظلم الاجتماعي اللامحدود . وليس هناك من نساء الشعب من تبحث او ترغب في الدعارة من أجل الدعارة وحتى نوضح هذه النقطة سنجعل من الدار البيضاء عينة لابراز شقاء وعذاب المؤسسات من بنات الكادحين .

فابتداء من السادسة مساء تقف صفوف من النساء على باب مراكش وبالضبط في مدخل الكلاخ ، بعضهن في سن المراهقة ، تبدو عليهن علامات سوء التغذية رغم المساحيق التي تغطي وجوههن وأغلبهن يستسلمن لاول قادم بخمسة دراهم فقط في حين تتقاضى صاحبة البيت ثلاثة دراهم ثمنا للفراش .

وتجتمع نساء اخريات في فنادق حقيرة موجودة في دروب مجاورة لزنقة الكومندان بروفوست (وهو ضابط استعماري سقط في نفس الزنقة قتيلا سنة ١٩٠٧) وهؤلاء النساء يعملن" ابتداء من الثانية عشرة ظهرا الى غاية الواحدة ليلا . ويطلبن كمقابل ما بين عشرة وعشرين درهما حسب "سخاء الزبون ويتقاضى "المشغل" صاحب الفندق نصف الدخل اليومي . وفي نفس الظروف اللاانسانية تعيش عشرات النساء في الفنادق والدور المتواضعة في مختلف الاحياء الشعبية .

وتلتقي نساء الدرجة المتوسطة ، حسب تصنيف تجار الاغراض ، في تلك التوادي الليلية والحانات القريبة من الميناء وفي بعض مراقص عين الذئاب . وينحدر أغلبهن من أصول بدوية لكنهن يرتدين لباسا عصريا تختفي وراءه الامية والتخلف المرعب والفكر المتحجر في الأوهام والنفاق .

ويخضع عدد منهن لحماية "الوسطاء" بينما يعمل عدد آخر منهن بشكل مستقل غير أن التي تتوفر على نسبة من الجمال لا بد وان تبحث عن من "يحميها" من الاستفزاز والمطاردة وأحيانا الاعتداء . وتدفع له مقابل ذلك قدرا معينا من "دخلها" اليومي . وهذه الفئة من الباغيات يقمن باصطياد عرب البلدان النفطية والبحارة والاجانب وبعض المسافرين القادمين عن طريق البحر . ولم يعد مستغربا وقوف الفتيات على الرصيف في انتظار نزول زبائن محتملين من الباخرة القادمة من بعيد ، وفي الميناء يتواجد ايضا عدد من "الوسطاء" وأغلبهم شباب مطرودون من المدارس ويتكلمون بعض اللغات الاجنبية مما يؤهلهم للقيام ، بمهمة "ارشاد" الزبائن الاجانب الى أماكن الدعارة ..

من الملفت للانتباه ان نشرة يومية تهتم بنشاط حركة الميناء تصدر بالبيضاء تكاد تكون مفقودة لدى باعة الصحف ، فان الوسطاء

Digitized by Birzeit University Library

والمؤسسات بتخاطفونها لمعرفة تواريخ وصول بواخر بلدان معينة. هذه باختصار بعض النماذج للبغايا ضحايا الفقر الاقتصادي الذي يمارسة أولئك الذين يرمون بالاف العاملات والعمال الى البطالة والتشرد ويطردون الفتيات والشباب من المدارس ، ويرغمون الامهات والبنات ، تحت ضغط الجوع ، على بيع كرامتهن في أسواق الدعارة. ويحولون مئات الشباب الى "وسطاء" في عالم البغاء والمخدرات والاجرام. ولن نتطرق هنا الى قمة التفسخ الاخلاقي التي تتجلى في انحراف الجنس المذكور الذي أصبحت بعض النوادي الليلية متخصصة فيـــــه..

وأخيرا ، وليس آخرا ، هناك دعـــارة "اللوكس" التي تدور في عدد من الفيلات والشقق المفروشة. فبعض التجار البورجوازيين يقومون بتجهيز الفيلات او الشقق ويجعلونها رهن "الوسطاء" مقابل أداء أجر خيالي قد يتجاوز أحيانا ثلاثة ملايين من السنتيمات في الشهر. بينما يقوم آخرون باستغلال الفيلات والشقق بأنفسهم ، اذ يختارون الفتيات بواسطة مختصين ومختصات ، ويكون الشرط الاساسي في الانتقاء هو الكمال الجمالي ، وأغلب هذه العاهرات يأتين من صفوف الموظفات والطالبات ومن بعض العائلات المتوسطة التي تقلد نمط العيش الارستقراطي وتطمع في الصعود الى الرفاهية بسرعة ، وهناك جماعة من العملاء يستقطبون الزبائن ليس فقط من بين القادمين من بلدان الخليج بل كذلك من بعض الاوروبيين من رجال الاعمال والباحثين عن اللذة من الاثرياء المغاربة ، ويتم الاستقطاب عن طريق شركات لها اتصالات خارج المغرب وعملاء يشتغلون في الفنادق الكبرى أو بواسطة متفرغين لهذا النوع من العمل في المطارات وانـــي .

وفي هذا الجو العام تقوم أطراف أخرى من البورجوازية التجارية بالاستفادة من الاتجار في الاعراض على طريقتها الخاصة. اذ تستعمل جميع وسائل الدعاية لبضائعها المستوردة وغير المستوردة ، من أدوات التجميل والاستهلاك ، والاغراء وبعرس روح التملك في نفوس الافراد والتنافس على اقتناء الكماليات وتجرهم الى التفسخ الاخلاقي والفكري بحثا عن المال والثروة".

"صحيح ان الطبقات المسيطرة على اقتصاد البلاد استطاعت الى حد ما ان تفرض أخلاقها حتى تخدم مصالحها على قطاع واسع من الجماهير الجاهلة الهائمة وغير المسيسة ، لكنها لم تتمكن من اسكات صوت الطليعة الواعية من الشعب التي ما فتئت ترفض الاستسلام والخنوع ، وتتحدى جميع الصعوبات وتواصل الكفاح في كل الواجهات السياسية والنقابية والطلابية. وكنتيجة لهذا الصمود النضالي شهدت الساحة في السنوات الاخيرة قيام مبادرات عفوية لمواطنين وقفوا بشكل أو بآخر ضد المساس بكرامة وشرف وتقاليد الشعب المغربي النضالية العريقـــة.

وهكذا في سنة ١٩٧٩ قامت جماعة من المواطنين بمدينة فاس بارسال عريضة الى المسؤولين يطالبون فيها بمنع سواح الفجور من دخول المدينة التي يعتبرونها مقدسة. وفي نفس السنة تدخل عدد من المارة بمدينة مراكش للدفاع عن مواطن كان برفقة زوجته وأصابت ثلاثة من سواح الخليج بجراح مختلفة وفي عام ١٩٨٠ أحرق الجمهور الغاضـب بمدينة القنيطرة سيارة بعد ان لاذ بالفرار اصحابها الخليجيـــون.

وشهد شهر اكتوبر من سنة ١٩٨١ قمـة العنف الدرامي من أجل الشرف المداس ، فقد دخل شاب مغربي فيلا بعين الذئاب بالدار

Digitized by Birzeit University Library

البيضاء حاملا في يده بندقية صيد مليئة بالرصاص الخاص بصيد الخنازير وقتل سعوديين وجرح ثلاثة آخرين. وقضى على الوسيط المغربي، وذبح خطيبته المغرر بها. وأصاب شرطيين بجراح قبل ان يسقط صريع الكرامة.

وفي نفس السنة وجد أحد سواح الفجور مقتولا في داخل فيلا بشارع ٢ مارس بالبيضاء. وفي شهر حزيران ١٩٨٢ قام طالب مغربي بتحويل اتجاه طائرة مغربية نحو تونس وكان بطالب بمنع هجرة الفاجرين من البلدان النفطية الى المغرب. وفي شهر مايو ١٩٨٢، أقدم عامل مغربي بالمدينة القديمة بالدار البيضاء على ذبح اخته وزوجته بعد ان ثبت لديه علاقتهما بالفاجرين أصحاب البترودولار والقائمة طويلة رغم سكوت بعض الجهات التي لا تريد الاساءة الى سمعة السياحة.

لقد اوردنا هذه الامثلة من جملة أحداث دامية مؤلمة ذات صبغة فردية لانها تعبر عن رفض الانسان المغربي لاسلوب "التعبير" والانجار في الشرف الذى تمارسة الطبقات الاستغلالية.

"ان تجربة البلدان الاشتراكية أكدت من خلال الواقع الملموس ان الحل الوحيد والحاسم للقضاء على البغاء لا بد ان يمر بالقضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وجعلها ملكية عامة للشعب بأسره.

فلقد كانت روسيا القيصرية مضرب الامثال في التفسخ الاخلاقي، وكان الاقطاعيون الكولاك يمنحون لانفسهم حق الليلة الاولى في التمتع وفض بكارة زوجات الفلاحين، وكانت المومسات بمدينة (بطرسبرغ) لينينغراد حاليا، يحصون بالالاف وكانت أول انجازات ثورة اكتوبر الاشتراكية هي استعادة المرأة لكرامتها وتحررها من الفاقة والحرمان، واليوم وباعتراف أعداء الاشتراكية لا توجد اسرة في الاتحاد السوفياتي مضطرة لكراء جسدها من أجل العيش.

وكانت مدينة شنغهاى في الصين قبل الثورة أكبر مركز منظم في اسيا لكل فنون الشبق الجنسي، يحج اليها الرأسماليون من اوروبا وأمريكا على متن طائرات خاصة في نهاية كل اسبوع، وبعد انتصار الثورة الاشتراكية في الصين الشعبية تحولت مواخير واندية الدعارة الى أندية للثقافة والتربية والعلوم في خدمة جماهير العمال والفلاحين.

وقبل سنوات قليلة كان الامبرياليون الامريكان وعملائهم يجعلون من سايغون (هوشي منه حاليا) مدينة للفجور خاصة بجيشهم الغازي..

ولما انتصرت ثورة الشعب الفيتنامي، وجدت السلطة الاشتراكية أمامها اكثر من مائة ألف عاهرة بمدينة سايغون وحدها. هذا بالاضافة الى عشرات الالاف من المتاجرين في المخدرات واللصوص وغيرهم من مخلفات العهد الاستعماري. وفي ظروف ست سنوات فقط استطاعت الاف المومسات بفضل مساعدة النظام الاشتراكي الاندماج في الحياة الطبيعية للمجتمع الجديد وينزوجن من عمال وفلاحين طيبين، ووجدن تلك الراحة النفسية والجسدية التي ينعمن بها الجنود الامريكيين ودولاراتهم.

ان تطهير المجتمع المغربي من كل الفضائح الاخلاقية بما فيها الانجار في الاعراض، والرشوة وسرقة أموال الشعب والحكم الباطل، لا بد أن يكون من عمل جميع الناس الشرفاء وفي طليعتهم التقدميون والثوريون وذلك بالتفافهم في جبهة شعبية عريضة موحدة من أجل تحطيم السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية للبرجوازية الفاجرة".

مجلة "أنوال" المغربية ٢٣ ديسمبر ١٩٨٢

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

تأبى أن تغادر

بقلم الأديب
محمد حمدان القاق
سجن نفحة الصحراوي

اهب من نومي فزعا على اصوات الاقفال "وطراط "الحارس ،لا تزال الاصوات تضج في اذني وانا اسرع في اعادة الرباط الى عيني مستعينا باحدى ركبتي ،ها هي الاقفال تتحرك ـ يفتح الحارس الباب ،يغطيه بجسمه الفارع ،تتسرب نسمه منعشة تحاصرها رطوبة دائمة وتستثير عفونة تأبى ان تغـــادر ..

يلقي اليّ الحارس بنظرته المتعالية ،يخرج من طرف فمه نبرة نزقة يلحقها بركله من قدمه :

ـ هـــــه :

احاول القيام ،فالقى صعوبة ،ارتكز على احدى يدىّ المكبلتين من الخلف ،يختـــل توازني ،فأنكب على وجهي ،يلحقني الحارس برفسه من قدمه ،انقلب على جبيني اواصل محاولة القيام ثانية تفاديا لضربات اخرى ،اكرر المحاولة مرة بعد اخرى وهكذا دواليك الى ان تفقد اللعبة رونقهـــا ..

يقودني الحارس الى غرفة التحقيق ،قدماى مثقلتان بسلاسل يتناغم صليلها مع خطواتي يحلو للحارس ان يضع قدمه فوق السلاسل عندما اهم بأن اخطو . اهوى بجسمي ، اصفع صفحة الممر بكامل وجهي ،تصدر عن الحارس قهقهه منتصرة ..

Digitized by Birzeit University Library

اصحو على رشقه باردة ودفقه من الماء يسكبها احدهم على وجهي ،اتلفت حواليّ ، اجد نفسي في غرفة التحقيق ملقى على الارض. انقل ناظرى بين الوجوه التي تطل عليّ من عل أرى من بينها وجه المحقق الذى يعيد الى ذاكرتي تفاصيل تكاد تعيدني الى حالة الاغماء ثانية ، ويتقدم الحارس استجابه لاشارة من المحقق ،يجرني ،ويلقي بي فوق كرسي خشبي.

يجلس المحقق قبالتي فيما يبقى الاخرون وقوفا ،يرسل اليّ نظرة نفاذة أتظاهر بالنظر حوالي وكأن الامر لا يعنيني :

ـ حسنا .. يقول المحقق ثم يضيف :ـ

ـ لنتعامل مع تظاهرك بالبراءة على انه براءة ساذجة او سذاجة بريئة لا فرق ما دمنا سنتوصل في نهاية المطاف الى الحقائق التي نريد ، لقد ماطلت طويلا وراوغت كثيرا واكتفينا من الشدة حتى الان بما تمكنت من احتماله لكن ذلك لا يعني عجزا من جانبنا وان لدينا من الاساليب ما يجبرك على الاستجابة مهما ابديت من صلابة او عناد. ان دولة اسرائيل تقوم على دعائم ديموقراطية ونحن لا نرضى ان تشوه ديموقراطيتنا باجراءات تناقضها ولكن ما حيلتنا وأنت وأمثالك تحاولون نسف هذه الديمقراطية باعمالكم "التخريبية" ؟! الا يعطينا ذلك حقا ان نقسوا عليكم حفاظا عليها ؟! . نحن لم نتجاوز المألوف في قسوتنا ، بل ابدينا من المرونة ما يكفي ،ولم يبق الا ان نعتمد اسلوبا جديدا لن تكون قادرا على احتماله اذا بقيت مصرا على ما انت عليه . فكر جيدا قبل ان نبدأ جولتنا ،ستكون الخاسر الوحيد فيما لو خرجنا من هذه الجولة دون اتفاق ،انها فرصتك الاخيرة !! فماذا تقول ؟!.

ماذا يريدون بعد ؟! لقد انكرت جميع التهم على الرغم من مواجهة الشهود .عذبوني بالكهرباء صلبوني وانا عار تحت المطر ، اطلقوا عليّ كلابهم ، وبقيت على موقفي لا احيد ، قد يبالغون في تصور هم لمدى صعوبة موقفي ،وقد لا يلامون في تصورهم ،فأنا لم اكن ادرى ان لدىّ كل هذه القدرة على الاحتمال .كثيرا ما ساءلت نفسي . هل انا حقا من يحتمل كل هذا العذاب ؟!". اكاد اظن ان شخصا ما سواى هو الذى مكاني ،لقد واجهت من اساليب التعذيب الشيء الكثير وكنت اشعر في لحظات معينة انني على وشك أن افقد قدرتي على الاحتمال ،فانا ابقى مجرد انسان يضعف ويتألم وماذا لو اعادوا الكرة ؟! هل يعني صمودى حتى الان ضمانا لاستمرار هذا الصمود وبغير حدود ؟! وماذا لو نفذ المحقق وعيده وواجهني باساليب من التعذيب كانت اقسى مما واجهت ؟! وماذا لو اصابني الوهن فاعترفت ؟!

لقد كان مرد صمودى يعود الى ثقتي الشديدة بنفسي ،هذه الثقة التي قد يحطمها أى نوع من الضعف ابدية ،فكيف لي وانا اعترف ؟! . انني سأصبح انسانا غير الذى كنته ،بل سأكون في شك من قدرتي على الاحتفاظ بانسانيتي لو فعلت ،كنت اطمح في انجاز الكثير من أجل قضيتي ووطني ، وانا لا اشعر انني انجزت شيئا ذا بال مما كنت انشده بعد ،فكيف بي وانا اتوّج هذا التقصير بجريمة الاعتراف ،واهدم ما بناه سواى؟! كنت على استعداد ان ابذل حياتي وجهدى وكل ما املك في سبيل قضية التزمت بها ،فهل كان ما ابديت من استعداد مجرد تزييف للذات وخداع للاخرين ؟! . ان القضية تعني حياتي وحياة اقربائي واصدقائي وابناء شعبي . فهل اضحي بكل هؤلاء من أجل نفسي؟! لانها حياتي تصبح اغلى من كل شيء ؟! لم اعهد نفسي على هذا النحو اتانيا فحب الذات ينبغي ان تكون له في النفس

Digitized by Birzeit University Library

حدود والا اصبح خطرا ومدمرا هذا ما كنت اسمع به وارددده على مسمع من الاخرين وكلي ايمان بصدق ما اقول ـ آلم يحن الوقت بعد لكي افهم ابعاد نفسي ؟! ومبادئي تلك هل اضحي بها ؟! وهؤلاء الذين اتمسك بمبادئي من اجلهم ، هل اضحي بهم خشية على حياتي التي قد لا افقدها في حالة اصراري على الانكار؟! وماذا تعني حياتي بعد اعترافي ؟ بأي وجه اواجه من سمعوا مني القسم ؟! وكيف اهنأ بحرية تكون على حساب الكثيرين ممن سيفقدهم اعترافي الى ان يفقدوها ؟! .

اتوقف عن مواصلة التفكير واعود الى واقعي خروجا عن دائرة الذات عندما يصفعني المحقق بقوة تكاد تقلبني مع الكرسي على الارض .

ـ " ماذا تحسب نفسك عندما اخاطبك فلا تجيب ؟! في أي مستنقع كنت تغوص ؟!".

يتوقف هنيهه وكأنه يقلب فكره ما في رأسه ثم يواصل :ـ

ـ والان ،هل عاد اليك وعيك ؟! اننا لن نكتفي بوعيك العادي هذه المرة بل نحن بحاجة الى حضورك الذهني ايضا،لان المشكلة التي تواجهنا تجعلنا نحن وانت بحاجة الى هذا الحضور. لقد انكرت حتى الان كل الحقائق التي واجهناك بها ، وكذبت جميع الشهود لكننا سنواجهك هذه المرة بوجه جميل سيمنعك الذوق ان كان لديك بعض منه .ولن يطاوعك قلبك اذا كان لك بعد قلب ، ان تواجه هذا الوجه بتكذيب لا يليق بـــــه ..

وانظر الى المحقق نظرة هادئه في حين اكون في الاعماق اغلي ، ماذا يعني هذا اللعين ؟! أية خدعة تلك التي يبيتها لي ؟! قد يفاجئني بما لم يكن في الحسبان وعندها من يدري؟ عليّ ان احتفظ بحضوري الذهني كما يقول ، ولكن ليس لنفس السبب الذي يعنيه بل لمواجهة اي طارئ قد يفاجئني ، لقد آذاني هذا اللئيم عبر جولات كثيرة من التحقيق لكنه لم ينجح في تحطيم ارادتي ،على ان احتفاظي بموقفي ليس ضمانا يمكنني من الابقاء على نفس المواقع في المستقبل واذا كان الصراع بيننا لا ينتهي فان خير وسيلة للدفاع هي الهجوم هكذا قيل وانا على غير يقين فيما اذا كنت قد قرأت ذلك او سمعت به ولكن ماذا عساي املك من ادوات الصراع في مواجهة المحقق غير الصمود ؟! لقد عرفت بالمران ان صمتي وعدم اكتراثي كفيلان باثارة المحقق ،ها هو يهاجم وهو يأمل ان يكسب من خلال هجومه جوله نفسية لحسابه ،عليّ ان اهاجم بدوري وهذه فرصتي في ان اثيره وادفعه الى ان يقول ما يرغب في قولـــــه ..

انظر مباشرة في عيني المحقق ،اواصل تحديقي، لا يروق للمحقق تصرفي اتمادى في التحدي ،يشيح بوجهه متجنبا نظرتي ،يعاود النظر اليّ ارسم ابتسامة ساخرة على وجهي، تتملك المحقق لبضع ثوان رجفه لم يستطع كبحها يداري رجفته بضحكة عالية ، اعصابه المستثارة لا تمنحه فرصه كهذه ،يتوقف عن الضحك ،تبدو الارتجافة جلية في نهاية صوته يجد نفسه مجبرا على تليين موقفه ،يتظاهر من خلال مرونة مصطنعه انه لا يزال سيد الموقف

ـ " انت لا تثق بنا ،وهذا من حقك ، لكن هناك حقائق تفرض نفسها ولا بد من الالتفات اليها ما دمنا نتعامل مع حقائق موضوعية كما يحلو لك ان تسميها ..

يتحدث المحقق : برتابة بعد ان يستعيد السيطرة على اعصابه ، يستطرد موحيا بأنه يواصل الحديث على نفس السياق :

Digitized by Birzeit University Library

– " خطيبتك وفاء مثلا " يصمت قليلا ثم يحدق مباشرة في عيني .
أكاد من وقع المفاجأة ان افقد اتزاني للحظة ،ما شأن هؤلاء بوفاء ، .
" هذا ما عناه بالوجه الجميل اذا "
– أراك لا تجيب ، كأنك غير مكترث ؟
– لم توجه اليّ سؤالا حتى اجيب ..
– " وخطيبتك وفاء ؟!
– " وماذا بشأن وفاء ؟!
– " الا يهمك امرهـــا .
– بل يهمني وماذا في ذلك ؟!
– اذا كان يهمك امرها فلعله يهمك ايضا معرفة كونها هنا في الغرفة المجاورة.
وفاء هنا ؟! في الغرفة المجاورة ؟! هكذا اتساءل بهدوء ساخر ثم اضيف .
– لست ملزما بأن اصدق قولا كهذا .
– حسنا سأجعلك ترى بأم عينك ، ثم مشيرا الى الحارس :
– " خذه الى الغرفة المجاورة، اره من هناك ثم اعده ثانية دون ان تتيح له فرصة ان ينبس ببنت شفه .

يتقدم الحارس ويخرج من جيبه منديلا يكمم به فمي، يلتفت المحقق الى الحارس .
– ماذا تفعل ؟! ما هكذا طلبت اليك .
– لا بل طلبت يا سيدي، فأنت اذ تطلب ان لا ينبس ببنت شفه وهو يرى خطيبته في موضع معين ، فأنت تطلب المستحيل اذا لم نحتط باجراء كهذا .
– اللعنة عليك يبدو احيانا انك قادر على ان تفهم .

في الغرفة المجاورة يمسك بي الحارس،فيمنعني من التقدم ،انظر امامي ،ارى وفاء ملقاه على الارض، مكبلة اليدين والقدمين ،مكممة الفم كما هو حالي تماما ، تلتفت الي ، انظر في عينيها ،ذاك البريق الاخاذ . هو نفسه ،نفس الذكاء ،كأني بها ،تقول من خلال عينيها شيئا بل اشياء ،اقرأ الاعتزاز في عينيها ، وأرى فيهما الترقب ،الاعتزاز في عينيها أمر مألوف لدى، فالعزة كل العزة في هذا البريق الذي تشعه ابدا عيناها،لكن هذا الترقب ما الذي تريد ان تقوله من خلاله ؟!

اعيد الكرة،احدق في عينيها علني اقرأ فيهما شيئا جديدا،تفهم وفاء نظراتي ،تضيق حدقتاها وكأنها ترسل الى عيني اشارة لاسلكية ، في عينيها ارادة طالما عرفتها بها لكنني ما عرفتها قبل الان بهذه الجدة، وكأنها خشيت ان لا اكون قد فهمت نظرتها فراحت تقاوم محاولة فك القيد من يديها ، لكن القيد الحديدي راح يحبطها ، تحرك رأسها في محاولة لازالة العصابة عن فمها فلا يحالفها النجاح. تنظر اليّ نظرة فيها نداء هز كياني ، اندفع اليها اكاد انكفئ على وجهي عندما يمسك بي الحارس فيحول دون تقدمي ، تبتسم عيناها ، يشع منهما بريق الامل ،احدق في عينيها مجددا ارى فيهما قولا افهمه بوضوح انها تقول " لا بأس يا عزيزي فنحن على العهد ابدا باقون، لك عليّ ان ابقى وفاء التي عرفتها فبقيت على الصفات التي من أجلها احببتها" ينتزعني الحارس من خضم هذا الحوار الصامت واذ يعيدني الى غرفة التحقيق ، يفك المنديل عن فمي، يلقي اليّ المحقق نظرة

Digitized by Birzeit University Library

شامته ،سمات التشفي بادية على وجهه بوضوح يواصل التحديق في وجهي والابتسامة الساخرة تتراقص على شفتيـــــه :

ـ " وماذا بعد؟! لعلك اقتنعت الان ان شكك المطلق بكل ما نقول ليس له ما يبرره: كيف وجدت وفاء ؟! ماذا تقول في امرها الان ؟! يلقي المحقق بالاسئلة تباعا غير منتظر الاجابة على أي سؤال . وانا بدوري لا اكون قادرا على مجاراته ،حيث اكون بكل كياني مع وفاء وتعود بي الذاكرة الى اليوم الذي وضعت فيه قدمي على طريق الالف ميل الوطنية ، فوفاء التي لم تكن صلتي بها تتعدى اعجابا من جانبي وموقفا لا استطيع تحديد معالمه من جانبها كانت رغبتي في الاقتراب منها شديدة ،لكن شيئا ما فيها كان يخيفني ،كانت واضحه الى اقصى درجات الوضوح ،صريحه الى اقصى درجات الصراحة وما كنت انشده ،علاقة خاصة صداقة ،هادئه ،دافئه ،لا تحتمل الصخب ولا تريحها الاضواء ،وهي كما اراها لا تمنح احدا خصوصية كهذه اذ لو فعلت لما كان بمقدورها ان تحتفظ بصداقة هؤلاء جميعا وتقودنـــــي الظروف الى فهم جديد .اتعلم من خلاله درسا لا ينسى عرفت ان الحكم على الظواهر من خلال اشكالها الخارجية دون فهم محتواها لا يقود الى الحقيقة بقدر ما يكون بعيدا عن الصواب فوفاء واضحة وصريحة لكنها في وضوحها غير مبتذله ، وفي صراحتها غير وقحه ،اما اصدقاؤها الكثيرون ،فقد استطاعت ان تحتفظ بهم عندما نجحت في ان تجمع بوعي بين طبيعتها كأنثى وشخصيتها كانسان اجتماعي ،تنسج العلاقات دونما عائق من سخافة او تعقيد وحاولت ان اجد لنفسي مكانة خاصة لديها ، لكني خرجت من التجربة بغير جواب صريح ، هي لم تعتمد الاغراء او الصد ، لكنها كانت تبقى على بصيص من امل لا يخبو ابدا وعندما وجدت طريقي الى العمل الوطني بقيت وحدها من بين اهتماماتي القديمة التي لم تضع في بحر مهماتي الجديدة،ثم لم تلبث ان جمعتني الظروف بها ، ولاحظت ان اهتمامها قد زاد بي على غير عادتها ورأيت ان اعرض عليها فكرة الخطوبة فوافقت دون تردد وسعدت كثيرا بهذه الموافقة . ولم تكن سعادتي بعيدة عن رغبتي ان اضمها الى كادر العمل الوطني الذي راح يأخذ مني كل وقتي وجهدي وقد شعرت انها بهذه الشخصية وتلك الكفاءات لن يكون دورها غير هام ، ستكون عونا لي في جهودي وليس عبئا عليها ،ولم اكن راغبا في ان اقطف الثمرة قبل ان تنضج بل كنت انتظر الفرصة المناسبة التي اتمكن فيها من ان اخاطبها .لكن الفرصة لم تسنح .اماالان وقد اصبحت رهن الاعتقال فاني أتساءل لماذا هي معتقلة ايضا ؟! لعلهم يريدون التأثير عليها لمعرفة فيما اذا كانت تعرف عن الموضوع شيئا .لعلهـــــم يستهدفون الضغط عليّ بها وقد فشل اسلوبهم في الضغط المباشر ؟! انها اسئلة اتحرق شوقا لمعرفة الاجابة عليها ومثل هذه الاجابة لن يقدر عليها احد غير المحقق . او ان تأتي بها الاحداث عبر الزمن ،وامام هذه الحيرة ينبغي ان لا يبدو القلق على وجهي ، فاذا للنفاذ من خلاله ، لم يبق الا التسلح بعدم الاكتراث اذا".

رحت احدق في وجه المحقق وكأنني لا اراه ، لقد امل في ان يأخذ بزمام الامر كنتويج لهذه المفاجآت التي قذف بها في وجهي،اما وانا اقابله بهذه النظرة غير المبالية بل والمستهينة به ايضا ،فقد جن جنونه واخذ يضرب على المنضدة بكلتا يديه والكلمات يستلها من

Digitized by Birzeit University Library

فيه جزافا ـ عربي انت وتقولها بملئ فيك؟! خطيبتك تدير شبكة "تخريبية" وتكون انت واحدا من عناصرها وتدعي ان كرامتك لا تزال ملك يديك؟! وماذا تعني ان تراس خطيبتك شبكة كهذه وهي على هذه الدرجة من الجاذبية والجمال، انها لن تسيطر على هذا الحشد من الرجال بغير التعامل مع بضائعها الرائجة، بضاعة الجمال . انت في هذا المكان لانهم طعنوك مرتين مرة بالاعتراف عليك ومرة بتلويث شرفك المجسد بوفاء في التراب . ابعد كل هذا تواصل الاصرار على ما انت عليه من عناد؟! من اجل ماذا ومن أجل من ؟! الكي يقال عنك بطل ؟! ام لكي تكبر في عيني ذات العفة والصون ؟! مسكين انت، وانا والله اشفق عليك على الرغم من طابع العداء الذي بيننا فانا اولا وقبل كل شيء انسان، لقد اكبرت فيك صمودك ويعز عليّ ان يقابل الصمود بجحود من تثق بهم ..

اننا لا ننشد منك اعترافا لئلا تعتقد اننا نستهدف الايقاع بك وادانتك من خلال هذا الاعتراف لكننا نطمح في ان تساعدنا في كشف معلومات يمنع من خلالها ان تسفك دماء بريئة ولكي يحول دون ان يزج بالشباب امثالك في غياهب السجون، ساعدنا وتكون بذلك قد ساعدت نفسك وانتقمت لشرفك المطعون ومنعت سفك دماء بريئة لا يرضى صاحب ضمير ان تسفك .

وانظر الى المحقق وقد استغرب لنفسي صمت ابي الهول وصموده وحاولت استثارته لكي يقول شيئا ونجحت المحاولة، اذ قال اكثر مما ينبغي . لقد ظن انه اصاب مني مقتلا، غير عالم بمدى الثقة التي اوليها لوفاء، حقيقة اني كنت اجهل ان وفاء منتظمة ضمن الاطار الوطني الذي اعمل من خلاله وكنت اجهل ايضا ان يكون مجال عملها ضمن الخلايا المسؤولة التي اتبع لها ، لكن ذلك لا يغير من الامر شيئا، فان تخفي وفاء شيء كهذا امر تقتضيه الضرورات الامنية التي لا علاقة لها بمفهوم الشرف الذي راق للمحقق ان يعزف على اوتاره لقد كانت وفاء حريصة على مراقبة الذات وهذا ما يفسر اندفاعها نحوي حينا وتجنبها لي حينا آخر ، ولما كانت على هذا النحو من التوجه فلم يكن معقولا ان ترتبط بي وانا بعيد عن هذا المجال . انني لا اشك الان في انها هي التي وقفت الي بمن يسير غوري من جانبي ، فقد كنت احترق شوقا لكي انتظم ضمن هذا النسيج وعندما كان لي ذلك لم يعد امامها من عائق يحول دون اقترابها مني وارتباطها بي. وقد كان بيننا ما كان وكما هي عادتها فقد كانت تضع لكل شيء حدودا لا تتعداها . لقد عرفت الان انها كانت على اطلاع كامل على مجمل نشاطاتي لكنها بقيت حريصة على ان تخفي عني تحركاتها لانها لا تدخل في دائرة اختصاصي ..

واذ وصلت الى هذا المدى من تصوراتي كنت بذلك جد سعيد ولم استطع كبح جماح نفسي عندما انفجرت ضاحكا، فأجفل المحقق واربد وجهه وفاجأني بلكمة الحقها بصفعة ثم صارخا على الحارس :ـ اعد هذا الحقير الى الجحيم ..

واعود الى الزنزانة تلاحقني دفعات الحارس وصليل السلاسل يتناغم مع خطواتي الرتيبة واذ يغلق الحارس عليّ باب الزنزانة اشعر ولاول مرة باللذة لرطوبتها ورائحة العفونة التي تأبى ان تغادر ..

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

الطفلة ذات القبعة البيضاء من القش

بقلم / جميل حتمـــل - دمشـق

● واقفة الى جانب كومة من الرمل الابيض يرتسم حزن على وجهها . حاول ان يبتسم عندما اطل من شباك الباص ، فابتسمت بأسى

عند مثل هذه الكومة الرملية البيضاء في شارع عريض ، وفي ليل خريفي بارد ، قال لها بحزم وهدوء :

ـ أحبـك .

فبكـت ، وقبلها خلسة ، وطار من الفرح .

مسحت دمعة مسرعة ، هز رأسه ومد اصابعه من الشباك مرسلا لها قبلة ، فابتسمت بأسى . نظر الى ساعته المكسورة الزجاج ، ثم الى وجهها الحزين . اشار لها بان تذهب ، هزت راسها رافضة بغضب وعندما تحرك الباص احس بقشعريرة مُرّة تسحق جسده ، وكـانت تبكـي .

ـ لا تبكِ .. أرجوك .

قالها مرّات . كانا يتشاجران بشدّة ، يغضب ويشتم ،فتغضب وتصمت ، وتبكي احيانا ، فيضمها الى صدره المرتجف ، ويصمت مداعباً شعرها الاسود القصير

وها هي تبتعد . شيئا فشيئا تختفي ، وشيئا فشيئا يمتد هذا الذى اسمه الحزن اكثر في جسده المرتجف . اسند رأسه الى الزجاج وتابع الخط الاسفلتي الملتوى .

حينما سمع صديقه يتشاجر مع الجيران بسبب وجوده ، تملكه وجع وخجل كبيران . لملم اوراقه وكتبه المتناثرة ، وخرج صامتا مع الصديق .

قال له :

ـ أيـن ستذهـب ؟

فأجاب بغير حزم :

ـ الاماكن كثيرة ، وكان يعرف انه لن يجد مكانا معقولا ينام فيه تلك الليلة .

منذ اسابيع لم يذهب الى منزله ، ولم يفاجأ حين عرف انهم داهموه . تخيل حال اهله حينها . وتذكر اخته الصغيرة ، وكتبه التي لا بد ان تتناثر وهم يقلبون صفحاتها بقســوة .

ومنذ اسابيع مكث في هذه الغرفة ، التي يغادرها حزينا وخجولا . واليها كانت تأتي فيهمس بغضب عندما تصل :

ـ لم تأتين ؟.

فتـزعل .

ـ قد تكونين مراقبـة .

ـ أدوخ أبـاهم .

ترد بثقة وفرح طفولي ، فيضمها بقوة محاولا ان يضحك .

Digitized by Birzeit University Library

وهو لا يعرف اين سيذهب ، ولذالم يتردد عندما قالوا له سنغادر المدينة الى قرية منزوية . فكر بها وسألها ، فهمست بأسى مستسلم :

ـ الافضل ان نغادرها .

وها هو يهتز مع تخبطات هذا الباص . الى جانبه تمتد صحف صفراء ، ورواية (أيام الجفاف) التي سرقتها له منذ ايام وكتبت عليها : (انها ايامنا ايضا) . قلب الصحف ببطء . مد يده الى الكتاب وانغمس في جو الرواية . حين انتهى تخيل شكلا للقرية التي سيصلها مشابهة لقرية الكتاب . فكر "سأرسل لحبيتي هنالك كما فعل بطل الرواية وضحك مصمما الا ينتحر مثله . وسيكتب . يكتب اشياء عدة ، ورسائل لها .

قالت له :

ـ سأشترى الصحف لك كل يوم ، كما كنت تفعل .

وقالت له :

ـ وربما آتي اليك ايضا .

وانا سأتي اليك ... سأتي في كل لحظة" . تعالى صوت فيروز فجأة حارا وصاخبا أحس انه سيبكي فهمس لنفسه بخطابية :

ـ على الثورى الا يكون رومانسيا ومتوترا الى هذا الحد .

وضحك من نفسه .

انتبه الى الاصوات المتعالية في الباص . ثلاث فتيات ، سمراوتان وشقراء ، يجلسن قرب المحرك ، فكر لو تستدير الشقراء ليرى وجهها كاملا .

ـ مائة مرة قلت لك اترك هذه العادة السخيفة .

كانت تصرخ به ، عندما تشرد عيناه ملاحقة أجساد الفتيات المختلفات ، يتظاهر بعدم السمع ، ويتابع التطلع لبغيظها .

صوت فيروز ما زال منسابا تلا من الاشتياق انطلقت فجأة بين المقاعد بصخب فتاة صغيرة تمنى أن تجلس امامه ليحدثها عن اشجار ملونة ، وعصافير زرقاء . كانت ترتدى قبعة بيضاء من القش تهتز فوق رأسها ، وهي تتابع تحركها الصاخب بين المقاعد . ابتسم لها قلب الصحف . أسند رأسه الى الشباك مرتاحا لرؤية الصغيرة .

ـ بطاقتك الشخصية .

هزته يد ، كان هنالك جسدان ينتصبان قاسيان امامه . وكان الباص واقفا تماما . من الشباك ، رأى سيارة رمادية تطل منها وجوه لا لون لها وامامها وقف مسلح .

ـ لا أحملها .

ـ هيا انزل اذن ...

هكذا قال أحد الجسدين .

وقف ، الصحف ما تزال تحتل جزءا من المقعد ، حركوها بعصبية ، سقط كتاب (أيام الجفاف) على ارض الباص ، تطلع به ، تطلع من الشباك ، خيط الاسفلت الرمادى كان ممتدا بدون حركة ـ حدق في وجوه الركاب التي تنظر باستغراب وصمت ، كان صوت فيروز ما يزال منطلقا بحماس .

ـ هيا تحرك .

جاءه الصوت مرة ثانية ، بقسوة أكبر .

تحرك خطوة ، لمح وجه الفتاة الصغيرة ذات القبعة البيضاء من القش ، يبتسم .

ابتسم وهبط من الباص المتوقف .

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

جندى الحرية

بقلم سمن جوراخوفيتش

مايو ١٩٤٥ اول ربيع يرفرف عليه السلام بأجنحة ذات الجراح التي لم تندمل بعد، فتذكر بالام الماضي .

كانت القرية نصف المتهدمة التي توقفنا عندها لنقضي الليل ،تدعى بيالو برزيجي ، اى الضفاف البيضاء . وبالفعل كانت هذه القرية تمتد على طول النهر ذى الضفاف الرملية التي ابيضت بفعل الشمس فبدت كانها قطع طويلة من قماش التيل . وكان النهر الاسود الثائر ينساب بينها حاملا مياه الربيع.

كنا جالسين بالقرب من منزل جان لزنسكي الحداد . وفي القرية كانت أشجار الكرز الضعيفة مزهرة . ولكن في الحديقة الصغيرة لصاحب الدار كانت الاشجار محرقة لا ورق فيها ولا زهر. وعندما كان الحداد العجوز ينظر بقسوة الى شجرة التفاح والكرز، كانت تكسو وجهه مسحة من الاسى والالم ويشتد كآبة ويخفت صوته الاجش .

ترددت في السؤال عن كيفية احتراق هذه الاشجار التي اسودت غصونها فحسب. كيف استطيع ان القى عليه هذا السؤال وانا في هذه القرية التي تقع على نهر الفستولا حيث القى الفاشيست الاطفال في الابار ، وحيث كانت الدبابات تسحق المواطنين وحيث كانت الامهات تلقى بنفسها تحت سلاسلها الملطخة بالدماء لتلحق باولادها .

وكانت الغصون السود لتلك الاشجار التي تدب فيها الحياة تبدو امامي وكأنها رؤية بشعة .

ومن التل المشرف على القرية وما يحيط بها حتى نهر الفولجا، كان الانسان يرى مساحات شاسعه امتلأت ارضها المحرقة بالحفر ومزقتها القنابل والقذائف وتبعثرت فيها الشظايا ، وقد احمرت لا من الصدأ ،بل من الدماء الجافة .

وكانت الاشجار المحرقة تمد الى السماء اغصانها السود وتئن انينا خافتا .

كنا اربعة . انا وزميل من زملاء الحرب ، وكضيوف جلسنا على كرسيين اخرجا من المنزل ،وجلس جان لسنسكى وجرسي جلواكي المدرسة الاولى على قطعة من الخشب العتيق

Digitized by Birzeit University Library

كثرت فيها الشقوق . لقد كان هذا المقعد العتيق الغريب موجودا في هذا المكان نفسه قبل الحرب بمدة طويلة .

كان المعلم ذا شعر ابيض،مقوس الظهر اصفر الوجه في عينيه حزن عميق . كان لا يتدخل في الحديث الا نادرا . وكان جان لسنسكي قبل ذلك بساعة قد تمكن من ان يهمس في اذني ان جواكي عائد من اوشوتز حيث القاه الهتلريون في احد معسكرات الاعتقال لانه علم الاولاد سرا في بيته لغة بلادهم .

لقد رأينا اوشوتز ، ولذلك فاننا لم ندهش لا من الالام البادية على وجه المعلم ولا من سكونه . ان الذي ادهشنا فعلا هو ان هذا الرجل النحيل قد استطاع ان يفر من الموت الاف المرات على الرغم من غرف التعذيب التي ابتدعها خيال هؤلاء الساديين .

وكان الحداد العجوز يتكلم وقد تشابك في حديثه الماضي والحاضر وكان يذكر احيانا اول ايام الحرب ويتكلم احيانا اخرى عن مدينة وارسو حيث كان يعمل في شابة . وعلى حين فجأة قفز الى مخيلته ذلك اليوم الذي مات فيه ابنه تحت عجلات دبابة فاشية ثم اتسع وجهه باسم ابنه الثاني جوزيف الذي التحق منذ شهر يتابر متطوعا في الجيش البولندي الجديد . وخوفا من ان ينسى بادر بقطع حديثه ليتناول موضوع المدرسة الجديدة التي بناها الجنود السوفييت الذين بنوا الجسر على نهر الفستولا .

لقد اتجه هؤلاء البناة نحو الغرب منذ زمن بعيد انهم يشيدون الجسور على الانهر ولكنهم تركوا للذكرى مدرسة في الميدان العام وبعض الاغاني احضروها معهم من منطقة الفولجاالبعيدة ومن ضفاف الدنيبر. الا تسمعونها؟ ان اهالي الناحية لا يزالون ينشدونها حتى اليوم .

غربت الشمس ، واختفت ضفاف الفستولا في الظلام . وكانت الاغصان المحرقة تبدو وكأنها نسيج عنكبوت على سماء ملونة بلون الغسق. وقال لنا جان لسنسكي انه سيقص علينا اهم ما في الامر.

دامت الموقعة يومين ، ولكن عندما انتقل دوي المدافع الى الضفة الثانية لنهر خرج لسنسكي من الخندق ونظر حوله. وبدا له ان قريته قد ماتت وان كل من كان حيا فيها قد اختبأ في السراديب وفي الخنادق وكان أول من خرج الى الطريق وقد أحس انه يستطيع ان يتنفس بحرية، بعد ان ولى العدو الادبار وهنا أخذ يصيح

ـ اخرجوا ايها الناس الطيبون ولكن الطريق الميت لم يجب قصار ينتقل من باب الى باب يقرعه في عنف بعصاه،ولكن لم يجبه أحـــد .

وتوقف فجأة فقد رأى في وسط الطريق جنديا سوفيتيا ملقى على ظهره وذراعاه ممدودتان كانه يبذل آخر محاولة .

وانحنى الحداد العجوز عليه. وكانت عينا الميت الزجاجيتان تنظران الى السماء . وكان وجهة هادئا بل كان يبدو عليه التفكير وسمع خلفه وقع اقدام ، فاستدار الرجل ولمح جنديا متقدما في السن ،وقد القى معطفه على كتفيه وكان يمد امامه يديه الملفوفتين بالاربطة وقد جفت الدماء عليها. وظهرت خلفه فتاة تحمل في يدها حقيبة ممرضة وتظل من فوق كتفه. وقال الجندي وهو يهز رأسه :

ـ لقد مات الجاويش يوريكو. لن تغني بعد اليوم .. لقد كنت تجيدين الغنـــاء .

Digitized by Birzeit University Library

ثم تحدث مع الممرضه بصوت قاومات . الاخيرة برأسها وانحنت واخرجت من جيب الميت كتيبا احمر وبعض الاوراق والخطابات .

وقالت الفتاة دون ان توجه الحديث الى شخص بعينه .

ـ سأكتب الى عائلتـه .

ولاحظ لسنسكي عينيها المتعبتين الحزينتين ووجهها الصارم .

وقال الجندى الملفوفة يداه بالاربطة .

ـ كان من اوكرانيا .. كان محاربا شجاعا ..

وذكرتنا تلك الكلمات بالالتزامات الاخيرة التي يجب على الاحياء ان يؤدوها للذين يسقطون في حومة الوغى قبل نهاية الحرب دون ان ينشدوا اغنيتهم الاخيرة .

وقالت الفتاة وهي تنظر الى الحداد العجوز :

ـ يجب علينا ان ندفنه .

ولاحظ حينئذ بدهشة ان وجهها ليس قاسيا بل ان الطيبة كلها تبدو فيه واضحة ان عينيها صافيتان وديعتان ، وان في اعماقها دموعا كثيرة قد تكدست ولكنها لم تسل بعد .

كان لسنسكي في حيرة لقد لمح في فناء قريب رجلا وامرأة ناداهما باشارة فتقدما في خجل وحمل الثلاثة الجثة حتى الميدان العام وهناك في المكان الذى تنمو فيه شجرتا قيقب فارعتان اخذوا يحفرون ويحفرون طويلا . وكانت الارض صلبة كالحجر فقاومت الفؤوس . وكان الثلاثة يستريحون ليلتقطوا انفاسهم يستأنفون عملهم . وكان الجندى الجريح مسنودا الى شجرة . وكان يفكر ويهز رأسه وحينما انتهى كل شيء ، ودعنا الجندى والفتاة واستأنفا طريقهما . ووقف الحداد العجوز والزوجان اللذان ساعداه بالقرب من المقبرة .

واستل لسنسكي غصنا عاريا من الشجرة ووضعه على كوم صغير من الارض السوداء المتجلدة وقال في هدوء :

ـ لقد ضحى بحياته من اجلنا وعلينا ان نذكره طالما نحن على قيد الحياة !

وفي اليوم التالي عاد الحداد العجوز الى المقبرة ورأى ازهارا . وكانت ريح يناير قد غطت كل شيء بالجليد . ولكن الازهار كانت لا تزال يانعة .

ـ صدقني هذا هو ما حدث . وبعد زمن طويل حضر جنود الجيش وبنوا المدرسة التي تراها هناك في الميدان العام . وعندما عاد المعلم ، لم يعرف المكان الذى ترك فيه اطلال المدرسة القديمة نعم لم يعرفه . ان جرزى جلوفاكي لم يصدق عينيه . الا اقول الصدق ايها المعلم ؟ كان يتحسس الابواب والنوافذ ويستنشق عبير الصنوبر والسبب انه لم يكن هناك مدارس مثل هذه القريه الضائعة على ضفاف نهر الفستولا .

وفي اليوم الذى افتتحت فيه المدرسة ، كادت القرية كلها تجتمع في الميدان . وكان الكل هناك ينتظر شيئا ما . فقام جان لسنسكي حينئذ وتحدث الى الجمع . فقد كان الحداد العجوز قد انتخب اخيرا عمدة للقرية ان جان لسنسكي الذى لم يحصل الا على قدر ضئيل جدا من التعليم همس في اذن المعلم بانه يريد ان يقول بضع كلمات لاولياء الامور والاطفال المجتمعين هنا .

وتكلم الحداد العجوز عن الذين رقدوا في هذا الميدان تحت اشجار القيقب الوارفة .

Digitized by Birzeit University Library

ماذا كان يعرف عن هذا الجندي الذي سقط في الميدان ؟ لا شيء تقريبا . ومع ذلك فان حديثه عنه كان طويلا . وقال الحداد العجوز :

ـ ليس في مقدرة كل شخص ان يفعل ما فعله هذا الرجل المتواضع الذي كان العمل بالنسبة له بهجة وغناء . وما هو مصدر هذه القوة التي تملأ الرجل؟ نعم ، ما هو هذا المصدر ؟ ان شجرة البلوط قويه بجذورها ولا تستطيع الزوابع ان تحطمها ان السوفييت اقوياء بحقيقتهم وباخائهم . وعندما اجتاح العدو ارض الوطن عهد ايفان بويكو الى زوجته بالآلة التي كان يعمل عليها وحمل السلاح وحارب حتى حرر وطنه . وبعد ان نظر حوله رأى ان هناك اناسا كثيرين عليه ان يحررهم وان شعوبا كثيره تنادبه وتنتظره١ وحينئذ وصل الى هنا على ضفاف الستولا حيث لقى حتفه .. هكذا عاش وهكذا مات ايفان ابن الحرية وجنديها الامين ..

سكت جان لسنسكي واستمر المعلم المقوس الظهر يهز رأسه كما لو كانت الكلمات لا تزال ترن في اذنـه .

وخيم حولنا صمت مضطرب قلق . وفي هذه اللحظة كان خفيف الاشجار يملأ الحدائق الا حديقة الحداد العجوز الغارقة في سكون الموت . وكانت اشجارها المحترقة تمتد نحو سماء خالية من النجوم .

تحرك زميلي ،ربما يريد ان يستفهم عن شيء . ولكنه لم يجرؤ على قطع هذا الصمت

ـ وفي الصباح ذهبنا الى الميدان واستقبلتنا المدرسة بابتسامة نوافذها المفتوحة وضجيج اولادهـا

وبعد المدرسة بقليل رأينا اوراق اشجار القيقب خضراء . وحينما اقتربنا منها ،شاهدنا تلا صغيرا مغطى بالحشائش وعلى مسلة خشبية قرأنا هذه الكلمات باللغة البولندية : ايفان بويكر جندي الحرية " .

.. سمعنا صوت جرس في فناء المدرسة .. وبدأ الضجيج يخفت . وفي ركن من الميدان اسرعت صبيتان كانتا بدون شك متأخرتين وعندما وقع بصرهما علينا اضطربتا قليلا ثم اقتربتا في استيحاء من القبر ووضعتا عليه باقتين من السوسن كانت لا تزال تهتز عليهما قطرات الندى .

Digitized by Birzeit University Library

فرش أبيض كالثلج

ناجي ظاهر

وقف مدهوشا أمام البيت الذى شهد أحلى ايام عمره،.. لم يدهش لرؤيتـــه تتمة البيت غير الموفقة،التي أحدثت في غيبته طوال مدة سنة عن البيت،ولم يدهش لرؤيته الحي وبعض الشبان الذين ربطته ببعضهم علاقات عميقة،هي نفسها شكلت،في النهاية رؤيته للحياة وللاشياء ،كلا لم يدهش لهذا كله،وانما دهش لرؤيته الناس يقفون واحدا الى جانب الاخر.وبشكل غير منتظم، أوحى اليه بشيء غريب غامض،دائما كان يخشاه، شيء هو أقرب الى الفقد منه الى الحياة واستولى عليه حزن عميق.. لم يستولِ عليه منذ مدة بعيدة،منذ توفي صديقه قبل قرابة العامين،انه ما زال يذكر ذلك.. في منتصف الليل جاء صديقان من أصدقائه وقال أحدهما بعد ان ايقظه من عزّ النوم: لقد حدثت الكارثة .فرك عينيه،وقال له.. أعلم.وكان يفكر في أمه.. قال لصديقيه: انتظرا قليلا سأغير ملابسي ..وسنذهب سوية، لم يفتح مجالا لاى منهما ان يقول شيئا عما حدث،لم يطلب حديثا مفصلا عن الكارثة.. كان يعرفها والان يعاوده نفس الاحساس.لقد عرف دائما ان الكارثة ستحل وان امه.. ستموت.. ولكن دائما كان يشعر بالفرح العميق لان امه ستعيش ..نعم ستعيش..وكان في لحظات نشوته يحس بانها ستعيش الى الابـــــد ...

ـ ستعيش الى الابد .

ردد ذلك في نفسه،وهو يدخل الى غرفة تحت الارض،وعندما رأى امه تستلقي هنالك على فرش أبيض كالثلج.. والى جانبها تجلس أخته .ردد في ذات نفسه: ستعيش الى الابد.

ودبّ الاحساس بالحياة في البيـــت، تحركت الام وتحركت الاخت،وتحرك الفرش الابيض ،تحرّك كل شيء في البيت..كل الاشياء تحس بالانسان،الانسان يكمل الاشياء وحتى الجماد له قلب يحس به،الفرق بين الجماد والانسان: ان الاول لا يملك الارادة، في حين أن الثاني يملك الارادة وآية ذلك ان الجماد دائما يستجيب لليد الماهرة.

وهزّ كتفيه،وهو يغلق الباب وراءه:اليد الماهرة هي التي جعلت هابيل يقتل قابيل، ولكن نفس اليد،هي التي طورّت الانسان ونقلته من عصور الظلام الى عصور النور، ولام نفسه لانه كان يفكر في ذلك..فلكل لحظة تفكير.. اما هذه اللحظة..فهي لامه،

امه كانت دائما تبعث فيه الاحساس بالمقدرة،وهي نفسها ،ربما من حيث لا تدري دفعته منذ سنة الى مغادرة البيت،لقد زرعت فيه روح التمرّد ،وتركت له أن يتصرّف، وتصرّف :خرج من البيت وبدأ يبني نفسه بنفسه،وسيأتي ذلك اليوم الذى يتحول فيه العذاب الى ذكريات جميلة،لا لان العذاب جميل ولكن لان تلك القوة الجبارة التي تغير الواقع .قوة الانسان ،بهذه الروح،خرج من البيت..وقرر ألا يعود الا وبيده القوة.وها هو يعود الى البيت وبيده القوة ...

ـ ترى هل ستفهمه امة؟!!

ـ بالتأكيـــــد .

لقد فهمته دائما،ولن تعجز في هذه

Digitized by Birzeit University Library

اللحظة عن ذلك..كان يقلقه احساسه بأن امه قد تموت في لحظة بعدهعن البيت، ولذلك كان يعود – قبل موعد عودته، ولكن عندما عاد هذه المرّة كل شيء اوحى اليه بالكارثة،والان: امام امه التي تتحرك فيها الحياة،يجب ان ينسى أخاه.يجب ان ينسى هابيل.. ودماء قابيل التي اخصبت الارض، يجب ان تخصبها دائمـــا ..

– عدت يا حبيبي؟!

ووقف في وسط الغرفة،قريبا من الفرش الابيض..كان يعرف أين يتكلم ،واين يصمت، كان يعرف اين يكون الصمت أبلغ: وانتظر مذهولا.. أمام الجسد المسجى أمامه،لم ترفع امه رأسها من على الوسادة،بقيت نائمة،ولكن شفتيها كانتا تتحركان:عدت يا حبيبي؟!كان في حركة شفتيها المبهمة وغير الواضحة،أبعد مما يفهم.. الكثير من المعاني ربضت هناك في أعماق ما قالت أمه ، ربضت منتظرة لحظة التحفّز والانتشار يكفيه ان ما نطقت به أمه تضمّن أجمل ما يهفو اليه الانسان: العودة والحب ،ولكن لماذا لا ترفع أمه رأسها من على الوسادة؟ وأنتظر طويلا أن يجد الاجابـــة

..انتظر وانتظروانتظر وأخيراجاءته الاجابة ،

– قالت أخته : لا تخـــف

لم يقل لها :– كيف ؟

لكنها أجابت :

– هي وعكة خفيفة ،المّت بها .

وعندما وضع رأسه بين يديه،قالت له :

– ستنهض مثلما تنهض دائما.. بهية وجميـــلة .

ومدّ يده الى يد أمه التي استرخت هناك فوق الفرش الابيض،وخرجت الكلمات من بين شفتيه وحيدة محشرجة : أمـــي :

وبدا وكأن امه احسّت به،فقالت له :

– لا تخـــف .

– أنت مريضة يا حبيبتي ؟!

– لا تخف يا ولـــدي .

وخرج بريق من أمل ،من تلك الكلمات وخرج وانتشر في كل مكان..واستقر في قلبه المتعب.وتشابكت الكلمات: سنذهب يا أمي، وسنبحث وندبر وسأنسى....أخي هابيل.. سأنساه للحظة ،ولكنك أنت ستعيشين الى الابـــد ..

×

ونهضت امه من الفراش ،ووضعت يدها فوق كتفيه ...وسارا .

تعبت الام ،فجلست تستريح،ونظرت الى قطعة جميلة من الارض ، وقالت له: هذه الارض اشتراها أخوك ،وأصبحت ملكا لنا.. فتذكر كيف ان آخاه انتزع منه كل شيء ، ورنّ بعد لحظة صمت: اصبحت ملكا له .

دمعت عينا الام.. فتأكد في تلك اللحظة بأنها ليست مخلّدة ،وبأنها ستموت في ذات يوم ،أحزنه ذلك وتمنى لو انه بقي نطفه غير معلومة الملامح في رحمها،اذن لما تعذب كل هذا العذاب ولما تألّم كل هذا الالم ،ولما حدث ما حدث له،من خلاف مع أخيـــه .

أحسّت الام بذلك كله فقالت :

– لا تخف،لن أموت قبل ان اوفقكم .. سأجعل أحدكم يحب لاخيه ما يحب لنفسه، عند ذلك سأغمض عينيّ .. وسأطمئن الى أنني تركت ورائي رجالا يعتمدون على أنفسهم ،لا أطفالا يبكون على الخبز .

– الكلماتالتي خرجت من القلب،استقرّت في القلب،ونظر الى البعيد وتذكر أباه . أبوه قبل ان يموت كان يقول كلاما يشبه هذا الكلام.. احزنه ذلك وتمتم بصوت غير مسموع يرحمك الله يا أبي.. .

وقالت الام : ماذا قلت يا ولدي ؟

قال : لم أقل شيئا .

وضغط علي يدهـــا ..

Digitized by Birzeit University Library

دراسة
نقدية

نظرة
الى الحوات والقصر

بقلم
الأسير/ عطا القيمري
سجن نفحة

عطا القيمرى

ان احد اهم اهداف النقد الادبي هو تحليل العمل الادبي لمكوناته الاولية وذلك لابراز مغازيه الكامنة ومواطن ضعفه وقوته .وهدف هذه المقالة المتواضعة هو القا بعض الاضواء على رواية رائعة للكاتب الكبير الطاهر وطار ،" الحوات والقصـــــر "!

ليس صعبا ان نعرف عند قراءة الرواية ان القصر هنا يمثل السلطة السياسية مهما كان الشكل الذى تتخذه ،كما انه ليس صعبا ان نعرف ان القرى السبع تمثل قطاعات الشعب المختلفة ومع ذلك فان لغز الرواية لا ينحصر هنا فهناك اسئلة تواجه كل من يقرأها . فمن يمثل علي الحوات او اخواته الثلاثة ؟ اى فئة او طبقة اجتماعية تمثل كل قرية من القرى؟ ما معنى نذر الحوات للسلطان ؟، وماذا تمثل محاولات الحوات المتكررة للوصول اليه ؟ الى اخره من الاسئلـــــــة .

Digitized by Birzeit University Library

دعونا اولا نستعرض بايجاز احداث الروايه ـ حدث مثير للاهتمام هو نجاة السلطان (أو هكذا ينوهم الحوات) من هجوم قام به الاعداء او اللصوص،وتولي ملثمين لمناصب الحجابة والحراسة والاستشارة،يدفع علي الحوات الخيّر المعروف بصفاته النبيلة لان يتذر اجمل سمكة يصطادها هدية للسلطان تعبيرا عن ولائه له وفرحا بنجاته،يصطاد سمكة عجيبة لم يشهد النهر مثيلا لها ويذعو قريته ،قرية التحفظ والصراحة للاسهام في عمله ؛وتقديم هدية باسمها للسلطان ، لكن قريته بحكم تحفظها التاريخي من القصر وشؤونه تمتنع عن ذلك ولكنها لا تمنعه بل وتشير عليه للذهاب للقرى الست الاخرى ، انهم لن يمنعوا علي الحوات (سمةُ عصرهم الذى كشف عن طابعه الخير في ساحة الاعترافات) من نشر الخير ، فهم لم يمنعوا شرهم من الانتشار ،فَلِمَ يمنعوا خيرهم ؟ بيد انهم حذرون من ان هذا يخالف تقاليد قريتهم المنحفظة وان لا حق له "بتمثيل التاريخ" ،فيحمل سمكته ليحط في قرية التشكي والاحتجاج فلا يلقى منها غير عرائض الشكاوي والاحتجاجات ،ولم يتقدم له أى كان بأى هدية سوى كهل تقدم له بمشروع لتحويل السلطنه الى جنة (بناء السد) .

في القرية الثالثة ، قرية التساؤلات لا يجد سوى التحذيرات من بطش القصر والتساؤلات عن جدوى عمله ومعناه ، والقرية الرابعة قرية بني هرار او الشريرين المخضرمين ، فقد ابقى الكاتب موضوع مروره من القرية ورد فعلها غامضا مع انه اكد انه عبرها دون ان يمسه منهاأى شر ، وفي قرية المتصوفين كان قد وصلها والامر ممهد له ، فقد حلموا به جميعا في ليلة واحدة حلما تعاهدوا على الا يكشفوا عنه. المهم انهم رأوا يعلي الحوات املهم وحلمهم الصوفي ودفعوا ثمن حرصهم على سرهم عيونهم وهؤلاء ايضا لم يمنحوا شيئا للقصر واكتفوا بمنحه هو عذراء هم الوحيدة عروسا له ، وفي القرية السادسة قرية الحظ (لان محظية السلطان والسلطان منهم) كما يحلو لهم تسميتها او الطاعة والولاء كما اسماها الحوات وأى اعاجيب لم يعرفها ولم يسمع بها رأى أى درك توصل الطاعة العمياء اليه الناس: لقد خصى الرجال انفسهم وحقنوا نساءهم بدواء يثير شبقهن تعبيرا عن ولائهم للسلطان ، هؤلاء ايضا لم يكن لديهم ما يقدموه للحوات فقريتهم مباحة بكل ما فيها للقصر وسلطانه، وفي طريقة للقريةالسابعةيقابلهانصار الظلام ويحاولون اقناعه بعدم جدوى رحلته ويقترحون عليه ان تتوحد الرعية تحت قيادته ،"فكرة الوطن والوحدة ما ينقص السلطنة". اما القرية السابعة قرية الاعداء او الاباه كما يسمون انفسهم ،فلم يحصل منهم ،وما كان ينبغي له ان يتوقع الحصول منهم على شيء ،سوى انهم اعاروه جوادا او بغلا احتراما لتحفظ قريته ولأسباب غيرها. المهم انه توجه للقصر ليجد المهانة ليكتشف الهوة السحيقة التي تفصل القصر عن القرى واخيرا لنيل عقابه على تجرؤه او ما اسماها اخوه الشرير مسعود (احد الملثمين) رغبته في ان "يطرد الخيرُ الشرَّ". فتقطع يده اليمنى ويلقى به امام قرية التصوف ليشيروا عليه بأن من اراد الخير ومن كان مواليا فليتبع طريق المتصوفين ، لكنه لا ييأس من المحاولة ولا يركن الى التصوف ،بل الى الصمود فيعاود التجربة ،فينذر ثانية ويصطاد ثانية، ويتوجه للقصر هذه المرة مصحوبا بتأييد وتعاطف جميع القرى وبانتقال الموقف فيها ليتخذ

Digitized by Birzeit University Library

مستويات جديـــــــــدة ..

لقد صار الحوات هو القضية وتعلقت به الابصار – في المحاولة الثالثة تقطع يده الثانية فتتصاعد النقمة في القرى على القصر وتؤدي الى نتائج حد ايجابية . فينحلى المحفظون عن تحفظهم ويلغطون في دماء القصر وتبرز فرقة نصرة على الحوات التي تعمل العجائب ويكتشف الصوفية طريقهم (استعادة نظرهم وحملهم للسلاح) ويستعيد المخصيون رجولتهم وينتمي بنو هرار وتحرج قرية النساوات الى الاجادة وقرية الحمرة الى اليقين .اما الحوات فيصر اصرار الصياد على المحاولة ويلح القصر للمرة الثالثة لمواجد عقاب قطع اللسان – .

في المرة الاولى قطعوا يده نازعين عنه صفته كحوات ثم لسانه لينزعوا عنه صفته كانسان وفي المحاولة الرابعة يقفون عينيه .لكنهم وهذا ما يطمئنهم به الحوات لم ولن يستطيعوا مس قلبه وتشويهه فتنتهي الرواية بانهدام القصر وتحقيق حلم الصوفية مع بقاء مصير الحوات نفسه كشخص غامضـــــــا .

هذه هي الرواية باختصار شديد – انها رواية الثورة ،رواية الصراع الازلي بين التقدم (الخير علي الحوات وكرامة وحرية القرى) والرجعية (الشر ،القصر) .بين الجديد والقديم والصراع هنا يجري بين متضادات تكمن في احشاء واحدة وتتحد في بوتقة واحدة فالحوات (الخير) شقيق سعد مسعود وجابر الملثمين (الشر) .فهم اخوته ولكنه يتغيهم بالقضاء عليهم وعلى القصر والسلطة بشكل عام ،ولكن هذا لا يتم دون معاناة ،دون تراجعات ،دون محاولات متكررة يتراجع بعدها التقدم ليعاود المسير من جديد بخبرة اكبر وقدرة اعظم على التحقيق .ان التقدم الجديد في صراعه ضد الرجعية .القديم ،لا يسير في طريق معبدة ،ولا بد له ان يدفع ثمنا ليكتسب التجربة ثم المواقع ويثبت قدميا. علي الحوات يقول بعد التجربة الاولى "نعم – فانه لا يمكن ان يقيم (الجميع) هكذا بدون ثمن باهظ" .

واذا كان علي الحوات يمثل بشخصه سمة العصر كما كشف عن نفسه في ساحة الاعترافات فانه في الوقت نفسه يمثل رمزا مجسدا للقرى السبع في نضالها ضد طغيان القصر ،فالوطار يقول عنه على لسان نصرة الحوات مخاطبا جمهور المحفظين" هو انتم وهو هو وهو الاجيال الاتية . انه قصية الانسان في صراعه من اجل حياة افضل ،من اجل حياة لا اضطهاد ولا ظلم فيها ،وفي الرواية يستبدل الصراع المباشر بين السلطة (القصر) وبين نقيضها (الشعب ، الجماهير ،الطبقة) يستبدل رمزيا بصراع مباشر بين رمز القرى وممثليهم (الحوات الخير) وبين نقيضه(اخوته .الشر) في القصر وفي مسيرته المتكررة لذلك وبالتوازي مع تنامي وعيه لنفسه وازدياد خبرته ،يتنامى وعي القرى وتنهض من سباتها الكبير لتواجه الحياة ولتحتل مواقعها من الصـــــــراع .

في البدء يبذر عبد طيع فرح لنجاة سلطانه بأفضل ما عنده ،والنذر للسلطان هو تعبير عن ان الخير لا يستطيع ان يبقى محصورا ضمن نطاق ضيق وانه لا بد له من التوسع ليضفي نفسه (سمة القصر) على كل السلطنة .انه الخطوة الاولى ونقطة البدء التي ادت بالحوات الى ان يلج عالم السياسة حتى لو لم يكن يقصد انه يريد ان "يطرد الخير الشر" كما يتهمه بحق اخوه مسعود .وهذه تهمة سياسية من الدرجة الاولى ولكن محاولته تبوء بالفشل .كانت القرية السابعة .القرية الاقرب من للقصر ،المعادية له تماما والعارفة به تماما مقتنعة بأنها ستبوء

Digitized by Birzeit University Library

بالفشل ولكنها لا بد منها حتى يقتنع هو بذلك ،أي ان يقتنع بذلك من يمثلهم ، ص لا يشكل هو سوى رمز لهم التجارب الاولى كانت تضع جوابا للسؤال الملح التالي

هل يمكن تحويل القصر اصلاحيا ،سلميا بعد النقطة التي بلغها ،ان النهش هو سمة القصر على رأي الاعداء انه ينهش ايامه ،صار مقرا لـ اللصوص بعد ان كان قد اقيم في البدء على مطاردة اللصوص .

ان التجارب الاولى لعلي الحوات تبرهن ان أية محاولة لاصلاح القصر لادخال الخير اليه ستبوء بالفشل وان الحل ليس اصلاح القصر او استبدال السلطان بسلطان آخر كما يبقى انصار الظلام يتوهمون الى ان يتوصلوا للحقيقة التي يجسدها طموح القرية الواعية النموذجية ،قرية الاباء (او الاعداء) طموحهم في ان يبقى اى سلطان مهما كان وان يتحول الجمع لسلاطين ،أي أن يصبح الانسان سيد نفسه حيث الحرية الحقيقية ،انه مشروع الاباء انه حلم المتصوفة ،انه الشوق العارم للانسانية جمعـــاء .

يبقى الحوات موالبا للسلطة ولكنه مع كل خطوة يخطوها يتبين ان مهمته صارت ذات طابع سياسي دون ان يقصد ، ومنذ اللحظة التي يقبل فيها بنقل مشروع الجنة (السد) للسلطان تصبح رسالته عامة ("حل مشاكل جميع هو لا" الناس بالقضاء على اصلها") ،ومع اكتشافه للظلم الذي يستشعره الجميع يتوصل لحقيقة انهم "يشعرون بالانفصال التام عن القصر فيقول ان" السلطنة في حاجة الى اهتمام جلالته ورعايته .. في حاجة الى تقويم" . ولكن هذا الادراك لا يترسخ وعيا الا بعد تجربة ولوج القصر ،عندها يعي تماما مدى الهوة التي تفصل القصر عن رعيتـــــه .

لدى مرور الحوات على القرى السبع يتبين امرا هاما بالاضافة لاكتشافه طغيان القصر وبطشه .يتبين ان كل القرى ترفض القصر وتتحدى قهره وتقاومه وان كان بطرق واساليب مختلفة .فهذه بالتحفظ ولكن بالتحدي الصامت واخرى بالخضوع التام المذل الى ان يصل الامر الى العداء السافر المكشوف .

طوال التجارب الثلاث الاولى يبقى الحوات حاملا للامل ـ الوهم بأن القصر / السلطان غير القصر / اللصوص او الاعداء . فبحسب ان اللصوص او الاعداء او اخونه الثلاثة هم الذين يحجبون الرؤية عن السلطان ويحولون دون رو يته لواقع الجماهير ولكنه يكتشف الحقيقة الكاملة التامة وهي ان القصر هو القصر وان السلطة والسلطان ليس سوى ثلاثي الشر بعينه (اخونه) .وعندما يتبين ذلك يكون القصر كله قد انهار .ان القصر اى الطغيان والقهر والرجعية لا تقوم الا على الزيف والتزييف والجهل والتجهيل وعندما يعي الناس الحقيقـــة يتحررون من الاوهام حول السلطة وموقفها ودورها .. الخ . ويحملون السلاح للدفاع عن كرامتهم ووجودهم وحريتهم ،فان القصر بنهار وذلك بانهيار الاعمدة التي يقف عليها .

واذا اعتبرنا الحوات نفسه رمزا للقرى (الجماهير ،الطبقة) في نضالها لاجل تحقيق وجودها وذاتها فان ما يشير الى ذلك عبر الرواية هو سياق كامل من الاحداث والصور. فوعي الحوات ومسيرته وتجاربه المتكررة يواكبها بشكل متواز نمو متواصل وتدريجي لموقف القرى وانتقالها الى النضال المكشوف والسافر ضد السلطة .

دعونا في البداية نقرر حقيقة اساسية .اكدها الكاتب بثبات وتبينها الحوات نفسه وهي

Digitized by Birzeit University Library

ان القرى جميعها ترفض القصر و تقاومه مما يعني ويدل على ان التناقض الاساسي ثابت وقائم موضوعيا بين قطبي الصراع حتى لو لم يكن هذا الصراع ممتدا في لحظة من اللحظات ،ففي لحظات الركود او الجزر الثوري تحد الحركة الجماهيرية في سبات ،في خمول بيد ان الامر لا ينفي وجود التناقض الاساسي ،وان هذا التناقض كفيل ان يبرز الى السطح اذا توفرت جملة من البواعث والمحركات الموضوعية والذاتية ،الليلة والليلاء ، التذر ،تجربة المرور على القرى السبع ، معاقبة القصر للحوات على خيرةثم محاولاته المتكررة هي مجرد بواعث على الثورة وليست اسباب لها.والاسباب كامنة في الجذور.اما هذه فهي البواعث ، فالليلة الليلاء التي استبد ل فيها السلطان بجملة من اللصوص أو الاخوة(أي الوحوه المحلية) تعبر عن الثورات او الانقلا بات التي حققتها الشعوب لنيل الاستقلال السياسي من الاستعمار .اما العقوبات المتكررة للحوات من قبل القصر ،الاخوة فهو تعبير عن ان الاعتبارات السياسة لمصالح هذه الطبقة التي ما ان تصل الى السلطة حتى تتحول للاهتمام بمصالحها الخاصة ضاربة مصالح الجماهير (اخوتها) بعرض الحائط.ان هذه الاعتبارات فوق اعتبارات الاخوة وغيرها كما يؤكد اخوة الحوات له. وهنا تتخذ الرواية بالاضافة للبعد الجزائري المحلي لرو ية الكاتب تتخذ البعد الشمولي العام .ان الرواية التي بين ايدينا تبين لنا قصة الازمة الثورية وتبلور العامل الذاتي لقوى الثورة على اساس العامل الموضوعي .

هكذا نجد ان مرور الحوات على كل القرى وبراهنه حفزت انصار الظلام على التوجه له لاعتباره رمزا لوحدة القرى واتخذته سلطانا منشودا ،والى استعداد الاعداء او الاباة للتعاون معه ،ثم التجربة الاولى ادت الى ان ينتقل الصوفيه الى مواقع الاستنكار (بداية التمرد) والتحول من الخمول والقبول المطلق الى نقيضه الرفض ثم استعادة بصرهم وروءيتهم للنور الحقيقي ـ الحقيقة بدل النور الشعشعاني الصوفي ـ الوهم .والتجربة الثانية ادت الى خروج المتحفظين عن تحفظهم وبروز فرقة نصرة الحوات اي المثقفين الثوريين الذين ينشرون الوعي يدللون العقبات امام انتقال الجمهور لمواقع الثورة واستعادة الخصلات لرجولتهم رادين الكرامة والاباء، بدل الذل والمهانة والسلبية التي كانوا فيها ،ثم انتماء بني هرار واجماع القرى على الاقتصاص من اعدا الحوات(أي القصر) والدعوة لحمل السلاح (أي الثورة)

هكذا اذن ينمو الوعي الثوري للجماهير مع تفاقم ازمة النظام وتخبطه اكثر فأكثر في مواقفه أخطأ القصر اذ سمح للحوات بالظهور ولكنه اخطأ اكثر عندما قدر ان قطع يده ورميه امام قرية صوفية سيحل الازمة بانتقاله الى مواقعهم مواقع الدفاع السلبي المستسلم الواهم .ولكنه مع كل خطأ كان يرتكبه يضاعف من الوعي الجماهيري ومن النفاف الجماهير حول طليعتها (الاباة) .

وقبل الانتقال الى معالجة الاسلوب الروائي نشير الى اهمية بعض الرموز المستخدمه فالخير اى التقدم اختير ان يتجسد بالحوات مع كل ما يتميز به الصياد من مثابرة وصمود واصرار ان التقدم لا يستسلم ولا يرضخ ،الصياد شاره: في كل ضربة للسنارة امل جديد ولا محل لليأس ثم موضوعة القرى السبع هنا لا تعكس عكسا ميكانيكيا طبقات معينة بذاتها بقدر ما يقصد بها القوى السياسية او الاتجاهات السياسية التي تخوض الجماهير من خلالها

Digitized by Birzeit University Library

صراعها ضد السلطة ،واختلاف مواقف القرى وتباين طرقها في المعارضة والنضال ،تعبر عن تدرج مواقف الجماهير من السلبية المفرطة الى الايجابية والفعالية الطليعية ،وذلك انعكاسا لتفاوت وعيها ومدى نضجه في النضال السياسي ..

اما بالنسبة للاسلوب فقد نجح الكاتب تماما في تقديم فكرته على اكمل وجه اذ اختار لها اسلوبا يتسع لها لا ضيقا بحيث نحشر فيه ولا فضفاضا لا تظهر معالمها به. فالاسلوب الاسطوري او بشكل تراثي تماما) قد حرر الكاتب من التفصيل والتدقيق والعلمية في سرد الاحداث ، فهو يستطيع من خلاله ان يجعل هدية الحوات السمكة تتخذ ماتشاء من صفات اسطورية دون ان يحتاج لتبرير علمي على بقائها حية طوال الرحلة مثلا. المهم عنده ان الخبر اخذ هديته ويريد ايصالها اى ايصال نفسه الى القصر، ثم ماذا يهم الكاتب سيناريات الاشخاص او الاحداث الفردية المنعزلة اذا كان يريد ان يوصلنا لحقيقة معينة ويرسخها في اذهاننا. اذ يضع احتمالات عديدة لمجريات الاحداث بعضها اسطوري وغير معقول تماما، وهدفه من ذلك ان يقربنا الى المفهوم العام الشمولي او الاخلاقي للاحداث الاجتماعية وقانون التطور الاجتماعي نفسه بغض النظر عن المسائل التي يتخذها او الاشكال التي يلبسها وهذا الاسلوب يطغى على كل الرواية ويشملها .وقد شكل نقطة قوة بيد الكاتب وليس نقطة ضعف .

معروف ان الكاتب (الطاهر وطار) من الكتاب البارزين في الواقعية ونقصد الواقعية الجديدة / الاشتراكية. فكيف ينسجم هذا والشكل الاسطوري / الرمز الذي اتخذته هذه الرواية؟. اولا نقول ان الواقعية في الفن وجهة نظر.في الفن لها ان تستخدم أية وسيلة تعبيرية ناجحة ،فالواقعية لا تتطلب العكس الشكلي الحرفي للواقع بل تتطلب تمثل الواقع وتوكيد القوانين الاساسية ليهذا نجد الواقعية انها تلجأ للرمز والخيال والاسطورة دون ان يمس جوهرها او ان تفقد اصالتها. وطالما نظر الروائي الواقعي للواقعية بمفهومها الشامل الواسع فان له ان يستخدم ما يراه من الوسائل التعبيرية والادوات الفنية القادرة على الايصال والتأثير انها الواقعية بمعناها الواسع ،بمعنى اسلوبها الواقع وتمثله بحذق ومهارة دون التخلي عن الصفة الفنية الجوهرية للعمل الفني .

ان عمل الحوات ــ الخير موجود في كل مكان وفي كل عصر كما يدلنا الاهداء وتدلنا الرواية بكاملها ، والقصر / السلطة من جهة والجمهور / القرى من جهة اخرى موجودة ومتصارعة بغض النظر عن الاشكال التي يتخذها هذا الصراع صراعا ينتهي بانتهاء السلطة ويصبح الانسان سيد نفسه. لا سائد ولا مسود .

لقد حرر الاسلوب الاسطوري الكاتب من اتباع الاسلوب التقليدي للرواية أي رسم الشخصيات وبلورتها. فلا وجود للشخصيات الفردية ،بل هناك شخصيات جماعية لها كل مميزات الشخصية شخصيات القرى الجماعية ،وقد نجح تماما برسم هذه الشخصيات وتحديد معالمها وطرق تفكيرها وردود افعالها المتباينة بشكل فائق جدا. وما نقوله بخصوص الشخصيات نقوله بالنسبة للغة المستخدمة. انها لغة الاساطير .

هذا وان في الرواية من الدروس والعبر التفصيلية والرموز والدلائل ما تعجز هذه العجالة عن التصدي لها وذكرها بتمامها وكمالها ، واذا نجحت هذه العجالة في التشجيع على قراءة الرواية وزيادة الاستمتاع بها فتكون قد حققت هدفها تماما ...

Digitized by Birzeit University Library

مصرع الماس

من قصة الى رواية الى ماذا بعد؟

بقلم الدكتور: أحمد أبو مطر

"مصرع الماس" الرواية الثانية لياسين رفاعية ،بعد "الممر" ، وقبلها رحلة طويلة في القصة القصيرة وهذه الرواية ،كما يقول "نشرت قصة أولا ،وكانت احداثها أحق بأن تذهب في قصة طويلة ،وهكذا كان " وهذا يذكرنابقصة"أصوات الليل" لجبرا ابراهيم جبراالتي نشرها في مجلة الاداب ،ثم ظهرت في مجموعته (عرق وقصص أخرى) ،ثم اذا هي فصل في روايته "صيادون في شارع ضيق" وفيما يتعلق بـ(مصرع الماس) ،اذا كان مؤلفها قد رأى ان أحداثها أحق بأن تذهب في قصة طويلة ،فيمكنني اعتمادا على هذا القصة الطويلة طبيعة تنامي الحدث ،وتداخل القصص الفرعيةوالموازية ،في هذا الحو العابق برائحة الجنس والموت والاسطورة من خلال آفاق شعبية ،ذات علاقة بالوجدان العربي يمكنني القول انه ليس بعيدا ان نفاجأ مرة ثالثةبـ(مصرع الماس) في رواية طويلة ،تأخذ فيها نفس الاحداث شكلها المتنامي ، وشخصياتها التحليلات الكاملة التي تفصح عن افعالها وكوامنها بشكل اكثر اتساعا ،وانسجاما مع طبيعة الحدث ،التي لم تعطها القصة الطويلةحقها الكامل ،مما يشعرك ان كل الشخصيات التي ماتت او فاجأها الموت (حسنية ،ابو عجاج ،ابو الود ،وديع اليهودي، امتثال ،الماس) ،قد ماتت قبل ان تقول ما كانت تود قوله ،اما دفاعا عن النفس ،أو تعبيرا عما تكنه وتحلم به ،فيما عدا (الماس) بنسبة واضحة ،اذ كان حضوره ممتدا من بداية الرواية

● "مصرع الماس" ـ رواية ـ لياسين رفاعية ، الاهلية للنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨١

Digitized by Birzeit University Library

انه مات قبل ان يفعل العديد من الافعال ويقول الكثير من اقوال .

أما الشخصيات الاجنبية في الرواية ،فهي كذلك ،كانت بحاجة الى فرص اكبر للتعبير عن نفسياتها وتبرير أفعال عديدة أقدمت عليها ، ربما تعتبر غير مبررة روائيا ،وتعتبر شخصية (مدام حوزفين) زوجة الكولونيل ،التي هربت من برودة مادية الغرب ممثلة في جفاف حياتها حتى نهايتها ،مما أتاح له الفرصة كي يتحرك طولا وعرضا معبرا عن نفسه التعبير الملائم لافعاله وللصوره الفريدة من الحرافة والاسطورة التي وضعنا فيها المؤلف منذ الصفحات الاولى ،مما أضفى على الرواية طابعا يجعل القارئ شغوفا باكتشاف الملامح الشخصية لهذا (الماس) ورغم ذلك عندما يضع (الماس في الصفحات الاخيرة للرواية

Digitized by Birzeit University Library

مع زوجها الكولونيل الى دفء روح الشرف في احضان بائع الحليب الريفي ومثلها تماما يهرب الكولونيل الى أحضان وطهارة (امتثال) باحثا عن الدفء الحقيقي والحب الساذج الذى لا يعرف التلون والاصطناع خاصة بعد الحدث الجذرى الذى يغير فكرة القارئ عن الكولونيل، الذى امتلأ حقدا عليه لتغريره بالفتاة الشرقية (امتثال) فيغتصبها مفقدا اياها شرفها أثمن ما تملك، بالاضافة الى اغتصاب بلاده للحرية الوطن واستقلاله. هذا الحدث الجذرى الذى يفاجي بهالقارئ، فيتحول حقده على الكولونيل الى تعاطف معه، وتقدير لنبله هو حبه لامتثال حبا جارفا بريئا طاهرا، أدى به الى الاسلام الحقيقي، وليس مداراة للموقف كي يصل الى جسمها ان العلاقة بين الشرق والغرب من خلال هذا الهروب نحو أحضان الشرق، يحتاج الى أكثر من اللمس السريع. فجوزفين وزوجها الكولونيل جاك (أحمد فيما بعد) ليس من السهل تبرير هروبهما نحو الشرق جوزفين الى احضان بائع الحليب الريفي، والكولونيل الى أحضان امتثال الريفية الساذجة، بهذه السهولة كل واحد منهما كان يريد ان يقول اكثر مما قال، وكان لدى الكاتب الفرصة في أن يترك لهما حرية أوسع، فهما شخصيتان غنيتان، لديهما ما يقولانه، وقد بدأ ذلك من سرعة استجابة الكولونيل لطلب امتثال في المساعدة من أجل اطلاق سراح والدها، وقد فعل ذلك باضافة أن حبه الطاهر قاده الى ادانة احتلال بلاده (فرنسا) لوطن حبيبته، وتبرير فعل المقاومة، وتفهم فعل (أبو عبدو) بقتل وديع اليهودى، جاسوس المحتلين، لان الجاسوس ـ في رأيه ـ خائن للوطن ويستحق القتل لهذا كله قلت. لا يفاجأ القارئ اذا وجد المؤلف وقد طرح عليه (مصرع الماس) من جديد، في رواية تقول فيها نفس الشخصيات اكثر. وتتحرك عبر مساحة أوسع، تمكنها من التعبير عن خواطرها، خاصة ان بعضها يمتلك الكثير، مثل شخصية (أبو الود)، فهو شخصية غنية، لها ماض بطولي في مقارعة الاحتلال الفرنسي، مما جعل الحي كله يعترف بهذه البطولة، ويفتخر كل مواطن بتقديم الخدمات له، وفي الوقت ذاته، هي شخصية تحتاج الى دراسة نفسية، فليس من السهل ان يقود الحب رجلا مثل (أبو الود) الى قبول خيانة زوجته وتبريرها والتستر عليها، ثم الحزن العميق الجارف لموتها، مما يقوده الى الانتحار حزنا وألما، رغم انه ليس قاتلها، ولا يد له في القتل، الا اذا وصل تحليله مع ذاته، أن عجزه الجنسي، أوصلها الى الخيانة الزوجية، التي لم يرها هو خيانة، بعكس رؤية الماس، التي أدت الى أن يقتلها. بمعنى آخر: لولا عجزه الجنسي، لما انحدرت زوجته الى الخيانة، ولما قتلها الماس وهذا ليس من باب العجز او النقص في الرواية ولكنه رأي نراه في غيرها من الروايات، مثل رواية (أيام الحب والموت) لرشاد أبو شاور، فهي ـ على غناها ـ (مشروع) لرواية طويلة، تأخذ فيها نفس الاحداث من خلال الشخصيات ذاتها، تناميها الكامل. والشخصيات من خلال نفس الاحداث تجلياتها الاوسع، التي تعبر عن مواقفها وانفعالاتهـــا

شخصيـات الروايـــــه :

من بين الشخصيات كلها، تسيطر على القارئ، ومن قبله على صفحات شخصية الماس، فهي الشخصية التي تتمحور حولها أحداث الرواية، ويشمل تأثيرها بسحر وغموض، ليس باقي الشخصيات، ولكن حـــي (العقيد) بكامله ان تأثير هذه الشخصية، ينبع من بطولتها وشفافيتها وصدقها، مما

Digitized by Birzeit University Library

يجعل القارئ ينفعل بشدة لمصرعها في نهاية الرواية ،اذ ان المؤلف وضعنا ازاءها في جو اسطوري ،جو البطولة المعطاءه التي تضحي من اجل الاخرين بعذوبةونقاء ،وفي النهاية تموت على يد صديق ،ما كان له أن يفعل ويصل هو نفسه الى هذا الرأى، وبعد فوات الاوان ،اذ أصبح الماس ميتا بجسمه، حيا في ذاكرة الحي بكامله هذا في حين أن تصرفاته ،كانت توحي انه ليس من السهل ان يموت الماس.ماذا هو يموت في لحظه عصبية لصديق عزيز .ولكن بنبل وشهامه ،اذ يكتشف هذا الصديق (أبو عبدو) بعد ان كتبت له السلامة ،ان الماس كان يضربه ضربات سطحية من باب الدفاع عن النفس،في حين انه كان يعمق له الضربات التي أودت بحياته في لحظات سريعـــــه

ورغم الجو الاسطوري الذى وضع فيه الماس،الا انه شخصية واقعية تتحرك بعيدا عن منظور العواطف المتسرعة ،فهو الوحيد الذى حكم عقله في حي العقيبه ازاء حالة(أبو الرجل الذى اقعده النضال ضد الفرنسيين ، فآمن له كل احتياجاته ،لانه عزّ عليه ان يتسول مناضل مثله وقد كان تأمينه لاحتياجات (أبو الود) بطريقة تذكرنا باسلوب صعاليك العرب الذين كانوا يغيرون على الاغنياء ، ليطعموا الفقراء ،وكذلك كان الماس يحصل على احتياجات (أبو الود) من سكان الحي ، خاصة تجاره ،على شكل الاتاوة المبررة لانها لمناضل افعده النضال ضدالمحتلين الفرنسيين وتبدو واقعية الماس وعقلانيته التي تتنافى الى حد ما ــ مع الجو الشعبي المفهوم عنه في تحكمه الصارم في عواطفه ازاء (حسنية) زوجة (أبو الود) .لقد أحبها حبا عنيفا ،الا انه ابتعد عنها احتراما وتقديرا لماضي (أبو الود) النضالي لذلك وجد نفسه مطعونا في الصميم عندما اكتشف خيانة (حسنية) ،اذ لا يليق ــ في نظره ــ بزوجة مناضل ان تخون زوجها ،كما انه اعتبرها خيانه ذاتية لحبه الذى كبته بصرامة .(الماس) شخصية تذكرنا بشخصيات السير الشعبية ،التي لها من القدرة والامكانية .ما يجعلها خارقة .وفي الوقت ذاته، تتغلغل في النفس بسرعة وتأثير محكمين وقد تعامل معها اهل الحي على اساس هذا الاعتبار ،فكلهم يساندونها ويقدمون لها العون وهي تواجه قوى الامن والاحتلال الفرنسي ، وتشعر عند قدومها الى المقهى ،أن لها مكانة خاصة في الوجدان الشعبي الى درجة ان الحكواتي (أبو عبدو) عندما كان يقص السير الشعبية على رواد المقهى. يضع في اعتباره انفعالات الماس بالذات ، لما يرد في قصته وكان الماس يتصرف على المقهى وكأن شبها يربطه بالشخصيات التي يقص عنها الحكواتـــــي

× كل الشخصيات ،كانت تبحث عن تحقيق ذاتها ،وبمنطقها الخاص.دون ان تسأل او تناقش موقف الاخرين.فما دامت القناعة الذاتيةمتوفرة .فالفعل يكون اولا ،دون دراسة النتائج التي تكون غالبا جسيمة ،وتشعر ان الشخصيات لم تكن تستحقها ،لانها تتصرف بمنطق ذاتي ،يعي أبعاد الفعل قبل الاقدام عليه

ــ الماس كان يبحث عن عدالة مفقودة لذلك ينتصر لابي الود ،ويقع حبـــه ، لحسنية ،ويجبر سكان الحي على تقديم الخدمات له ،وعندما يقتل حسنية ((ابو عجاج) يقدم على ذلك انتصارا للعداله ذاتها ،كما يراها ويفهمها

ــ ابو الو د شخصية مليئة بالكوامن والانفعالات.ايمانها بالذات جعلها تحارب الفرنسيين بضراوة ،وترى

Digitized by Birzeit University Library

ان من حق زوجته (حسنية) ممارسة تحقيق ذاتها كامرأة .يلعب الجنس دورا مهما فيها ولما كان عاجزا في هذه الناحية ،لم يعتبر ممارستها للجنس مع (أبو عجاج) خيانة ،انما من باب تحقيق الذات .الذى لو توفر لها بالطريق الشرعي لما بحثت عنه باسلوب غير سوي .لذلك لم يتحمل مقتلها .. كان حبه لها عارما جارفا ،وقد اقتنع انه مسؤول عن انحدارها نحو الهاوية .لذلك ينتحر بطريقة مفجعة ،وكأنه يوقع عقابا بنفسه ، عن جرم هو مسؤول عنـــــه

- أبو عبدو ،حكواتي الحي ،شخصية ليس لها حضور في نفس القارئ ،رغم ان لها بطولات شخصية وطنية ،كقتلها لليهودى وديع ،جاسوس المحتلين الفرنسيين ، تشعر ان حكمه بالموت على ابنته (امتثال) يجعلك لا تتعاطف معه .لان (امتثال) لم تنحدر الى طريق الخطيئة متعمدة ،ان حبها لوالدها (أبو عبدو) واصرارها على انقاذه من السجن ،قادها الى الكولونيل الفرنسي جاك ،ورغم ترددها الدائم عليه لهذا الغرض ،لم ينل منها ما ناله في الليلة الاخيرة ،الا لانها احبته واحبها بصدق أدى به الى ان يشهر اسلامه ،ليتوج حبهما باسلوب طبيعي ينسجم مع العادات والتقاليد الشرقية وكان قد صمم على الزواج منها شرعيا ،بعد ان اسلم ،وأصبح الكولونيل (أحمد) .الا ان تسرعه في تلك الليلة ، أدى بامتثال الى نهاية مفجعة على يد أخيها (عبدو) الذى أخذ التصديق على قرار قتلها من والده في السجن ،وهي نهاية تنسجم مع العادات والتقاليد ،الا أنها في تضاد مع امتداد الحدث الروائي الشخصيات كلها ،مملوءة بالحب العنيف الجارف ،ولولا هذا الحب ،لما كانت نهاية أغلبها الموت ،بهذه الطريقة المفجعة.

البنـــاء الروائـــــي :

حول شخصية الماس ، أقوالا ، وأفعالا ، يتمحور الحدث الروائي ،ولولا هذه الشخصية لظهر القسم الثاني من الرواية ،قصة موازية للحدث في القسم الاول ،دون ان تتشابك معه رغم الجو المشترك بينهما ،العابق بالحب والجنس ،بالدم والجريمة. ان امتداد الماس ـ كحدث وشخصية ـ وتأثير افعالها في الاخرين واعتماد سلوكه منهم بلا وعي طريقا يحتذى جعل قصة امتثال والكولونيل جاك ـ محور القسم الثاني ـ لا تبدو غريبة عن قصة حسنية و(أبو عجاج) في القسم الاول ،رغم اختلاف الدوافع والمنطقات .واذا كان ابو الود مات منتحرا حزنا على حسنية ،فلعل مبارزة (أبو عبدو) غير المبررة لـ (الماس) ،كان يتمنى من خلالها ان يموت حزنا على امتثال ،بعد ان اكتشف الحقيقة من رسالة الكولونيل (أحمد)

وقد كان من الممكن استغلال مقاطع الحكواتي من السيرة الشعبية ،لخدمة النسيج الروائي ، لانها بما جاءت عليه في الرواية بدت وكأنها مفتعلة ،رغم ما لاحظناه من اسقاطات من ملامح شخصيات السيرة على شخصية الماس ،وما يبدو من تشابه بين الجو العام للمقاطع الاخيرة التي رواها الحكواتي (أبو عبدو) .وما أقدم عليه بعد ذلك.

أما أسلوب الرواية ،فقد جاء شفافا نقلنا الى أجواء الرواية شبه السرية ،رغم علنية أغلب أحداثها النساء .. الخمر. الموت. القتل. الحب .. الجريمة .. وهو اسلوب يذكرنا بشعر ياسين رفاعية ،وبالذات في "أنت الحبيبة وأنا العاشق"

Digitized by Birzeit University Library

عذابات الوطن في شعر الشباب في البحرين

في ديوانه الاول "أنين الصواري" (١)، استطاع الشاعر البحراني عبد الله خليفة، أن يحول تجربة الغوص الى معاناة انسانية شاملة، لها بعدها الفكرى الذى يفسر مجمل العلاقات التي كانت تصاحب هذه التجربة، وتنعكس على الانسان في شكل عذابات يومية، كانت مصاحبة للغوص، وتأخذ في المجتمع المعاصر أشكالا حضارية، لها نفس المعاناة، مع تمثلها التطور الحاصل في قوى الانتاج، وما يصاحبه من علاقات انتاجية، تعد استمرارا للعلاقات القديمة في زمن مجتمع البحر، وان عذاب الغوص آنذاك، يحتاج الى فنان مبدع كي ينقله الى صيغ جمالية، لا يطغي فيها الواقع على الفن، ولا يكون الجمال الفني على حساب الواقع، الذى هو اساس التجربة وانطلاقها، ان عملية التوازن بين الواقع والفن دقيقة للغاية، وبالذات في القصيدة الشعرية، فالشاعر غير مطالب بنقل الواقع او نسخه انما عليه تمثل الواقع كمصدر خام أساس للتجربة الوجدانية. لان هذه الطبيعة، عندما تصبح مجالا لا يدة، من الطبيعي ان تختلف من "طبيعة الفن" عنها في "الواقع".

كان الغواص ينزل أعماق البحر لشهور طويلة، يحلم باللؤلؤ الذى هو مصدر رزق أطفاله، الذين يتلهفون لعودته سالما غانما، وهو يقع في كل لحظة تحت ظلم (النواخذا)(٢) حينا، واستغلال (الطواش) (٣) حيناآخر. كان يشقى ويتعذب. يواجه أخطار الغوص في أعماق يسيل دمه، وفي النهاية تستقرالأكف الجميلة على صدور الحسان في العواصم

Digitized by Birzeit University Library

الخليجية والغربية، وثمنها في جيوب أصحاب

قاسم حداد

السفن وملاكها، ويظل هو يرث كل عام دينا جديدا، يضعه النواخذا لدينه السابق، الى ان يرثه ابنه وزوجته بعد وفاته. وتستمر سلسلة العذابات هذه مع الابن والزوجة. الابن يعمل في البحر، في الاعمال نفسها التي صبغت بدم والده، وربما يتزوج النواخذا الزوجة ـ الارملة سدادا لدين الزوج الميت، انها حلقة كل سلاسلها تحكم الطوق والحصار على الغواص ـ العامل، حيا وميتا. وهي من القسوة الى حد ان البعض رأى في حياته شبها من حياة العبيد، قال هاريسون: " يعرف الغواص كعبد فيما تبقى من حياته، انه من الممكن لعبد أسود في الساحل المتصالح ان يهرب من عبوديته، ولكن الغواص في البحرين لا يمكن له استعادة حريته ما دام دينه عليه، فهو لا يمكن ان يغير من ربعمله، مهما عومل بقسوة، ولا يمكنه الفكاك من دينه، انه لا يقرأ ولا وليس هناك شهود على ما يقترضه من ربان السفينـــــه" (٤).

وهكذا فان "الحالة الاقتصادية والاجتماعية لعمال الغوص، الذى كان يشكل مصدرا مهما من الدخل القومي في البحرين، كانت حالة يائسة في جملتها، يكدح العاملون فيها بمشقة للحصول على الكفاف " (٥).

ان تجربة لها هذه الملامح من العنف والقسوة، لا بد ان تترك بصماتها واضحة، وآثارها قاسية، في التجربة الفنية، لدى شعراء البحرين الشباب، الذين تمثلوا هذه القسوة في الحياة بفنية، لم يأت معها الفن نسخا للواقع، انما تعبيرا اجماليا، يستوعب تلك اللحظات، وما تركته من جروح في جسد الانسان وروحه. ان الكبرياء المطعونه ـ الجريحه. انطلاقا من تمثل المستقبل الذى يحلم به هذا الكادح، جعل هذه المعاناة ـ فنيا ـ عزما وتصميمـــــا :

ومتى أرفع رأسي للصواري
شامخا مثل شراعي في فضا كل البحار
ومتى يعلو على " البتيل " في النور
ازاري كالبنود
هنا هنا الانسان في ذاتي يردد :
عاد حقي . . عاد حقي وبزغرد (٦)

ورغم الخطابية المباشرة في نهاية المقطع الا آن على عبد الله خليفة، استطاع ان يحملها ـ من خلال تكثيف الصور المحلية ـ الدلالات المعبرة عن اصرار الانسان وعزمه اذ قرر التخلص من العذابات التي تشكل في مجموعها علاقات غير سوية، تتنافى مـــع انسانيتـــه وطموحـــه .

في ديوانه الثاني "اضاءة لذاكرة الوطن" (٧) يصبح للوطن دلالات خاصة من خلال "الذاكرة" التي تجمع كل اللقطات المأساوية في حياة الفرد والوطن، لتشكل تنويرا للماضي والمستقبل، عبر حاضر غير مستقر، فهو حاضر يغتال كل ما من شأنه ان يوصل للمستقبل الاتي

Digitized by Birzeit University Library

ان الاجهاض مستمر ،والتحدى قائم. في قصيدته "آثار اقدام على الماء" يستعيد تجربة استشهاد المناضل عبد الله حسين نجم أثناء الانتفاضة المجيدة في مارس ١٩٦٥ لتصبح الشهادة علامة الصمود ،وهي العلامة التي طال انتظارها عند الطرفين الطاعن والمطعون.. الشهيد والخصـــم

- " وانتظرناك طويلا
أنا والليل وجدران المدينة.
والشبابيك وكل الطرقات
واستحال الصمت من حولي عيون
ينبض الشوق على أجفانها نبض ارتقاب
وانتظرناك مع النجم تجـــيء
من خلال السحب الدكناء يحلوها الشمال"
هذه هي التجربة أما العلامة فهي.
- " وأرقت فينا شحيرات السراب
فتهاجسنا.. اختبأنا في شوق الانسحار"
- " فاستطالت نحو قلب الشمس هامات
كبرت بنا البساتين.. تنامت
في رياح المستحيل " (٨)

ان لشباب البحرين الشعراء خصوصية معينة ،جعلت الوطن ،اضاءته وذاكرته ،يتمحور حول كافة الرموز الشعرية ،وأهمها: النخلة والبحر، فهامات النخيل تحد للمستقبل، وأعماق البحر تشي بما هو آت ،ولا يعرفه سوى الغواص" أو ابنه ــ الرافض المرفوض ــ الذى يعبر شعرا عن عذابات هذا الوطـــن.

عند قاسم حداد يصبح الشاعر ــ الانسان أكثر التحاما بالوطن ،والوطن يصبح أكثر تألقا. العذاب عنده لا يكمن في سلوكيات الوطن وأهله ،ولكن في عدم التزام الشاعر بالوطن، وتضحياته من أجله كل ذلك من خلال استيعاب وتوظيف الرموز الحضارية ،لتواصل التجربة الشعرية ،في ديوانه الثاني "خروج رأس الحسين من المدن الخائنة" ١٩٧٢ ، ومرورا بديوانه الاول "البشارة" ١٩٧٠ ،تصبح التجربة أكثر عمقا ،مما ينعكس على بناء القصيدة التي ستفيد من التراث ونقاطه المضيئة ،لتحمل دلالات عصرية ،تعبر عن شوق المواطن وألم الوطن ،الذى اصبح كحد السيف:

- اليك على براق الشوق
راحلة قوافل اهلي الفقراء عبر جزيرة
العرب التي تبحث في طريق الليل عن
اسم جديد هذه الايام عن لغة تحاور
نفسها ــ عن نار"

ان طبيعة اللغة في هذه القصيدة ــ وكما يبدو من هذا المقطع ــ تخرج من دلالاتها المألوفه ،وتستعيد تراثا عريقا ،كان مليئا بالاعمال الكبيرة ،من خلال رجال عظام، الوطن هنا يتحرك ،يرفض واقعة ،يبحث عن تسمية جديدة، هذه التسمية تستشرف آفاق المستقبل ،حيث الطبقات الطالعة من قاع المجتمع ،لتأخذ مكانها في الصدارة ،ان البحث عن الاسم الجديد ،من خلال لغة تحاور نفسها يتوضح في ديوانه الثالث "الدم الثاني" (٩) الا ان النار تكاد تحرق كل شيء في الوطن ،فلا بد للدم ان يراق ،في سبيل الوطن وأشيائه ،ان اراقة الدم ليس.

- " لا وقت للكلمات المعاره من جدول الصمت
ولا وقت للكلمات.
لكن خذوا قدمي. سوف تمشي على كل لغم
وتنسف كل الخرائط. لكن خذوني
حولتني العشق شيئا من النار
شيئا من الماء " (١٠).

انه يتعمد هنا بالنار مرة ،وبالماء مرة أخرى ،في سبيل الوطن ،حيث "كل السلاطين

Digitized by Birzeit University Library

آحذية للغزاة" و"بلادى نوافذها وابوابها للعسكر مفتوحة كالسماء" و"التاريخ في زنزانة البنك".

في ديوانه"القيامة" (١١) تتطور القصيدة عند قاسم حداد، بشكل يجعلك حائرا في اطلاق تسمية على هذه القصيدة، التجربة الشعرية واحدة، بتنويعات لكن القصيدة تأخذ طابعا خاصا، فهي تعتمد اسلوب القطع السينمائي، عبر المشاهد المتتابعة من لقطة الى أخرى، تبدو أحيانا متنافرة، لكنها تخدم ما يمكن أن يسمى التصعيد الذى تودالقصيدة، ان تصل اليه.

- "هذا وطني
احمله وأسير وابحث عن رأس أحمله
والرأس هناك هناك
فخذني
هات الرأس أقوم واقلب قاعات الكون
تقلص حتى كاد يصير قديدا
اقترب التابوت الى ساقي
صرخت" (١٢).

وفي مقطع بعنوان"مرآة الاغتسال" يقول:

- "رأيت خيول النار السبعة تركض في طريق الليل تجر الشمس الغافله العينين
رأيت الاطفال المعروفين يطوفون الطرق الحلوة في مدن الليل
يغنون لضوء الشمس المنساب المنسكب المتدفق عبر أزقة أرض الناس المقهورين
رأيت الناس تطل على الضوء الباهر يطرق حزن الشمس نوافذهم" (١٣)

ان اسلوب القصيدة في ديوانه (القيامة) يأخذ بعض السمات الخاصة فيغلبها بشكل واضح. ربما لانها تعبر عن نفسية الشاعر وفكرة يلاحظ ان الشاعر يغلب صيغ التأكيد والقدرة واليقين. ويكثر من استعمال الفعل (رأى) متصلا بضمير الرفع (التاء) يعطي من خلاله وقعا معينا، يحتار المر غير المعايش لشعر قاسم حداد في تحديده، انه الايمان بما سيحققه جيش الصعاليك. والصعاليك هنا ليس بالمعنى اليومي المبتذل. ولكن بما في التسمية من معان تراثية، جسّدها عروة بن الورد وصحبه، حيث كان الحق والعدالة المفقودة، وراء كل صرخة أطلقوها، وكل سهم رموه، وكل غارة شنوها، ان صعاليك الشرق في زمننا الحالي، مناط بهم من المسؤوليات والطموحات، ما يجعل للقصيدة طابع النبوءة ـ اليقين:

هوامش:

١) أنين الصواري ـ علي عبد الله خليفة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩.
٢) النواخذا ـ قائد السفينة.
٣) الطواش ـ تاجر اللؤلؤ.
٤) نقلا عن كتاب "قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين" للدكتور محمد الرميحي، مؤسسة الوحدة، الكويت ١٩٧٦، ص ٨٣.
٥) المرجع السابق ص ٨٦.
٦) أنين الصواري ص ٥٤ ـ ٥٥.
٧) اضاءة لذاكرة الوطن ـ علي عبد الله خليفة، دار الاداب، بيروت ١٩٧٣.
٨) اضاءة لذاكرة الوطن ص ١٢ ـ ١٧.
٩) الدم الثاني ـ قاسم حداد، دار الغد البحرين ١٩٧٦.
١٠) الدم الثاني ص ١٠
١١) القيامة ـ قاسم حداد دار ابن رشد بيروت ١٩٨٠
١٢) القيامة ص ٤٩.
١٣) القيامة ص ٥٢.

Digitized by Birzeit University Library

فاتحة القصائد

عبد الكريم العوده

في الشارع الشرقي ،كنا ننهب الخطوات ،نحو
مقاعـــد (..)
كنا ننهب الخطوات نحو الفندق الشرقي في
طـرف المـدينـة
نجلـس في السـرادق
نشـرب قهـوة الاحزان
يأخذنا الحـديث الغـض
والصبـوات..تأخذ غايتها الجميلة
نشرب ماء رغبتنا الطرية ،والمياةغزيزة ،نبتـل
كنا كما يبتل عصفور ،فيهبط،تحت سقف سارية
تتضاجع ،حول رقابنا الكلمات ،نلمس حافـة
الكلمـــات
نلمـس بعض احـرفهـا
فذلك وجهنـا السـرى
كـان الفنـدق الشرقي مبتهجـا ،
وكـــان الحـــزن
كـان الفندق الشرقي منفردا ،تحيـــط بـــه
الفراسخ ،والمنائـر ، والصفيـــح ...
أهذا الوقـت مبتـدأ ...؟
وهـذا الصمـت في عينيك فاتحة العذاب
العـــذاب
لولا الحزن مـا كنا على وعـد
نفتـت قسـوة الصحـــراء
نعشـــق نخـل (داريـــن)

نمـر منازل الفقراء في بابالمدينة ، مسرح
في قاع المدينة .. هل رأيت...؟
كما ترين .. الوقـت كان فاتحـة

وكان صباحنا عشقـا واسئلـة
نهاجر في غضون الليل ، نحو الغرفة ـ المنفى
نبارك خطوة الآتين ،كالاشجار كالانهار
مثل عقارب الصحراء ،لا ماء ،ولا زاد
يضيء رماد وحشتهـم
سوى الطرفات تكسـر صمتهـا الابدى
سـوى التاريخ يشهد موت سيـده
سـوانا حين نشـرب نخب اعينهـم
وننهل ماء (تمرتهم) على عطش
هناك ترقص الصحراء عاربة
وتورق في عيـون الخيل امال مسـرجة
وحين تقلهـا الهضبات من نجـد
وتمنحـــا الجبال السمر لهفتهـا
تضـح الارض بالاسـرار
تودع في عذوق النخل سر الصرخـةالاولى
تمر بنا الخيول الحمر مسرعة ،وقد وردت
على ماء بباديـة الحجـاز
فهفـت الاوراق للفـرح ـ
الرســـول

هذاالنخـل من (جيـزان)
مـــن (نجـــران)
مـن بوابة (الاحســاء)
مـن نبع (القصيم) جـرى
فكـــان الشعـر ...
كان الموت يمعن في توددة)
وصرنا ننهب الخطوات نحو الفندق الشرقي

Digitized by Birzeit University Library

نذكر كيف مات الموت ، جاع الجوع
صار الرعب اغنية على الطرقات
صار الرعب اغنيـة ـ
تفجر شهوة الكلمات
هذا الوقت فاتحة في عينيك ،نبع قصائدى
الظمـأى
تفوليـن المدى رحـب .
وثارعنا الذى هدموه لن ينسى طفولتـه
تقولين المدى بيت ومدرسة
وحين تغادرين البيت ، تأخذك المواعيد
كأن مداخل الطرقات لم تأبه لمشيتنـا ،وشكل
لباسنـا المرتاب، رجفة صوتنا الشجرى يطلع
من غبار الرمل

ننظـر في وجوه الناس عند تجمع العربات ،في
الشارات
يقتلهـم لهاث الشمـس ...
يفجأهـم نداء البائع الجوال محتضنا جرائدة
تباغتهم عناوين مهذبة ،فتمنحهم سكون
الارنـب القروى
تزرع في مفاصلهم ثمار شجيرات الصبار
والبـرقات
تلك نهاية الاوقات ،فاتحة القصائد في شغاف
القلـب
أنت قصيـدتـي الاولـى
سيكتبهـا الصغـار على دفاترهـم
ستحملهـا حقائبهم ، كوقع الموكب التترى
أنـت قصيدتـي الاولى
سأكتـب فيك ما اهواه ، من وطني
ومـن عينيـك
أسبح في غديـرهمـا
أكون سؤال صعلوك ، تبعثـر في فجاج الارض
أوقد نار شهوتـه ، على الفلوات
أنت قصيـدة الاوقـات
حيـن تريـن اسئلتي تخـف اليـك
تسأل عن بذور العشق ، واللعنـات
كونـي ارحم اللعنات
في وجـهي
أو انبثقـي ـ
انبثـاق شـرارة المنفـي ...

جريـدة الرياض

Digitized by Birzeit University Library

فجـــر جـــديد

شعـــر / مـــاجد ابو غوش

يأخذ العاشق
شكل الجرح الذى لا يلتئم
أو شكل الخبز
على مائدة الفقراء
يسير بنا
نحو فجر جديد
يلوح من خلق الأفق
نحو لون جديد
لطعم الفرح
نحو معنى جديد
لقوس قزح
وأجيء اليكم
كما الحب المستحيل
كما "الدرويش"
يعود الى ربتا
وعصافر الجليل
ابحث عن عشقي المخبأ
في ثنايا الرماد
عن قمح
سرقوه قبل الحصاد
عن أسماء جميلة
لاطفال ذبحوا في الولادة
عن لون جديد
لطعم الخمر
في فمـــي
عن الموت المؤجل
في دمـــي
— في الجلزون —
عيون الاطفال
وفي أعينهم حلم لم يتحقق
لرغيف او كوب لبن
يحلم أطفال الجلزون
بسابقهم شبح الموت
فيصرعهم
ويظل حواليهم
نبقـــى
نصرّ على ان نبقى
نتشبث بالامل الرابض
في عين رفيق
نخلق ادوات الحلم بأيدينا
ننتظر الحب القادم
من جوف الارض
يقلع هذا العوسج
يطرد عتمة ليل طال
فتخضرّ الارض
ويملأ هذا العناب حديقتنا
ويغطي ابواب مخيمنا

• • •

هل نلتقي على ما يفرقنا
ونهرب من عشق البحر
الى رائحة الدم !؟
يا رفيـــق :—
بين حبّات المطر
وقطرات الندى
على وجهك الثورى
يكون اللقاء
بين صرختك الابيه
ونافورة دمي
يكون اللقاء
من صدور الكادحين
من أغاني الشعراء
من سواعدنا
التي لا تلتوى
من دمك
المعمّد في دمـــي
تولد جبهتنا العويـــة

Digitized by Birzeit University Library

شعر

فقيـــر يمـــــارس ... الحلـــم والسكـــــر ..

(الى كل الناس البسطاء)
(في هذا الزمن القاسي)

أعشقك بالحزن كثيرا
ارسمك على الخشب بحبات الدمـــع
ابكي ـ حتى اللادمع ـ واسكر
بالحزن / بالنوم بالطرقات
بعينيك الحالمتين / ووجهك الشاحب الحزين
أسكـــــر
بالجوع / بالقهر / بالموت اليومي
بالجريدة الصفراء ـ بالتضخم المالي /
بلوائح الغـــــلاء

× × ×

تفر من عينيّ حبات الدمع
الى حدود الضوء الابدى
اتفقد باصابع القلب قبور الشهداء
اقرأ على جسر الليل
سورة الايتام
وسورة الفقراء
واسقي العشب الاصفر الذابل
بدموع الصلوات
واعود الى محراب عينيك .. لاسكـــــر

× × ×

بالشعب الجالس على عتبات الصحراء أسكر
بالطرقات بالحقائب تمضي وتمضي بعيدا
بجواز السفر المختوم ألف مرة اسكر
بالبدو بفناجين القهوة المرّة
بامجادنا الصفراء
بمصالح الدول الكبرى اسكر..

يعقوب احمد

يا ولاد نابنس والخليل
يرشقون الدبابات بالحجارة الصغيرة أسكـــر
بالانسان الطيب البسيـــــط
أسكـــــــر
بمخيم فقير
يقرأ في الليل قرآنا
ويلد بالصمت رجالا
اكتب بالوشم الغجرى
موالا على جسدى واسكـــر ..
بأمرأة تبكي في الليل
من الجوع ومن القهر كثيرا
بأطفال ينامون على كتب المدرسة أسكر

بعين جفت بها حبت الدمع
وجرحتها رياح الصحراء
بعاشقة قتل عاشقها
اجمع حبات الدمع الليلي
عن مخبأتها وأسكر ..
بالشعب الجائع الاتي
من خلف الاسوار..
يرفع القرآن على الصدور
ويزحف نحو القصور..
يلوح بالشمس ..
وبالحب .. وبالزهور لكل الناس
اقول ـ انا الجسر ...
اعبروا فوق جســدى ....
الى الفجر المشرق الاخضـــــر..

Digitized by Birzeit University Library

مع الفنان عصام حلّس / غزة

أُجرى اللقاء: طلعت الصفدى

خريج كلية التربية الفنية ـ جامعة حلوان ـ والحائز على درجة الامتياز، يقوم الان بالاعداد لرسالة الماجستير في التربية الفنية. وهو من مواليد مدينة غزة ـ الشجاعية. اقام مجموعة من المعارض في المناطق المحتلة وفي القاهرة. وحصل على جائزة الفنون الاولى في معرض الطلائع بالقاهرة. يعمل الان مدرسا للتربية الفنية في مدارس الوكالة.

في ختام معرض التربية الفنية الاول لرسوم تلاميذ مدرسة الفلاح الاعدادية والابتدائية للاجئين بغزة، كان لنا هذا اللقاء مع مدرس التربية الفنية الفنان عصام حلس

لماذا هذا المعرض ؟

ايمانا بقيمة المعارض الفنية واثرها في تنوير الاذهان وبعث النشاط الفني من رقاده وانها صدى مباشر من اصداء التربية الفنية المتكاملة، ونتيجة طبيعية لعصارة القرائح والاذواق والافكار وتأكيدا لتخطي كل العراقيل والصعوبات التي تقف حجر عثرة امامنا مهما بلغ مداها..

ولهذا نبهت الى ضرورة اقامته بصورتي وانماط متعددة، وبذلنا كل جهد في الدعوة اليه والترغيب فيه وتشجيعه. ولعلنا نستطيع بسهولة ان ندرك الفرق البعيد بين المعارض الفنية لاعمال التلاميذ في ماضيها الغابر وحاضرها المشهود... لما تقتضيه هذه الفترة من الامانة والصدق في العمل الفني فجاء المعرض دليلا صادقا ليثبت للقائمين على

Digitized by Birzeit University Library

تنظيم المعارض والمشرفين على اقامتها ان يتزودوا بالشجاعة النفسية والخلق الرياضي في اختيار المعروضات التي ينبغي ان تمثل فيها مجهود التلاميذ بصراحة وامانة. وان يحل الجديد الصالح محل القديم البالي.

واني اؤكد لكم ان هذا الروح الجميل لو ساد بيننا، وتحددت خطة الهدم وخطة البناء. وبذلت الجهود المتعارضة في التنقيب عن الاصالة الفنية، وفي تنفيذ ما امنتم به لتغير وجه الامة في كثير من الامور....

كيف تقيم مدرس التربية الفنية من خلال مـــادتـــــه ؟

لعل من الامور التي عاونت على نهوض التربية الفنية في العالم المتحضر، هو التفكير في اعداد المعلم اعدادا خاصا متكاملا، اعدادا يجعله قادرا على تفهم رسالته كفنان وكمرب في آن واحد، اعدادا اساسه الدراية التامة بنفسية المتعلم وطبيعته وسير نموه، والاعتراف بقدراته الذاتية وتقدير آثاره وخلقه الفني...

وعلى الرغم من اعترافنا بما خطته التربية الفنية عن غيرها من المواد الاخرى وعلى الرغم من تطورها السريع الملحوظ، الا ان من الصراحة المرة ان اقول: ان معظم هذا الجهد وهذا النمو قد تحول عن مدارس المرحلة الابتدائية التي حرمت من المدرس المتخصص في التربية الفنية، فمدرس الفصل الذى لم يؤهل التأهيل الفني الكافي لا يستطيع بأى حال ان ينهض بالعبء وبالتبعة العظمى في تنشأة

Digitized by Birzeit University Library

الصغار النشأة الفنية الواجبة والدليل على هذا ناطق بما نلمسه الان من تأخر ونقص وهبوط وعجز في مستوى هذه المرحلة...

اننا في مسيس الحاجة الى العناية بهذه المرحلة عنايتنا لغيرها اذا اردنا أن ينشأ الجيل الصاعد نشأة فنية قويمة وليس هناك من سبيل الا باختيار المدرس الصالح الممتاز الذى يستطيع ان يقود القافله قيادة حكيمة في طريقها الممتد الطويل ومعتركها المملوء بالمشكلات والصعاب...

كيف تفسر عدم الاقبال على المعارض الفنية لرسوم الاطفـــال ؟

لست في حاجة هنا الى تكرار القول فالطفل له الانتاج المعترف به عالميا، لما فيه من لمسات صادقة حساسة تكشف عن الخلجات الصريحة المرتبطة بعواطفه وافكاره التي لا يستطيع الكبير ان ينعمقها او ان ينفذ اليها لتفسير مدلولاتها وظلالها النفسية وذلك لغياب التذوق الفني: فالتذوق الفني وسيلة فعالة من وسائل التربية المنظمة، وهو مذهب العقول الناضجة والنفوس المستنيرة وهو قرين الموهبة والاقتدار. ولا يجوز لنا في الحقيقة ان نهمل شأنه سواء في المدرسة ام خارجها. ولا يتوافر الذوق الفني الا بعد أن تغذى العقول وتثقف الطباع ويقوم الخلق، وترقى الحياة. وهنا يظهر واجب مدرس التربية الفنية ان يغرس في نفوس الناشئة منذ خطوتهم الباكرة عادة الذوق الفني بما يلمس الشكل واللون والملمس والمظهر والعلاقات والموازنات والانغام الخطية وانغام السطوح حتى يشبوا عن الطوق مزودين بهذه الثروة من المعلومات، وهذه الشحنة من الاحاسيس الدقيقه والمشاعر الحية التي تقودهم الى ادراك القيم الفنية والاقادة على نطاق واسع. وبذلك يصبح مجتمعنا جديرا بان يثمر العبقريات الفنية ذات الطاقات العميقة والشاملة...

متى ينشأ الخلق والابتكار ؟

بالحرية.... لن يبلغ الشباب اهدافه البعيدة ـــ ومجده المنشود الا اذا اتيحت له الحرية الفنية الكاملة. الحرية المنظمة التي تأبى القيد وتكره القهر، الحرية المشروعة حيث الفكر والخيال والارادة والشعور بالذات ـ عندئذ تلوح القدرة الغلابه على خلق الابتكار الجديد. والفن الرفيع لا يقوم ولا ينهض على غير الخلق والبتار والابداع عما يجيش في الصدور وفي النفس من شتى الانفعالات والخلجات والتأملات الذاتية والوجدانية.

اما التقليد فهو ضرب من ضروب الضعف والجمود، ومظهر من مظاهر العجز، ودور من ادوار الانحطاط والتشويه والانحلال، وهو خارج عن بيئتة غير البيئة الاصلية وجو غير جو، وقوم غير القوم. ولهذا فاني احذر الشباب من خطره وعاقبته وبخاصة في الناحية الفنية.

ما هو دور الصحافة في التربية الفنية؟

من التبعات الهامة التي تقع على عاتق الصحافة اشاعة الذوق الفني ونشر التربية الفنية بين المواطنين والدعوة لها بمختلف السبل ولا اظنني مغاليا ان قلت ان

Digitized by Birzeit University Library

الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية وغيرها لم تحقق بعد هذا الدور، ولم توفق الى انتقاء الشخصيات القديرة التي تعرف شيئا عن الخطوط والاتجاهات الفنية التي تكون بدورها الهيكل العام للتربية الفنية بما لديها من خبرات ومواهب أن تكتب عنها كتابة ملمة واعية يمكن على ضوئها تزويد القراء بمعرفة أثرى وتفكير اصفى. والواقع الملموس ان معظم هؤلاء الكتاب ليسو على جانب من الثقافة الفنية الرفيعة والخبرة العملية الواسعة التي تؤهلهم للقيام بواجبهم كفئة ممتازة تسعى الى خدمة المجتمع خدمة فعالة وتقوم بدور المرشد في تقويم الاذواق وتنظيم الافكار وتوجيه الثقافة الفنية على هدى الاحاطه التامة بأصولها ووقائعها وتقديم الحلول الممكنة بشأنها...

ومما يدعو الى الاسف ان بعض الفنانين ليس لديه الدراية الكافية ولا الثقافة الفنية الجادة التي تمكنهم ايضا من التعمق في التاريخ الحضارى والفني لهذا الشعب الذى تحمل من المآسي ما ينوء عنه بنو البشر...فنحن اليوم بحاجة لعملية ضبط لكل هذه الكوادر العلمية والادبية والفنية، بحاجة الى الفنان المثقف الذى يعي كل ما يدور حوله وهذا لا يقتصر على الفنان، بل على كل فرد في المجتمع الذى يعيش فيه حتى نستطيع ان نرتقي ونتطور ونواكب الركب الحضارى...

كيف يمكن تأكيد الطابع الفني الاصيل؟

اننا امة لها ماض جليل، وتاريخ عريق حافل بالقوة والعظمة وبالشواهد الكثيرة على تأصيل الحضارة الفلسطينية التي تمتد الى ابعد العصور...والقضية في نظرى هي قضية التراث الفلسطيني الذى يتعرض اليوم للنهب والسلب ونحن نغوص في تيارات ابعدتنا كثيرا عنه...

وحقيقة واقعية اننا شعب يتطلع في ثقة وامل الى مستقبل زاهر قريب ويؤمن بحتمية انتصار هذه الامة مهما حدث ويحدث من ازمات ومحن...وهنا لا اريد ان اطيل عليك لان قضية التراث خطيره وكبيرة فهي كالنبع الذى لا ينضب معينه ننهل منه لتأكيد طابعنا وشخصيتنا القومية...

هل الفن ضرورة وهل نحن في حاجة حقيقية اليه ؟

يختلف الناس فيما بينهم .فمنهم من يتأثر في حياته بماديات وجوده التي لا تتعدى شؤون معاشه من مأكل ومشرب ومأوى وملبس، وهؤلاء هم دهماء البشرية الذين لا يمكن ان يتطور بهم مجتمع او تنهض عن طريقهم حياة. ولكن المجتمع يرقى ويتطور، والامة تسمو وتتقدم بجهود طائفة مختارة من ابنائها وهبت الاحساس الفني، وتميزت بالمشاعر الرقيقة، ترى ببصيرتها حقائق الوجود ومعاني الحياة الانسانية وتستشف اسرار الكون، وتلمح القيم والعلاقات الجمالية في تناسق الاشكال والمساحات والالوان. ومن ثم فالشباب الناهض المثقف الذى هو عدة

Digitized by Birzeit University Library

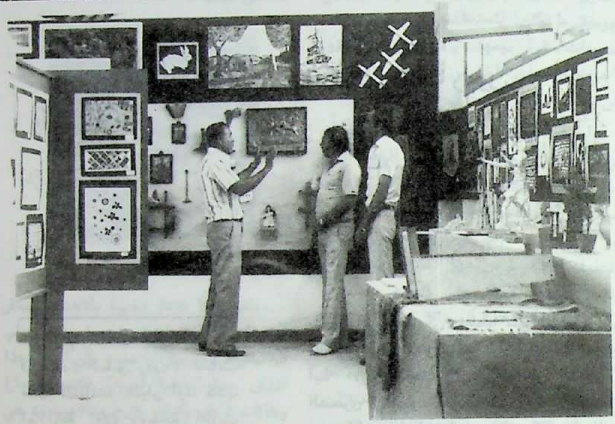

الامة واملها، ومعقد رجائها ومصدر قوتها ينبغي ان يؤمن اولا بالفن كضرورة اجتماعية اساسية في حياته . يحس الحاجة اليه ، ويشعر بجلال الدور الذي يحققه في كل شأن من شؤونه وان يكرس له بعض الوقت والجهد والتفكير مع قيامه بدعوة ايجابية مستمرة لاشعار الافراد والجماعات بقيمته واثره ونفعه، وبالتالي لحملهم على هضمه وتعميم مبادئه.. ومن هنا تبرز حاجتنا الى الفن بعامة . وحاجة الشباب اليه بخاصة، لان الشباب اكثر من غيره تذوقا ، واسرع من سواه استجابه واندماجا في مياديئه...

وفي الختام أين أنت من الفنانين الفلسطينيين ؟

في الحقيقة انت تسأل وانا ايضا اتساءل اين الفنانون الفلسطينيون الان ؟.. حقيقة مرة قد تكون من العسير او من التعسف ان نتوقع الكثير مما نريد في هذا الظرف فالفنان اصبح اليوم يكرر نفسه في اعماله...وهذا يدل على انه يلوذ الى الجمود ويخلد الى الخمول والكسل الذهني...والواجب ان يتصل بنشاطه الفني والثقافي في المظهر والجوهر داخل العمل الفني وخارجه فيكون انتاجه الخاص، وتكون آثاره اشبه بلوح تنعكس عليه ظلال شخصية واخيلته وتجاربه وصور خواطره ومدخرات نفسه وتأملاته ودراساته... بهذا ينمو مع فنه..واذا كان هناك مكان فأنا اجده بين تلاميذي وما اقدمه لهم في مجال التربية الفنية على اساس تربوي ومنهج سليم يكفل للتلميذ ان يخرج بمحصلة فنية تجعله قادرا على التذوق والانتاج الفني..وحتى نقطع على البعض تلك الاتهامات الباطلة بأننا نعيش في مجتمع تغيب عنه روح التذوق الفني.

Digitized by Birzeit University Library

الاحتلال المأزوم والكتاب المتأزمون

بقلم / جميل السلحوت

طرح الكاتب خير الدين يزن في العدد السابق "رقم ٣٩" للكاتب قضية للمناقشة بعنوان أزمة كاتب أم أزمة قارئ، ويلخص الكاتب قضيته بقوله "تتلخص هذه القضية في ان الجزء الاكبر من المواد الادبية، سواء أكانت نثراً أم شعراً لم تعد مفهومة للقارئ، ترى اين يكمن العيب أهو في غموض الكتّاب انفسهم أم في تدني مستوى القارئ ؟! أهي أزمة كاتب أم أزمة قارئ؟".

لقد سبق وأن طرحت هذا الموضوع على صفحة الشعب الادبية قبل حوالي السنتين والذي قرأ الموضوع في حينه كان بأمكانه ان يحدد جانبا من جوانب الازمة وذلك من خلال الفراغات التي كانت في الموضوع حيث ان الرقابة على الصحف قد شوهت الموضوع من كثرة الفقرات والجمل التي حذفت منه، أي بصورة أخرى فان أزمة المحتلين قد وضعت الكتاب أمام خيارين احلاهما مرّ وهما اما ان يكتبوا مواضيع لا تتعلق بحياة شعبهم او ان يلجأوا الى الرمز كي يتخطوا مقص الرقيب . فالديمقراطية" الاسرائيلية تريد الكاتب من ابناء الارض المحتلة ان يكتب عن التمييز العنصري في جنوب افريقيا مثلا ؛ اما ان يكتب عن معاناة شعبه والاضطهاد الذى يلاقيه فهذا أمر محظور عليه . وامام هذا الواقع نجد انفسنا امام خيارات صعبة منها العزوف عن الكتابة بشكل عام وهذا ما يبغيه الاحتلال واما ان نكتب موضوعا لا يراه القارئ الاّ مشوها وغير مفهوم نتيجة لمقص الرقيب واما ان نلجأ الى الرمز .

يقول الجاحظ "الادب الجيد هو الذى يفهمه عامة الناس " ويقول ابن المقفع في تعريفه للادب " الادب هو ذاك الكلام المنمق الجميل الذى اذا قرأه الجاهل ظن انه يحسن مثله" . واذا ما تمحصنا هذين الرأيين نجد ان صاحبنا خير الدين يزن على حق . فبعض الكتاب أغرق في الرمزية بحيث ان كتاباته أصبحت غير مفهومة حتى لديه فالشاعر والاديب علي الخليلي مثلا في "صرخاته" التي كان يكتبها في صحيفة الفجر المقدسية والتي تضمنها كتاب "الكتابه بالاصابع المقيدة" كانتكل صرخة مرتبطة بحدث سياسي آنـي

Digitized by Birzeit University Library

والقارئ الذى لم يكن يتابع نشرات الاخبار اليومية ما كان باستطاعته ان يفهم تلك الصرخات في يومها ، اما الان فانني اكاد أجزم بان علي الخليلي نفسه لن يفهم ما كان يقصده بتلك الصرخات ...

أما عن قضية الازمة هل هي أزمة كاتب أم أزمة قارئ فلعل القراء يذكرون الندوة التي نشرت على صفحات الفجر الادبي،التي نشرت في عدد آذار ١٩٨٢ حين طرح ابراهيم جوهر سؤالا حول الازمة وحاول الزميل علي الخليلي التهرب من هذا السؤال لولا اصرار الزميل أسعد الأسعد على تثبيته . ولعلهم يذكرون ما اثار هذا السؤال من ردود فعل ولعل الدكتور اميل توما رئيس تحرير مجلة "الجديد" الحيفاوية قد وضع النقاط على الحروف عندما اعتبر الازمة أزمة احتلال، ذاك الاحتلال الذى يحاصر الثقافة والادب

علي الخليلـــي

وأنا اضيف بانها أزمة كتـــاب ايضا ، وذلك بأن الكاتب يستطيع ان يتخطى مقص الرقيب عن طريق التلاعب بالالفاظ وليس عن طريق الرمز المغرق . ولا علاقة للقارئ بهذه الازمة لان بعض الكتابات مهما كان التحصيل العلمي والثقافي للقارئ فانه لا يستطيع فهمها .

اميل حبيبـــي

وتبرز هنا نقطة جديرة بالاهتمام فبعض الشعراء والكتاب الشبان اخذوا يقلدون علي الخليلي في رمزيته ظنا منهم بأن الرمز بهذا الشكل يمثل "مذهبا أدبيا" فكتبوا أشعارا ومقالات لا هي بالشعر ولا هي بالادب ولا هي أيضا مفهومة لا لهم ولا للقراء اما بعض الكتابات فان القارئ لا يستطيع فهمها لا لكونها رمزا مغرقا بل لكونها لا تقرأ وانما تشاهد فعلى سبيل المثال رائعة الكاتب الكبير اميل حبيبي "لكع بن لكع" لم يفهمها كثير من القراء لا لكونها غير مفهومة بل لخطأ في القراء أنفسهم حيث قارنوها بعمل آخر لنفس الاديب وهو " الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل " ولعل مخرج المسرحية وليد القوتلي أحسن من وضح هذه النقطة عندما قال "النص المسرحي يشاهد على خشبة المسرح ولا يقرأ قراءة ولا يقارن بأى صنف ادبي آخر كالرواية مثلا " .

ولعل أزمة الكتاب تتجلى بالازمة التي يعيشها السادة لجنة الادارة لدائرة الكتاب في الملتقى الفكرى العربي ، فبالرغم من أنهم يمثلون نخبة من كتاب الارض المحتلة الا انهم اظهروا أزمتهم بعدم قدرتهم على عمل أى شيء خلال عامهم هذا .

Digitized by Birzeit University Library

بالقلم العريض

بقلم / محمود عبد الرحيم

سكان المناطق المحتلة أكتووا بنار "الديمقراطية" الاسرائيلية بشكل لا يصدقه أنسان متحضر في هذه الفترة الزمنية حتى ان سياط هذه "الديمقراطية " تكاد تكون مرسومة على جسد كل واحد منهم . فما ان اعلن عن تنحية البروفسور الجامعي مناحيم ميلسون الرئيس السابق لما يعرف بالادارة المدنية . حتى اطل عليهم بروفيسورا آخر هو وزير الحرب الاسرائيلي موشيه أرنس الذى قال "انه ملزم بفرض التعايش بين اليهود والعرب في كل مكان من "ارض اسرائيل "بما في ذلك الخليل "" واضاف لا فض فوه من على منبر الكنيست الاسرائيلي "لماذا لا يريد العرب ان يسكن اليهود في الخليل ،الان شكل اليهودى لا يعجبهم؟ لا يمكن السماح بذلك في دولة اسرائيل ..... ان دولة اسرائيل انسانية ديمقراطية ولذلك ستفرض التعايش السلمي على العرب فرضا" . ان التعايش لا يمكن ان يفرض على أى شعب فرضا وهذا ما اكتشفه مواطنون اسرائيليون يهود من أمثال اورى ديفيز ويتسحاق هنجفي الذين يرفضون السكن في بيوت كان يملكها اباؤهم في مدينة الخليل طالما ترفض الديمقراطية الاسرائيلية اعادة العرب الى بيوتهم التي يسكنها يهود فيما وراء الخط الاخضر . فاذا ترك اليهود حيا لا يصل عدد بيوته العشرة في مدينة الخليل فان العرب قد تركوا مدنا وقرى بكاملها داخل الخط الاخضر والعرب عندما يرفضون سكن اليهود في الخليل لا لان شكل اليهودى لا يعجبهم كما زعم الوزير ، فهو يعلم ان اليهود يعيشون في العالم العربي ويحصلون على كافة حقوقهم ومن هاجر منهم الى اسرائيل فانه ما زال يتحسر على الايام الخوالي التي عاشها مع العرب ،ولكن العرب يرفضون سكن اليهود في الخليل وفي كافة المناطق المحتلة رفضا للغطرسة الاسرائيلية وللاحتلال . اما انسانية وديمقراطية اسرائيل فهذه تهمة لاسرائيل تدحضها الاقوال والافعال ففي داخل الخط الاخضر رفض الكنيست الاسرائيلي مساواة حتى مخصصات التأمين الوطني بين الاطفال اليهود والعرب ولعل موشيه آرنس شاهد على شاشة التلفزيون الاسرائيلي ان لم تصله التقارير جنودا اسرائيليين تتجلى" انسانيتهم" باطلاق النار على الاطفال والنساء ناهيك عن تكسير الايدى والارجل والاضلاع ،اما نهب الممتلكات واحراق المزروعات فحدث ولا حرج يا سعادة الوزير ، واما انسانية المستوطنين المدججين بالسلاح " فانها انسانية" يشيب لهولها الاطفال . ولعل اكبر شاهد على ذلك ما نقلته الاذاعة الاسرائيلية من ان مريم ليفنجر زوجة الحاخام ليفنجر " "مختار مستوطنة كريات أربع "رفضت اسعاف المستوطن القتيل اهرون غروس ظنا منها انه عربي . فهل يا ترى ان الوزير البروفيسور عندما يتحدث عن الديمقراطية ينسى العرب على اعتبار انهم ليسوا بشرا او يمشون على اربع كما صرح رئيس وزرائه مناحيم بيغن .

Digitized by Birzeit University Library

تلفزيون

سينمـــــا ٨٣
برنامج جيـــــد .... ولكـــــن

بقلم / خير الدين يزن

منذ اشهر والتلفزيون الاردني يقدم برنامجا اسبوعيا بعنوان "سينما ٨٣" ،يعرض فيه حسان ابو غنيمه آخر ما أنتجته شركات السينما العالمية والعربية ،مادة البرنامـج ، والحق يقال ،جيدةبشكل عام ،وطريقة العرض لا غبـار عليهـــا .

غير أن تفاؤلنا لم يدم طويلا ،ذلك ان أجهزة الرقابة الاردنيه أبت الا ان تدكرنا بطبيعة النظام ،حيث أكدت اسلوبها ،ونهجها في حلقة يوم السبت في ٨٣/٧/٢، حيث استعرضت مقدمة البرنامج جمانه مجليّ ، فيلم كفر قاسم وأبدعت في عرضها للفيلم ، وأثنت على برهان علوية مخرج الفيلم ،ولكنها وصلت الى النقاش الذى دار بين الشاب الشيوعي ،الذى ذهب لزيارة تل أبيب ، والتقى هناك احد أصدقائه من أبناء قرية كفر قاسم الذى اضطر الى تغيير اسمه العربي خوفا من أن يقوم صاحب المقهى اليهودى بطرده يقوم الشاب الشيوعي بطمأنة صديقه عامـل المقهى بأن "لا خوف عليك فصاحب المقهى شيوعي ،وهو رجل طيب" هكذا طرح برهان علوية المشهد ،غير ان جمانه مجليّ ، أبت الا ان تعرض المشهد على جمهور المشاهديـــن ولكن الصوت اختفى بقدره قادر عند ذكره تلك العبارة ،بشكل غبي يعبر عن مدى استخفاف الاعلام الاردني بوعي المشاهد وهذا بالضبط يذكرني بدار العودة ،وصاحبها "محمدية" الذى استبدل كلمة "شيوعية" بـ"الفروسية" في قصيدة محمود درويش التي يقول فيهـــا :-

سجـــل انـــا عـربـــي
ورقـم بطاقتـي خمسـون الف
واولادى ثمانيـة
وتـاسعهم سيـأتـي بعـد صيـف
.....
وأهلـي يحـبون "الشـيوعيـة"

وهذا بالطبع حتى يتسنى لدار العودة توزيع الاعمال الكامله لمحمود درويش في البلدان العربيه التي وعلى ما يبدو لا يزال يخيفها ذكر الشيوعيه،بناء على تعليمات اسيادهـــم .

على أية حال،نحن لم نكتشف جديدا ولكنا نأكدنا أن هذه الانظمة لا تزال على ما هي عليه ولم تغيّرها الايام ،رغم أن هذه الايام نفسها قد غيرت الكثيرين ، وسبحان الذى يغير ولا يتغيـــر .

Digitized by Birzeit University Library

قصة شيوعي عنيد

الهوليوودي الاحمر. السيرة الذاتية لليستر كول.
بالو التو ، كاليفورنيا (الولايات المتحدة) ، مطبعة رامبارتس ،
١٩٨٢ ، في ٤٤٨ صفحة

لقد وضع ليستر كول حتى الان افضل كتاب عن تلك الفترة التي مرت بها صناعة السينما الامريكية والمسائل المركزية التي جابتها وتكللت بقضية "الهوليوودیين العشرة" الذين كانوا مجموعة من كتاب السيناريو ومخرجي الافلام. وقد وضعت اسماؤهم في القائمة السوداء وحكم بالسجن عليهم كضحايا لـكارثية الحرب الباردة.(١) والكتاب عبارة عن "نظرة من الداخل" الى هوليوود ، تسلط الضوء على الكفاح في سبيل تنظيم نقابي لتحسين ظروف العاملين. كان كول مؤسس رابطة كتاب السيناريو عام ١٩٣٣ وقد انضم الى الحزب الشيوعي في عام ١٩٣٤. وتعرض الى الملاحقة في عام ١٩٤٧ بسبب معتقداته.

ان كتاب الهوليوودي الاحمر عرض صريح لحياة مفعمة بالكفاح والهدف. كما انه في الوقت نفسه قصة شخصية يشيع فيها الدفء والصراحة. ويعبر ليستركول عن رأيه قائلا انه" لا يمكن ان يكون ثمة انفصال "بين الشخصي والسياسي. لقد بدأت وجهه نظرة عن العالم تتشكل داخل العائلة ـ انه يتذكر نصيحة والده التي يمكن تلخيصها على النحو التالي :

" تذكر يا بني انهم مهما دفعوا اليك ، فانك قادر على ان تكسب اكثر من ذلك . فهذا هو جوهر الربح ـ انه ذلك الجزء من عملك الذى ينتزعه رب العمل منك لنفسه" (ص ٢٥) . لقد تذكر كول كيف برهنت له تجربته الخاصة على صواب رأى والده .

ادركت مطاردة السحرة كول في اثناء الحرب الباردة عندما كان قريبا من قمة عمله المهني، كان قد كتب حتى ذلك الوقت سيناريو ٣٥ فلما روائيا وكان يتمتع بحظوة كبيرة في استوديوهات الافلام الكبيرة.

وباعتباره شاهدا "غير ودي" امام لجنة النشاط المعادى لامريكا في عام ١٩٤٧ اتهم كول بتحقير الكونغرس، فسجن وادرج اسمه بعدئذ في القائمة السوداء (٢) وحرم عليه العمل في صناعة السينما. ولم يرفع اسمه ابدا من القائمة السوداء ،الامر الذى اضطره فيما بعد ان يبيع الى هوليوود السيناريوهات التي كتبها باسم مستعار.

ان هؤلاء (الخارجيين) من مؤرخين وكتاب تحقيقات استطلاعية الذين شملت

Digitized by Birzeit University Library

كتاباتهم معظم ما كتب عن عشرة هوليوود، ما كان بامكانهم ان يعرفوا (ان تظاهر بعضهم انه يعرف) مشاعر وافكار اولئك الذين اتهموا باهانة الكونغرس وقاتلوا في سبيل معتقداتهم حتى المحكمة العليا ودخلوا السجن بعد صراع استمر ثلاثة اعوام" (ص٨) . ويتحدث المؤلف كذلك، على نحو ما، بالنيابة عن جميع العاملين الشيوعيين والتقدميين الذين راحوا ضحية تلك الفترة القمعية وظلوا يقاومون وما زال كثيرون بمن فيهم الكاتب نفسه، يناضلون الى اليوم. وتظهر الصورة التي في آخر الكتاب المؤلف البالغ من العمر ٧٧ عاما وهو يقف في طابور من طوابير المضربين في اثناء اضراب حدث عام ١٩٨٠ ضد محطة تلفزيون كاليفونيا. وقد كرمت رابطة الكتاب السينياريو كول في عام ١٩٨٢ لما قدمه لها من خدمات في الماضي.

ان الهوليوودي الاحمر يقدم الى الجيل الجديد مساهمة في الوضوح والايمان في معركة اليوم التي تخاض ضد الريغانيين. ويؤكد كول في كتابه وكذلك على الدور الرجعي الذي لعبه رونالد ريغان في هوليوود. (٣) .

ان كول يواصل الكتابة. وهو يدرس حاليا في كتابه السيناريو بجامعة كاليفورنيا (بير كيلي) ويكتب عروضا للافلام في الصحافة بما في ذلك صحافة الحزب الشيوعي : بيبلز ويرلد وديلي ويرلد .

ان العرض الواسع الذي قدمته الصحافة في الولايات المتحدة لكتاب الهوليوودي الاحمر ومناقشته في الراديو والتلفزيون، بحضور المؤلف نفسه غالبا، اجراء مهم بالنسبة للمناخ السياسي الراهن في الولايات المتحدة. وتميل ٩٥٪ من هذه العروض الى صالح الكتاب، معترفة، ب "مثاليته" وسخطه و"شجاعته"، الخ . ويؤكد النقاد والمعلقون بوضوح ان فيستر كول يظل عضوا نشيطا من اعضاء الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة،

بيتي سميث ، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة .

عن قضايا السلم والاشتراكية.

الهوامش :

١) قال جون ئي . رانكن ،عضو لجنة النشاط المعادي لامريكا السيئة الصيت، قال في عام ١٩٤٦ ان الشيوعيين كانوا يقومون بالدعاية في هوليوود ويعدون لمؤامرة الهدف منها قلب حكومة الولايات المتحدة . ووجهت اللجنة التهمة الى مشتغلين في صناعة السينما يشتبه بانهم شيوعيون او يتعاطفون مع الشيوعيين . لقد نص التعديل الاول لدستور الولايات المتحدة على حق المواطنين في عدم انشاء معتقدا تهم السياسية والدينية او الفلسفية. وقد مارس الذين اتهمتهم اللجنة هذا الحق ولكنه لم ينقذهم من السجن .

٢) بقيت هذه اللجنة تمارس عملها حتى عام ١٩٧٥ ـ المحرر .

٣) ان ريغان (الذي كان وقتئذ رئيس رابطة الممثلين) " قد تحول الى كلب حراسة لصناعة السينما، يتعقب بنفسه تطبيق قرارات حرمان الممثلين المدرجين في القائمة السوداء من العمل " (ص ٣٢٦) ـ المحرر .

Digitized by Birzeit University Library

اصداء ثقافية

الهيئة الادارية الجديدة لرابطة الكتاب الاردنيين

عمان :-

جرت انتخابات رابطة الكتاب الاردنيين في ١٥ حزيران الماضي وقد فاز احد عشر عضوا عرفنا منهم :-

١) هاشم ياغي - رئيسا
٢) محمود شقير
٣) محمد سعيد مضية
٤) خليل السواحرى
٥) فخرى قعوار
٦) سالم النحاس
٧) مؤنس الرزاز
٨) مفيد نحله
٩) صالح حمارنه
١٠) محمد القيسي

اطفال أل . آر . بي . جي لخليل السواحرى

عمان :

عن منشورات الكرمل في عمال صدر كتاب "اطفال ال . آر . بي . جي" للاديب خليل السواحرى ويتحدث الكتاب عن مشاركة الاطفال الفلسطينيين واللبنانيين في صد القوات الاسرائيلية اثناء الغزو الاسرائيلي في لبنان ، يقع الكتاب في ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط وقدم له الزعيم الفلسطيني ابو جهاد .

الانتشار على ابواب المخيم ديوان شعر لعلي الخليلي

عمان :

عن منشورات الكرمل في عمان صدر ديوان شعر جديد للشاعر علي الخليلي والديوان بعنوان "الانتشار على ابواب المخيم".

شعله في الظلام ديوان شعر لهارون هاشم رشيد

عمان :

عن منشورات الكرمل في عمان صدر ديوان شعر جديد للشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد والديوان بعنوان "شعله في الظلام

لاجلك فقط اغني واموت

صدرت قبل ايام في عمان مجموعة قصصية بعنوان (لاجلك فقط اغني واموت وهي من تاليف هيثم الطاهر، وتقع في ١٠٦ صفحات من القطع الصغير وتضم ست قصص قصيره ...

Digitized by Birzeit University Library

التين الشوكي ينضج قريبا

– عن منشورات البيادر صدرت روايه "التين الشوكي ينضج قريبا" للاديب عبدالله تايه الرواية من الحجم المتوسط وتقع في ٨٠ صفحة وهي تاتي في اطار المشروع الذى تنفذه منشورات البيادر لتشجيع الادباء والكتاب المحليين ونشر اعمالهم الادبيه.

البيبليوغرافيا الفلسطينية

– كتاب "البيبليوغرافيا الفلسطينية" في الوطن ١٩٨١ – ١٩٨٢ صدر مؤخرا عن جمعيه الدراسات العربية بالقدس ومن فهرسة الاستاذ حسين غيث .

وجاء في المقدمة : هذه مجموعة من النتاج الفكرى العربي الفلسطيني المحلي يضاف الى ما نشر في الكتاب الاول البيبليوغرافيا الفلسطينية" في الوطن ١٩٦٧– ١٩٨٠ ويذكر ان الاستاذ حسين غيث استعان بطريقه "ديوى" العشرية لتصنيف الموضوعات التي وردت في الكتاب .

الدولة الفلسطينية

– كتاب الدولة الفلسطينيه " فحص الخيارات "للكاتب" آفي بلاسكوف" وترجمة الدكتور احمد العلمي ،صدر مؤخرا عن جمعية الدراسات العربية في القدس ويقع في ١٥١ صفحة من القطع المتوسط .

القمر والرغيف

على الرغم من إقامته الطويلة في عمان ، الا ان الشاعر حلمي الاسمر ما زال يواصل عطاءه الشعرى الذى يشارك شعراء الارض المحتله النزامهم في ديوانه الاخير (القمر والرغيف) الذى صدر مؤخرا في عمان تتضح حساسيته البالغة ازاء ما يتعرض له الوطن واهله وذلك عبر قصائد الديوان التي تتجاور الثلاثين .

قصائد حب

بعد ديوانه الاول (اعتذار آخر للوطن) اصدر الشاعر رزق ابو زينه مؤخرا ديوانه الثاني تحت عنوان (قصائد حب) ،ويبدو ان عنوان هذا الديوان بقي مطلق ،لان المحبوب هنا ليس من لحم ودم كما يتوقع القارئ ، بل يتضمن اشياء كثيرة أثرت في الشاعر وجعلته يمارس حبه معها بمضامين وطنية واشكال فنية متقدمة .

منقذ القرية

بعد حكاياتها البطولية للاطفال التي تحمل العناوين التاليه: في احراج يعبد ،سر القنابل الموقوته ،قافله العداء ،الزمن الحزين في دير ياسين ،رحله النضال ،صدرت الاديبة روضه الفرخ المهدهد مؤخرا حكاية جديده تحت عنوان (ابراهيم ابو دية منقذ القرية قدم لهذا الكتاب السيد بهجت ابو غربية واعد رسوماته يان شيكا .

Digitized by Birzeit University Library

مضامين اجتماعية في الحكاية الفلسطينية
بقلم/جميل السلحوت

عن دار الكاتب في القدس صدر كتاب جديد لجميل السلحوت بعنوان "مضامين اجتماعية في الحكاية الشعبية الفلسطينية" يقع الكتاب في ٩٠ صفحه من الحجم الصغير وقد صمم الغلاف الفنان قاسم منصور. كما سيصدر قريبا كتاب عن القضاء العشائري لنفس الكاتب .

تعالوا جميعا
ديوان شعر لخليل توما

كما صدر عن دار الكاتب في القدس ديوان شعر للشاعر خليل توما بعنوان "تعالوا جميعا" يقع الكتاب في حوالي مئة صفحة من الحجم الصغير .

القصة القصيرة في فلسطين
عادل الاسطه

سيصدر قريبا عن دار الكاتب كتاب القصة القصيرة في فلسطين المحتلة من عام ١٩٦٧– ١٩٨١" لعادل الاسطة ، يقع الكتاب في ٢٨٣ صفحة من الحجم الكبير والكتاب هو رسالة الماجستير للكاتب .

رسالة النجاح

صدر عن دائرة العلوم العامة في جامعة النجاح الوطنية رسالة النجاح العدد الثامن ويتضمن العدد نشاطات العلاقات العامة وكتابات للمدرسين والطلاب في الجامعة حيث يقع هذا العدد في ٦٢ صفحة من الحجم المتوسط .

يحيى يخلف يعزي في امل دنقل

بعث يحيى يخلف الامين العام لاتحاد الكتاب الفلسطينيين برقية عزاء الى لجنة الدفاع عن الثقافة القومية في وفاة الشاعر العربي الكبير امل دنقل ،جاء فيها :–

"باسمي شخصيا ،وباسم الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ،نقدم عزاءنا الذى كان رمزا لهموم الثقافة القومية والوطنية العربية ،واحد ابرز العاملين دفاعا عن القضية الفلسطينية .

ونقدم لكم ولعائلته ولاتحاد الكتاب عزاءنا في الفقيد مؤكدين ان صوت الشاعر المبدع سيظل يملأ الآفاق منحازا الى قضية الانسان " .

ندوة عن القصة القصيرة
في دائرة الكتاب

في يوم الجمعة الموافق ٨٣/٧/٢٢عقدت ندوة عن القصة القصيرة في المناطق المحتلة في قاعة جمعية الملتقى الفكرى العربي بالقدس ،وقد تحدث في الندوة الكاتب عادل الاسطه ، وشارك في الندوة عدد من الكتاب والمهتمين ، ودار نقاش في نهاية الندوة حول مجموعة من القضايا الادبية والنقدية .

الجدير بالذكر ان هذه الندوة تأتي مقدمة لنشاط واسع وبرنامج لندوات عديدة تعقدها الدائرة على مدار السنة .

وفاة الاديبة الفلسطينية المعروفة
أسمى طوبي

بيروت : توفيت في بيروت مؤخرا الاديبة الفلسطينية المعروفة أسمى طوبي وهي من النساء الرائدات في الحركة الادبية على مستوى الساحة الفلسطينية والعربية حيث بدأت الكتابة في العشرينات من هذا القرن .

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

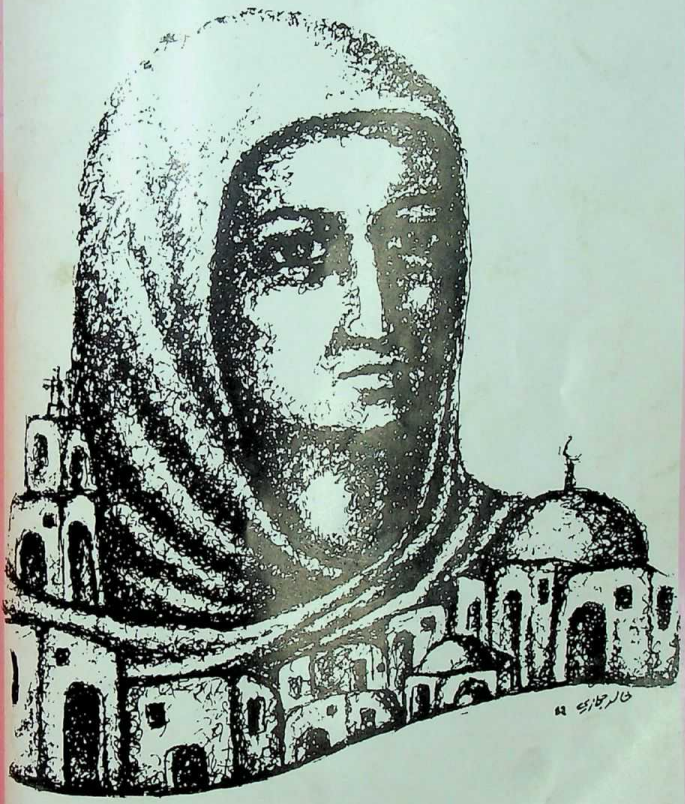

AL-KATEB Editor – Asa'd AL-asa'd Jerusalem 40 الكاتب للثقافة الانسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library